

وميض من اليمن في الخطب الجوامع

قراه وقدم له

أصحاب الفضيلة العلماء

أبو الحسن مصطفى السليماني

أبو عبد الرحمن عايض بن علي مسمار

نعمان بن عبد الكريم الوتر

أبو داود يحيىٰ بن مسعد الدمياطي

جمع وإعداد

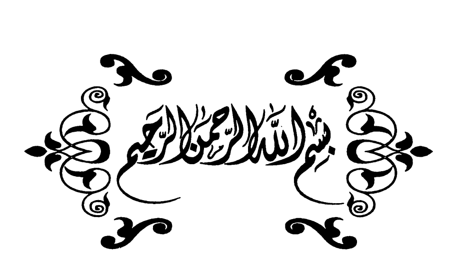
سعيد بن سالم بن سعيد بن مهيم الحداد

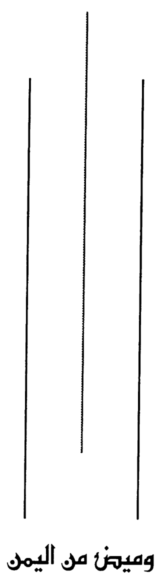
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجُزْءُ الأوَّلُ

دار البصيرة

الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم



وميض من اليمن

في

الخطب الجوامع



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الايـــداع : ٢٠٠٣/٧٨٣٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N.

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية ـ ٢٤ ش كانوب ـ كامب شيزار ـ ت : ٥٩٠١٥٨٠

مقدمة

الشيخ/ أبو الحسن مصطفى بن اسماعيل السليماني

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فـلاشك أن مكانة الخطابة في الدعـوة إلى الله تعالى ليـست بخـافيـة على أهل العلم، وإذا وفق الله عزَّ وجلَّ بخطيب مفـوَّه، صحيح المعتقد، على بـصيرة من أمره حكيم مـوفق، فإن الله عـزَّ وجلَّ يجري به خـيرًا كـثيـرًا، ويدفع به عن الأمـة شرًا خطيرًا. وإن المسلم ليـأسف عندما يرى أناسًا يعـتلون المنابر وهم أهل أهواء، أو دعاة للخربيات المقيتة، كما يأسف أيضًا عندما يرى من ينتسب إلى السنة لكنه لم يوفق إلى الرفق والحكمة، فالله كم يهدم هذا وذاك من بنيان الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ.

ولما كانت الخطابة بهذا القدر من الأهمية، فـقد كنت أتمنى أن أجمع كتابًا يشتمل على العديد من الخطب، أجمع في كل خطبة ما يتصل بها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الثـابتة، وآثار السلف، وأقوال أهل الـعلم، وما يتصل بذلك من الشـعر والأمثال العربية، حتى يتـسنى لطالب العلم أن ينصح الناس بما ينفعهم، وقد شغلت عن ذلك بأمور أخرى، أسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناتي.

ثم إني وقفت على كتاب لأخـينا الشيخ/ سعيد بن مهيم الحـداد، ولم يتيسر لي الاطلاع عليه، فأحلت النظر فيه لأخينا الفاضل أبي سـعيد عبد الله بن حسين بانجوى الشـبوبي ـ حـفظه الله ـ فـأفادني أن هذا الكتـاب مبـارك في بابه، نافع في مـادته، فحمدت الله على ذلك.

ورجوت الله تعالى أن يسد هذا الكتاب ثغرة في ذلك، سائلاً المولى عزَّ وجلَّ أن يجزل للشيخ سعيد المثوبة، وأن يوفقه لخدمة السنة، وأن ينفع بكتابه الخطباء والمسلمين جميعًا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو الحسن مصطفى بن اسماعيل السليماني

من دار الحديث. مأرب

مقدمة

الشيخ/ أبو عبد الرحمن عايض بن علي بن حسين مسمار

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات ربي عليه وعلى آله الطاهرين، وعلى صحابته الراشدين، وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم يارب العالين . . آمين.

وبعد . . . نحمد الله تعالى الذي بارك في المدرسة السلفية المتمثلة في مراكز أهل السنة والجماعة في اليمن ففي وقت قصير ملئت المكتبات بالمؤلفات النافعة التي يحتاجها المسلمون في شتى العلوم فهذا يكتب في العقيدة وبيان التوحيد وأهميته وخطر الشرك، وذاك يكتب في بيان البدع وخطرها وآخر يكتب في التحذير من الحزبية الخبيثة والقوانين الوضعية، ومن أخبثها الديمقراطية، وهكذا فأهل السنة جنود مجندة يدافعون عن الإسلام ويقدمون ما يحتاجه المسلمون عقيدة وشريعة في ضوء الكتاب والسنة.

وها هو أخونا الفاضل سعيد بن سالم بن سعيد الحداد ـ حفظه الله ـ يقوم بخدمة جليلة، في موضوع خطب الجمعة وفي الوعظ والإرشاد بأسلوبه العذب وبيانه السديد الرشيد، وقد دفع إلي هذا السفر المبارك الجزء الأول والثاني لمطالعته والنظر فيه ومن باب التعاون على البر والتقوى والتشجيع على ذلك فقد نظرت نظرة سريعة لضيق الوقت وخاصة في أيام رمضان المبارك فوجدت الكتاب بجزئيه الأول والثاني قد بذل فيه الأخ سعيد مجهودًا مباركًا ونوع فيه المواضيع التي يحتاج إليها الخطيب وأودعها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة كما هي عادة أهل السنة والتزامهم

بهذا المنهج القويم العظيم الكتاب والسنة ثابتة صحيحة لا ضعيفة ولا موضوعة ولا قصص وخيالات وترهات ليس لهما خطام ولا زمام. فهذه هي التربية والتصفية عند أهل السنة؛ تصفية العقيدة من الشوائب القديمة أو الجديدة المتمثلة في عقيدة الرافضة والصوفية الخرافية وما أحدثته الحزبية الماكرة الخبيثة، فنجد الله تعالى الذي من علينا في هذا العصر الذي مليء بالفتن والمتغيرات ونحن في عافية من هذه الفتن بالتمسك بالكتاب والسنة وعلى فهم سلف الأمة.

وخلاصة القول في هذا المؤلف فلعله الوحيد من نوعه وفي فائدته ونفعه فجزى الله أخانا سعيدًا على عمله هذا خدمة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتلبية لحاجة المسلمين، فلقد وفر جهدًا ووقتًا على الخطيب الذي يريد أن يُحضِّر الخطبة ويختار الموضوع المناسب وينظر في صحة الأحاديث فيجد في هذا المرجع حاجته وبغيته في أقرب وقت، وهذا من تيسير الله على عباده وإقامة الحجة وإيضاح المحجة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى ربه

أبو عبد الرحمن عايض بن علي بن حسين مسمار

مركز النور معبر - ٤ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ

مقدمة

الشيخ/ نعمان بن عبد الكريم الوتر

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين.

أما بعد:

فلا يخفى على كل ذي لب ما للمواعظ والخطب الراتبة والعارضة من الأثر البالغ على المسلمين، فكم هدى الله بسببها من ضال وعلم بها من جاهل وذكر بها من غافل، وكم انتشرت به من سنن واندحر بها من الشرك والبدع وفتحت بها أبواب الخير للناس على مصراعيها، فللَّه الحمد والمنة.

ولقد قام أهل السنة والجماعة سابقًا ولاحقًا بهذا الأمر خير القيام، كيف لا وقد تجنبوا في خطبهم ومواعظهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص المفتراة المكذوبة ولم يشغلوا الناس بالسياسات الفارغة البعيدة عن شريعة الله والتهيجات الحماسية العاطفية البعيدة عن مقاصد الشريعة، ولم يستغلوا خطبهم ومواعظهم في الدعوى إلى الحزبية المقيتة أو دعوة الناس إلى انتخابات أو مظاهرات أو إضرابات، وما أشبه ذلك مما يظنه من لا يعلم دواءً وهو والله داء؛ لأنه مخالف لدين الله.

وإنما جعل أهل السنة خطبهم لتعليم الناس دين الله وتحذيرهم من الشرك والبدع والمعاصي على مختلف أشكالها بالحكمة والموعظة الحسنة عملاً بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥)،

وعملاً بقوله ﷺ لأبي موسى ومعـاذ بن جبل رضي الله عنهما كما في الصحيح: **«يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»**، فللَّه درهم، وعلى اللَّه أجرهم.

وقد عرض عليَّ الشيخ سعيد بن سالم الحداد ـ حفظه الله ـ مجموعة من الخطب التي جمـعهـا لتكون عونًا للخطيـب على القيام بـواجبه وذلك بجـمع بعض الآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء في مواضيع مـختلفة وقد أبديت له عدة ملاحظات على المطبوع منها والمخطوط أرفقتها بهذه المقدمة.

أسأل الله أن ينفعني وإياه بها، وأن يجعل عمله هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعه به في الدارين، وأن يجنبنا وإياه وجميـع المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه

نعمان بن عبد الكريم الوتر

اليمن - اب - بعدان - ١٤٢٣/٢/٩هـ

مقدمة

الشيخ/ أبو داود يحيى بن مسعد الدمياطي

الحمد لله والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن الوعظ في ديننا الإسلامي يُعَدُّ من أشرف الدعوة إلى الله؛ فمن أجل هذا أضافه الله إلى نفسه الكريمة فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (سورة النور:١٧). وقال سبحانه: ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ (سورة هود:٤٦).

وهو وظيفة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم قال تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ** ﴾ (سورة الشعراء:١٣٦). وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ** ﴾ (سورة سبأ:٤٦)، وقال تعالى: ﴿ **وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا** ﴾ (سورة النساء:٦٣)، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (سورة لقمان:١٣).

والقرآن الذي أنزله الله سماه موعظة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (سورة يونس:٥٧). وقال سبحانه: ﴿ **هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ (سورة آل عمران:١٣٨). وقد أمرنا الله بالدعوة إلى سبيله بالموعظة الحسنة فقال: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (سورة النحل:١٢٥). فهذا كله يدل على شرف الوعظ والخطابة كيف لا!!

وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (سورة الجمعة:٩). ولأهميته قال رسول الله

ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا»[1]، وقال ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت والإمام يخطب، فقد لغوت»[2].

فشأن الوعظ عظيم ونفعه عميم وله المكانة العالية والمنزلة السامية في حياة الفرد والجماعة، فيه ينصلح المفسد ويهتدي الضال، ويتوب المسرف على نفسه، ويندم العاصي ويقلع، ويتعلم الجاهل، ويتنبه الغافل، وتُنصر السنة وتزهق البدعة، إلى غير هذا من المقاصد الشرعية.

فلا زالت الموعظة تؤتي ثمارها كل حين ـ بإذن الله ـ مادامت تراعى فيها الضوابط الشرعية والقواعد المرضية، من صدق وإخلاص وحلم وعلم واستحضار للآيات والأحاديث الثابتة مع ذكر عيون من الأشعار الرائقة والحكم الفائقة، مع ترغيب وترهيب وذكرى وتذكير ووعد ووعيد وبشرى ونذير، ومعالجة لأحوال الناس وما يحتاجون إليه، وما يمر بهم من أحداث على وفق الشرع القويم فلا نستغل ـ الموعظة والخطابة ـ لحزبية مقيتة، ولا تعصب مذهبي، ولا هوى شخصي، ونحوه.

وقد ذكر جمع من أهل العلم السابقين واللاحقين آداب الوعظ والخطابة في مؤلفات عدة خاصة وعامة، فالمكتبة الإسلامية حافلة بهذا الموضوع لأهميته ونفعه وبركته ولازال الباب مفتوحًا فكم ترك الأول للآخر، وقد وفق الله عزَّ وجلَّ، الوالد الكريم/ سعيد بن سالم بن سعيد الحداد ـ حفظه الله ـ لجمع طائفة طيبة من الخطب

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

والمواعظ التي تعين الخطيب في إعداد موضوعه وأدلته والكلام فيه، وليس بعيب أن يحضر الخطيب الآيات الواردة والأحاديث الثابتة في الباب ليكون أنفع للناس وأرجى لقبول قوله واستماعه ـ بإذن الله ـ وقد قرأت هذه المجموعة من الخطب والمواعظ التي احتوى عليها الجزآن الأول والثاني فألفيتها نافعة لمن قرأها في بابها.

فأسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يبارك في جامعها وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجنبه الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقه الثبات على الحق حتى الممات، إنه سبحانه جواد كريم بر رحيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

ابو داود يحيىٰ بن مسعد الدمياطي

دار الحديث ـ مأرب في ١٤٢٢/٨/٢٢هـ



مقدمة المؤلف

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وبعد:

أخي الداعية إلى الله . . . بين يديك الجزء الأول من كتابي **(وميض من اليمن)** يحتوي على خطب منبرية لمدة عام جمعتها من مصادرها، وقد بذل معي بعض الإخوان جهودهم المباركة في البحث عن صحة أحاديث الكتاب ـ شكر الله لهم ذلك وبارك فيهم ـ، وقد جعلت فهرسًا لأكثر مصادر الخطب المذكورة، وأسأل الله القبول والإخلاص في السر والعلن.

ومما أريد أن أنبه عليه هو أن على الخطيب أن ينظر في بعض المؤلفات الخطابية؛ فإن بعض الخطب بحاجة إلى إلقاء ما يتلاءم مع المستمعين في بعض الأقطار، وكذلك إضافة إلى ما يفي تمام الخطبة عند اختصارها كما يوجد في بعض الخطب أحاديث ضعيفة وهذا ملموس.

ومن باب قول النبي ﷺ : **«الدين النصيحة»**[١]؛ فالواجب على كل داعية إلى الله أن يتأكد من صحة الأحاديث التي يستدل بها في مؤلفاته وفي وعظه و إرشاده؛ فقد أخبر النبي ﷺ أن من الكذب التحدث بكل ما يسمع المتحدث أو يقرأ لقوله ﷺ : **«كفى بالمرء كذباً أن يتحدث بكل ما يسمع به»**[٢]. قال ابن حبان: «في هذا الخبر زجرٌ للمرء أن يحدث بكل ما يسمع حتى يعلم علم اليقين صحته»[٣].

أخا الداعية . . . «الوصية العامة للخطباء أن يجتنبوا الإطالة ويجنحوا إلى الاعتدال، وتغليب جانب الاختصار على الإطناب في أعم الأحوال، وقد قال ﷺ : **«إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه»**[٤]. ويحسن من الخطيب أن يُعَوِّدَ سامعيه على زمن معتدل ثابت يلتزمه، فإنهم إذا خبروه بانضباطه ودقة التزامه أحبوه ولازموا حضوره. ومن الخير للخطيب وجمهوره أن ينفضوا وهم متعلقون بخطيبهم من غير ملل أو سآمة»[٥]. ا.هـ.

★ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه كما ثبت في الصحيح أنه قال عن النبي ﷺ : **«كان لايطيل الموعظة في الجمعة»**[٦].

---

(١) رواه مسلم (٥٥)،(٤٩٤٤)، والنسائي (٧/ ١٥٦)، والترمذي (١٩٢٧).

(٢) «الصحيحة» (٢٠٢٥).

(٣) «الضعفاء» (١/ ٩).

(٤) رواه مسلم (٨٦٩).

(٥) «منهج في إعداد خطبة الجمعة» للدكتور/ صالح بن عبد الله بن حميد، (ص٣٨).

(٦) صحيح (د ، ك)، صحيح أبو داود (١٠١٤): هق.

أخي الداعية . . . لقد تم مسبقاً توزيع طبعة أولى مجانية من الجزء الأول من هذا الكتاب، طبعت بمطابع دار الشوكاني بصنعاء عام ١٤٢١هـ، وتم بفضل الله توزيعها وذلك على حساب فاعلي خير جزاهم الله خيراً.

ومما ينبغي التنبيه عليه أننا بعد توزيع الطبعة المذكورة أعلاه تلقينا بعض الملاحظات من بعض الأخوة المحبين للسنة والذابين عنها بارك الله فيهم، وكانت هذه الملاحظات موفقة وسديدة، وها نحن نبين هذه الملاحظات ليستفيد منها العامة والخاصة. والله المستعان.

جمع وإعداد

سعيد بن سالم بن سعيد بن مهيم الحداد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



أنـواع التوحيـد وأنـواع الشـرك

الخطبة الأولى - أنواع التوحيد وأنواع الشرك:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وبعد:

حديثنا اليوم - بإذن الله - عن أنواع التوحيد وأنواع الشرك جعلنا الله وإياكم من أهل التوحيد وجنبنا الله وإياكم الشرك وأسبابه إنه على كل شيء قدير.

عباد الله . . . لقد خلق الله الخلق ليعبدوه ولايشركوا به شيئاً فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦).

والعبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (سورة النحل: ٣٦).

أما التوحيد فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية: بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة. وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين، وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (سورة يونس: ٣١). والآيات على هذا كثيرة جدًا أكثر من أن تُحْصَرَ، وأشهر من أن تُذْكَرَ.

وأما الثاني ـ توحيد الألوهية، أو توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة: وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الآخر يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما، لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه. ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى هذا التوحيد. وهذا التوحيد هو الذي وقع فيه النزاع من قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد: كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة[1].

---

(١) «القول السديد شرح كتاب التوحيد»، للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

ودليل الدعاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (سورة غافر: ٦٠). وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن، وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٥) . وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (سورة لقمان: ٣٠) . وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (سورة الحشر: ٧). وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ٣١).

وأما الثالث - من أنواع التوحيد فهو: توحيد الذات والأسماء والصفات: قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (سورة الإخلاص). وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى: ١١).

وضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكبر: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (سورة النساء: ١١٦) . والشرك الأكبر يا عباد الله ينقسم إلى أربعة أقسام:

الأول - شرك الدعوة: والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٥).

النوع الثاني - من الشرك الأكبر: شرك النية والإرادة والقصد: والدليل قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة هود: ١٦).

والنوع الثالث - من الشرك الأكبر: شرك الطاعة: والدليل قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٣١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، ويكونون على وجهين:

احدهما ـ أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل. فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا ـ وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم ـ فكان من اتبع غيره في خلال الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

والثاني ـ أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا؛ لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في (الصحيح) عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنما الطاعة في المعروف»**[1]، وقال: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية»**[2] ا. هـ»[3].

والنوع الرابع ـ من الشرك الأكبر: هو شرك المحبة: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥). والند هنا هو النظير والشبيه والمثيل.

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).
(٢) رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٧٠).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي بين لعباده طرق الهداية، وحذرهم من طرق الغواية والضلالة. أحمده سبحانه وتعالى على جزيل نعمه وعظيم عطاياه حمداً يليق بجلاله وعظمته وكبريائه. لك الحمد يا ربنا حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، وأصلي وأسلم على شفيع الأمة ﷺ. أما بعد:

عباد الله . . . قلنا فيما مضى أن الشرك أكبر وأصغر وخفي، وبينا أقسام الشرك الأكبر بقي أن نوضح النوع الثاني وهو الشرك الأصغر وهو الرياء ـ أجارنا الله وإياكم من ذلك ـ ودليله قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف: ١١٠).

النوع الثالث ـ من الشرك هو الشرك الخفي: والدليل قوله ﷺ: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»[(١)]. وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. الرياء.»[(٢)].

وهناك أمر هام يا عباد الله في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله غَفَلَ عنه الكثيرون ولم يعطوه حقه من البيان والتوضيح والعمل هو ما ثبت في الصحيح ـ أي صحيح مسلم ـ عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قال لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعْبدُ من دون الله حَرُمَ مالُه، ودمُه، وحسابه على الله عزَّوجلَّ»**، قال شارح الحديث في قوله: **«من قال لا إله إلا الله وكَفَرَ بما يُعْبدُ من دون الله»**، اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث:

---

(١) «صحيح الجامع» (٣٧٣١)، مجمع (١٠/ ٢٢٤).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، والطبراني(٤٣٠١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩١٥)، و«صحيح الجامع» (١٥٥١).

الأول ـ قول: «لا إله إلا الله»: عن علم ويقين كما هو قيدٌ في قبولها في غير ما حديث.

والثاني ـ الكفر بما يُعْبدُ من دون الله.

لكنه ذكر في هذا الحديث في قوله: **«وكَفَرَ»** تأكيدًا لما دلت عليه لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد ـ قوله: **«حَرُمَ مالُه، ودمُه، وحسابه على الله عزَّوجلَّ»** فيه دليل أنه يحرم ماله ودمه إذا قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبَدُ من دون الله؛ فإن قالها ولم يكفر بما يُعْبَدُ من دون الله فدمه وماله حلال لكونه لم يُنْكِرِ الشرك ويَكْفُرْ به ولم ينفه كما نفته لا إله إلاَّ الله، فتأمل هذا الموضوع فإنه عظيم النفع. وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلاَّ الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلاَّ الله وحده لا شريك له بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعْبَدُ من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما أجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع. انتهى.

قوله: **«وحسابه على الله عزَّوجلَّ»** أي: الله تعالى هو الذي يحاسبه؛ فإن كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا عذبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر.

واحذروا يا عباد الله تعليق التمائم والحروز على الأبناء أو الزوجات أو الحيوانات؛ فإن ذلك من الشرك والعياذ بالله ـ أجارنا الله وإياكم من ذلك ـ؛ لقول النبي ﷺ: **«من علق تميمة فقد أشرك»**[1].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ١٩)، وانظر: «الصحيحة» (٤٩٢).

أول ما يُرفع من هذه الأمة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. **وبعد:**

عباد الله . . . إن من الأمور التي ينبغي التنبيه عليها أمرًا يتعلق **بإقامة الصلاة هو** الخشوع فيها والانكسار بين يدي الله ـ رب العالمين ـ الخشوع في الصلاة أمر فرطنا فيه على التمام. وما قمنا به خير قيام هذا الأمر العظيم الذي أثنى الله تعالى **على أهله** فقال سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١-٢).

إن الإنسان إذا افتتح الصلاة ينبغي له أن يضبط قلبه وجوارحه فلا يربطها إلا بالصلاة، خشوعًا وخضوعًا، وانكسارًا لله رب العالمين. وإن الإنسان إذا غفل في صلاته وخرج عنها وطاش فكره هنا وهناك فهو سارق من أشنع السارقين.

ثبت في مسند الإمام أحمد، ومعجم الطبراني الكبير، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم بإسناد صحيح من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته»، قالوا: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها»**[1].

فالإنسان إذا غفل في صلاته وتلاعب بها وما أشعر نفسه بأنه واقف بين يدي رب العالمين ـ عز وجل ـ صارت الصلاة شاقة عليه كبيرة يتمنى الخلاص منها. ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٤٦).

عباد الله . . . إذا خشع الإنسان في صلاته تلذذ بها، فصارت أكبر همه، وقرة عينه، وأهم شيء لديه.

ثبت في مسند الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم: الطيب، والنساء، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**[2].

ولقد أخبرنا الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عن حال نبي الهدى ﷺ تجاه الصلاة أن قلبه كان يخفق خشية لله وخشوعًا وتعظيمًا.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٠٥)، «صحيح الترغيب» (٥٢٥)، «المشكاة» (٥٢٦١).

(٢) رواه أحمد (١٢٢٩٥)، «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

ثبت في (مسند الإمام أحمد)، و(سنن أبي داود والنسائي)، و(صحيح ابن حبان)، و(سنن البيهقي) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: **«اتيت النبي ﷺ وهو يصلي فسمعت لصدره ازيزًا كأزيز المرجل من البكاء»**، والمرجل: هو القِدر[1].

زخلوة الإسلام . . . وعلى هذا الوصف درج الصحب الكرام والتابعون الأجلاء ولايزال هذا الوصف لعباد الرحمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد قيل للتابعي عامر بن عبد قيس ـ رحمه الله ـ: إذا قمت تصلي فهل تحدث نفسك في صلاتك؟ يعني بأمور الدنيا من أهل ومال وولد ونحو ذلك؟ فقال ـ رحمه الله ـ: أوشيء أحسن من الصلاة حتى أحدث نفسي به؟!!.

ونحن نعوذ بالله تعالى أن يكون زمننا هذا الزمن الذي يرفع فيه الخشوع.

أخاي الكريم . . . ثبت في معجم الطبراني الكبير بإسناد حسن كما قال الهيثمي في (مجمع الزوائد)، والمنذري في(الترغيب) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اول ما يُرفع من هذه الأمة الخشوع، فلا ترى فيها احداً خاشعاً»**[2].

يقول جُبَير بن نفير رضي الله عنه ذكرت هذا الحديث لعبادة بن الصامت رضي الله عنه فقال: صدق أبو الدرداء، ألا أخبرك بأول شيء يرفع في هذه الأمة، أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى إنك لتدخل المسجد الجامع، لا ترى فيه رجلاً خاشعًا.

وثبت في (مستدرك الحاكم) بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: **« ياتي على الناس زمان يجتمعون في المسجد ليس فيهم مؤمن»**، والحديث جاء موقوفًا على عبد الله وله حكم الرفع إلى النبي ﷺ .

---

(١) صحيح «صحيح أبي داود» (٨٣٩).

(٢) صحيح «صحيح الجامع» (٢٥٦٩)، «صحيح الترغيب» (٥٤٣).

عباد الله . . . ولا يتعارض ما تقدم بيانه - من أن أول ما يرفع في هذه الأمة الخشوع - ما ثبت في الحديث من: «أول ما يُرفع من هذه الأمة»، وينقض من أحكام الإسلام الحكم بما أنزل الله.

ثبت في «مسند الإمام أحمد»، و«معجم الطبراني الكبير»، و«صحيح ابن حبان» بإسناد حسن، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لتنقضن عُرى الإسلام عروة عروة، فأولها نقضاً الحكم، وآخرها الصلاة**»[1].

نعم لا تعارض بين ما ذُكِرَ في هذا الحديث وما تقدم من أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع، فإن الحكم بما أنزل الله ما كان أول ما يرفع إلا لذهاب الخشوع، وتعظيم الله - عز وجل - من القلوب، فإن القلوب لما فسدت، وتراكمت عليها الشهوات والشبهات، ولم تخشع لله رب العالمين، فلا غرابة إذًا أن يترتب على ذلك ترك الحكم بما أنزل الله، والإعراض عن تحكيم شرعه السديد، ومنهجه القويم.

أيها المسلمون . . . ومما ينبغي أن يُتنبه له في قضية الخشوع بعد خشوع القلب خشوع الجوارح والأعضاء، فإن المسلم ينبغي أن يصون فاه عن التثاؤب، وجوارحه وأعضاءه عن الحركة والعبث فتكون خاشعة مثل خشوع القلب والجنان وأن المسلم إذا لم يضبط جوارحه وأعضاءه عن العبث في الصلاة وكثرة الحركة من غير حاجة فسلام سلام على خشوع القلب والباطن.

نعم إذا عبث الإنسان في صلاته وتلاعبه فيها لتصليح غترة أو تعديل شماغ أو النظر هنا وهناك هذا كله دليل واضح على عدم خشوع القلب لله رب العالمين.

---

(١) «صحيح الجامع» (٥٠٧٥)، «صحيح الترغيب» (٥٧١).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين وإمام الخاشعين القانتين، صلاةً وسلامًا دائمين ما دَامت السموات والأرض . . . أما بعد:

عباد الله . . .ثبت في (صحيح البخاري)، و(سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ما بال اقوام يرفعون ابصارهم في صلاتهم، لَيُنْتَهُنَّ عن ذلك او لتخطفن ابصارهم»**.

عباد الله . . . إذا تلاعب الإنسان في صلاته بكثرة الحركات والنظر هنا وهناك فما خشع، وما أقام الصلاة على الوجه المطلوب لله رب العالمين، وبالتالي فهو مفرط في جنب الله، وأن هذا الإنسان لو أراد أن يقف أمام أي مسئول في الدنيا لوجدته قد تهيأ لذلك، واستعد استعدادًا عجيبًا، ولكن حين يأتي الصلاة التي يقابل فيها رب العالمين إذا به غافل القلب، شارد الذهن يفكر في أمور تافهة، لا تمت للصلاة بشيء، وما هذا إلاَّ علامة من علامات الخذلان، وسمة من سمات الحرمان.

عباد الله . . . اسمحوا لي بالقول: إن كثيرًا من الناس للأسف الشديد ممن هم معدودون من أهل الصلاح لا يأتون إلى الصلاة إلا متأخرين فبعضهم يأتي قرب الإقامة وبعضهم لا يأتي إلا بعد تكبيرة الإحرام، ولو أن هذه المعصية لا تفعل إلاَّ قليلاً لسُكِتَ عن بيان ذلك ولكن شُوهِدَ ذلك ديدنًا ومنهجًا يسلكهُ البعض ظانًا أنه يحسن بذلك صُنْعًا ولو بكَّرَ هؤلاء إلى الصلاة بعد سماع : **(الله اكبر)** لكان هذا أدعى للخشوع والانكسار بين يدي رب العالمين.

وهكذا يجد المتأمل لهذا المرض الخطير، والداء العضال وهو ترك الخشوع في الصلاة أنه من «المهمات» والواجبات التي إذا غفل عنها امرء ضَعُفَت علاقته بربه

- عزَّ وجلَّ - وإذا تيقظ وانتبه إليه زاده ذلك ارتباطًا بخـالقه سبحانه، وانشرح صدره، واطمأنت نفـسه، ومن هنا كان لابد أن نقـدم السبل التي يمكن من خلالهـا أن يعالج المسلم بها هذا الداء الخطير، وذلك على النحو التالي:

استـحضار عظـمة الله - عزَّ وجلَّ - عندمـا تفتح الصـلاة بقولك :(الله اكبر)، التقليل من المآكل والمشارب والتقليل من النوم، فـإن الإكثار من الأكل والنوم من أشد الأمور إفسادًا للقلب، وإذا فسد القلب ضعـفت علاقة المرء بالله تعالى فما يخشع في صلاته، وقلَّ تبكيره للصـلاة، وقد تقدم التفصـيل فيه، وأن تتفكر وتتدبر فيـما يقرأ الإمام في الصلاة الجهرية، وأن تتـفكر وتتدبر في كل قول وذكر تنطق به في صلاتك في القيام والركوع والسجود.

والحذر من الذنب والمعصـية، والتوبة منها سـريعًا إذا وجدت والاستغـفار منها، ومعاهدة الله تعالى بعـدم العودة إلى شيء منها وأن المعاصي الموجودة فيمـا بيننا كثيرة لا يمكن حـصرها ولكن أشـير إلى أبرزهـا: ترك صلاة الفـجر في جـماعـة، وحلق اللحية، وإضاعة الوقت فيما لا يعود بالنفع، والكبر، والغرور، والإعجاب بالنفس، والحسـد، وسوء الخلق، والكذب الذي نراه يصـدر حتى من بعض الأخـيار للأسف الشديد، والغيبـة والنميمة هذان الذنبان العظيمـان اللذان نقع فيهما كثـيرًا، وكأننا ما ارتكبنا معـصية، والتسـاهل في أداء العمل الوظيفي أيًا كان هذا العـمل، وهو الأمر الذي يؤدي إلى أن يكون المال الذي يأخذه على عمله قد يشوبه شيء من الحرام.

أن تتذكـر أنك إذا غفلت في صلاتك وتلاعبت فـيها، فلربما تتصف بصـفة من صفات مَنْ قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة يونس:٧-٨).

الحرص على ذكـر الله تعالى ودعـائه خارج الصـلاة، فيحـرص المسلم وهو في سـيارته أو بين أهله وأولاده، أو عـمله ونحـو ذلك، يحـرص على ذكر الله تعـالى بالتسبـيح، والتحميد، والتكبـير، والاستغفار، فـإنه ما حرص المرء على ذلك وأداه بخشوع وخـضوع وانكسار كان ذلك سببًـا كبيرًا من أسباب الخـشوع في الصلاة بإذن الله، وأن يعلم الواحـد منا علم اليقين أنه إذا خـشع في صلاته وذكـره فإنه يتـصف بصفات أوليـائه سبحانه وأحبـابه الذين قال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٠).

وحري بمن اتصف بصفات أولياء الله سبحانه وتعالى وأحبابه أن يكون ركبهم يوم القيامة. ولنستـمع يا عباد الله إلى هذا النداء الإلهي العظيم من الله الكريم والذي هو موعظة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد: ١٦).

احفظ الله يحفظك (١)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وبعد:

★ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصُّحُفُ».**

★ وفي بعض الروايات: **«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».**

★ «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك».

★ «واعلم أن النَّصْرَ مع الصَّبرِ».

★ «وأن الفرج مع الكَرْبِ».

★ «وأن مع العُسْرِ يُسْرًا».

عِبَادَ اللَّهِ . . . لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ مناسبة من المناسبات، ولا فرصة من الفُرَصِ إلاَّ انتهزها للتعلم، والهداية والإرشاد، والنُّصح. حتى كانت حياتُه كلها بمثابة تعليم وتبليغ لدين الله، ونصح وإرشاد لعباد الله في أقواله، وأعماله، وأخلاقه، وتقريراته، وفي خلواته، وجلواته، وفي إقامته وسفره، وفي سلمه و حربه، وفي يقظيه ومنامه، فإذا نامَ عَلَّمَ الناس متى وكيف ينامون ومتى وكيف يَصْحُون. وكان ابن عمه عبد الله بن عباس رديفه على دابة ذات يوم، إذ كان غلامًا طَرَّ شاربه لم يزد عمره على ثلاث عشرة سنة أو خمس عشرة سنة. فانتهز الرسول ﷺ الفرصة المواتية، فألقى عليه درسًا تعليميًا في أمهات كبرى من أمهات العقيدة الإسلامية، وهما على ظهر الدابة السائرة بهما إلى غايتهما في الطريق.

قال ﷺ لابن عباس: «احفظ الله يحفظك» يراد من حفظ العبد لربه حفظ حقوقه عليه، وحفظ حدوده التى اشتملت عليها أوامره ونواهيه، وشرائعه ووصاياه من أن يتعداها أو يقع فيها بالمعصية والمخالفة في فعل أو ترك.

ولا يتحقق هذا الحفظ من الإنسان حتى يكون مراقبًا لله ـ عزَّ وجلَّ ـ عند كل عمل يعمله أو نية ينويها، أو خاطر يمر به، أو وسواس شيطان ينزغ في نفسه أو تسويل تسوله له نفسه له.

وهذه المراقبة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ تجعل العبد يستبصر مع كل حركة أو سكنة أو تصرف إرادي من تصرفاته حقوق الله عليه، وحدود أوامره، ونواهيه، وشرائعه، ووصاياه، وثوابه، وعقابه، فيخشى الله، ويطمع بثوابه، فيحفظ إرادته من أن

تختار تعدي حدود الله، أو الوقوع فيها، ويحفظ نفسه من الوقوع في المعصية، ويحفظ أهواءه وشهواته، وغرائزه ودوافعه من أن تفترس سعادته المؤجلة لِلذَّات ضئيلات مُعَجَّلة.

فمن حرص على أن يحفظ الله - عزَّ وجلَّ - على هذا الوجه، طمعًا برضوانه وثوابه، وخوفًا من سخطه وعقابه، ذكره وراقَبَهُ في سره وعلنه، وراقب أوامره ونواهيه، ووصاياه وحدود شريعته، واحضر في تصوره ثوابه وعقابه، وجنته وناره، ونعيمه وعذابه، وراقب من خلال مراقبته نفسه وإرادته ونيته وأعماله وخواطره وشهواته، وأهواءه، ووساوس الشياطين وتسويلاتهم؛ وبهذه المراقبة يندفع بيسر إلى حفظ حدود الله من طغيان نفسه، أو عصيانها، ومن جنوح أهوائه وشهواته، ومن تخاذل إرادته، فيحمي نفسه ويصونها من مزالق المعاصي والمخالفات والآثام فيكون بذلك من أهل الطاعة والاستقامة، وأما ثواب من حفظ الله فمع الفوز بجنات النعيم أن يحفظه الله في الدنيا والآخرة. فيمنحه المعونة حتى لا يقع في المعاصي والآثام، ويحفظه من عثراته العابرات بالعفو والغفران، فيقيل عثراته ويكفر عن سيئاته ويحفظه من العقاب ويحفظه أيضًا في حياته من عذاب المكاره والمصائب، فإذا قضت حكمته بابتلائه بشيء منها لَطَفَ به، وأمده بالرضا والسكينة ومشاعر السعادة القلبية، ثم تكون له هذه المكاره وسائل لخير عظيم يناله، ومجد كبير يظفر به. وكل ذلك من الحفظ الرباني له. ثم يحفظه بعد الموت من عذاب القبر الذي هو عنوان عذاب فترة البرزخ بين الموت والبعث، ثم يحفظه بعد البعث في موقف الحساب، ثم من عذاب النار.

قوله ﷺ: **«احفظ الله تجده تجاهك»**، أي تجده مسرعًا في معونتك، وتلبية دعائك، وتحقيق مطالبك من الخير، فهذا التعبير كناية عن سرعة المعونة، وتلبية الدعاء، وتحقيق الرغائب من الخير، لأن من كان قريبًا منك وفي مواجهتك، وأنت محبوب لديه، لم تطلب منه شيئًا إلاَّ آتاك إياه، ولم تقع في مأزق حرج إلاَّ كان عونك ونصيرك ومنقذًا لك.

ورغم أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مع عباده جميعًا في كل أحوالهم، إلاَّ أن معيته الخاصة المصحوبة بالعون والنصر وتلبية المطالب بسرعة، إنما تكون لأهل القرب المعنوي من الله بالتقوى، والبر، والإحسان، وهم الحافظون لحدود الله ولحقوقه عليهم، والذاكرون له كثيراً، الذين تقل غفلاتهم عنه، فيكون الله لهم ذاكرًا، وحامدًا وشاكرًا، ومعينًا، ومجيبًا، وناصرًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي إذا سئل أعطى، وإذا دعيَ أجاب، له الملك وله الأمر، وإذا قال للشيء: كن، كان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد...

وقوله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله» السؤال قسمان:

سؤال دعاء: لتحقيق أمر لا تجلبه في العادة الوسائل الإنسانية، وهذا الدعاء لا يكون إلاَّ لله وحده لا شريك له، وهو مظهر من مظاهر الإيمان به، وأثر من آثار هذا الإيمان، فمن دعا غير الله لتحقيق مثل هذا الأمر فهو بالله مشرك؛ وعليه فيكون معنى قول الرسول ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله» إذا سألت داعيًا لأمر ما من أمور دنياك أو آخرتك فاسأل الله وحده وادعه وحده، ولا تسأل غيره، ولا تسأل معه أحدًا، لأن سؤال غيره ـ عزَّ وجلَّ ـ شركٌ به، وهذا الشرك ينقض الإيمان.

وسؤال سببي: لتحقيق أمر ما بسبب يملك الناس اتخاذه، ضمن نظام الأسباب الكونية ومسبباتها.

وسؤال غير الله في مثل هذا القسم لا مانع منه عقيدة ولكن في الوصية النبوية لعبد الله بن عباس توجيه لعفة النفس وترفعها عن سؤال الناس تفضلاً بالعطاء في أي أمر من أمور الدنيا، ضمن حدود نظام الأسباب والمسببات، لأن الترفع عن سؤال الناس أكرمُ للمؤمن وأفضل له، أكثر ثقة بالله وإيمانًا بقضائه وقدره، وتعلقًا بعونه

وتأييده ونصره، وتحقيق المطالب، فهو ـ عزَّ وجلَّ ـ مسبب الأسباب، وخالق كل شيء وبيده مقاليد «مفاتيح كل شيء».

غير أن هذا لا يتنافى مع اتخاذ الوسائل والأسباب الإنسانية ليس فيها سؤال عطايا الناس ومنحهم من أموالهم أو من أنفسهم. وضمن حدود هذا المعنى وجدنا أن النبي ﷺ بايع جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا منهم: أبو بكر الصديق، وأبو ذر، وثوبان ﷺ، فكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه تَرَفُّعًا عن أن يرزءوا أحدًا شيئًا، وعلو همة وثقة بالله، ولئلا يكلفوا أحدًا شيئًا ربما ثقل على نفسه القيام به، فإذا فعله فإنما يفعله استحياءً وقلبه غير راغب.

ولا يدخل في هذا سؤال العلم والمعرفة مما ينفع الإنسان في دينه وذلك لأن من حق الجاهل أن يسأل العالم ما عنده من علم نافع في الدين، فإذا سأله سأل حقه، ولم يسأل تفضلاً، وإن كان للمعلم ثوابُ عطاء العلم، وفضلٌ على المتعلم.

وسؤال الله من عناصر عبادته، والله يحب أن يُعْبَدَ بالسؤال والدعاء لأنه أثر للإيمان به وفرع عن ذكره.

وقوله ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله» الاستعانة كالسؤال قسمان أيضًا:

الأول ـ الاستعانة لتحقيق أمر لا تجلبهُ في العادة الوسائل الإنسانية التي مكَّنَ الله الناس من اتخاذها لتحقيق مسبَّباتها، إنما يرتبط في العادة بأسباب ووسائل غيبية.

وهذه الاستعانة لا يصح أن تكون إلاَّ بالله وحده لا شريك له، فلا يستعان بجن ولا ملائكة ولا أرواح لأن ذلك شرك أو طريق إلى الشرك.

والاستعانة بالله من عناصر عبادته، والله يحب أن يُعْبَدَ بالاستعانة لأنها أثر للإيمان به وفرع عن ذكره. والاستعانة بالله وحده بالنية إلى هذا القسم هي مظهر من مظاهر توحيد الله في ربوبيته وإلهيته، ومظهر من مظاهر الإيمان بأنه هو الذي بيده كل



شيء، وهو على كل شيء قدير، فلا شريك له سبحانه في الخلق والتقدير والتسلُّطُ الغيبي على أي أمر من الأمور.

والاستعانة بغير الله في هذا القسم شرك به.

وليس من الاستعانة بغير الله في حدود هذا القسم الاستعانة بدعاء أهل الصلاح عسى أن يقبل الله شفاعتهم، فهي في الحقيقة استعانة بالله لأنها ترجع إليه.

وليس من الاستعانة بغير الله تسخير قوى مادية خفية، أو طاقات كونية غير مرئية كالمغناطيس وأنواع من الأشعة وغير ذلك، لأنها أشياء قد سخرها الله للناس، فظهرت لبعضهم وخفيت عن الآخرين، ومن هذا القبيل استعانة سليمان ﷺ بالجن وبالذي عنده علم من الكتاب.

الثاني ـ الاستعانة لتحقيق أمر بسبب كوني من الأسباب التي مكن الله الناس من اتخاذها لتحقيق مسبباتها.

وهذه لا مانع منها شرعًا، ولكن في الوصية النبوية لعبد الله بن عباس توجيه لعفة النفس وترفعها عن الاستعانة بالناس على سبيل التفضل منهم عليه، والإحسان منهم إليه، في أي أمر يملكون المعاونة فيه من أمور الدنيا ضمن حدود نظام الأسباب والمسببات.

وذلك لأن الترفع عن الاستعانة بالناس على سبيل التفضل مِنْهُم على طالب المعونة أكرمُ للمؤمن وأفضل له، وأكثرُ ثقة بالله، وتوكلاً عليه وإيمانًا بقضائه وقدره، ما لم تلجئه الضرورة أو الحاجة الماسة إلى ذلك ولا يدخل في هذا القسم الاستعانة المأجورة، إذ هي من قبيل بيع المعونة ذات القيمة المالية بشيء ذي قيمة مالية، وهي مبادلة ومعاوضة.

احفظ الله يحفظك (٢)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وبعد:

عباد الله . . . وإتمامًا لشرح قول النبي ﷺ: **«وإذا استعنت فاستعن بالله»**، فللمؤمن مهما أراد التَّرفُّعَ عن الاستعانة بالناس أن يستأجر إنسانًا ما برضاه التام ليقدم له معونة في عمل يحتاج هو فيه إلى معونته، بل ينبغي له أن يستعين في أموره التي لا يستطيع القيام بها بنفسه بآخرين استعانة مأجورة بأجر مثلها، وقد يجب عليه ذلك، كالأمور الضرورية لحياته، وقد وزَّع الله الخصائص بين الناس، ورفع بعضهم فوق بعض ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا، وقوله ﷺ: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصُّحُفُ».**

وبنحو المراد منه ما جاء في الرواية الثانية: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن لِيُصِيبَكَ، وما أصابَكَ لم يكنَ لِيُخْطِئَكَ**»، واشتملت هاتان الفقرتان على عنصر من عناصر الإيمان بالقضاء والقدر الخاضع لسلطان الله وحده لا شريك له.

فما من شيء في هذا الكون الكبير يَحْدُثُ إلاَّ بعلم الله، وبإرادته وقدرته، أو إذنه وتمكينه، وقد سبق في علم الله أنه سيحدث في الوقت الذي يتحقق حدوثه فيه، وعلى الصفة التي حدث عليها، وما سبق في علم الله قد كُتِبَ في اللوح المحفوظ، ثم في صحف ملائكة التنفيذ وكتبهم بأمر الله، ليقوموا بوظائفهم الموكولة إليهم بدقة تامة على وفق أمره ـ عزَّ وجلَّ ـ، كما قال تعالى بشأنهم: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٦-٢٧). فالنفع والضر كلاهما بيد الله عزَّ وجلَّ، لا يُنْفَعُ أحدٌ بشيء لم يَقْضِهِ اللهُ ويقدره، أو لم يأذن به.

ومن تطبيقات هذه الكلية الكبرى من كليات صفات الله العظمى ذات الآثار في الخلق والتكوين هذه الحقيقة التي علمها الرسول ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس بمقولته هذه.

قول الرسول ﷺ: «**واعلم أن الأمة**» أي: كل الأمة دون استثناء، قول الرسول ﷺ: «**قد كتبه الله لك .... وقد كتبه الله عليك**» أي: كتبه في اللوح المحفوظ لنفعك، أو بضرِّك، على وفق علمه وحكمته ـ عزَّ وجلَّ ـ وعلمه به مطابق لإرادته، أو إذنه بوقوعه والتمكين منه، ثم يتم التنفيذ بقوانين قدرته وفق مجاري سُنَنِه سبحانه وتعالى.

وقول الرسول ﷺ: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك**»، أي: وما نالك من خير وما أصابك من شر قد سبق به العلم الرباني، وعلم الله لا يتخلف، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يمنعوا عنك ما لك من خير، أو يصرفوا عنك ما أصابك من شر لم يملكوا ذلك، لأنهم لا يملكون تغيير علم الله بما تم به قضاؤه وقدره، أو بما أذن بوقوعه وتحققه من إرادات عبيده الذين منحهم إرادات حرة.

وقول الرسول ﷺ : «رُفِعَتِ الأقلام وجَفت الصحف»، في هذا التعبير كناية عن أن المعلوم المكتوب سيقع حتمًا على وفق العلم والكتابة، بدون تغيير فيه ولا تبديل، والمستقبل فيه كالماضي، أما المحو والإثبات في الكتب فلا يكون نظيره في العلم الرباني، وعلم الله بما سيكون وبما لا يكون لا يمكن أن يتخلف، ولحكمة يمحو الله ما يشاء من الكتب ويثبت. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (سورة الرعد: ٣٩) .

وقول الرسول ﷺ : «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، أي: كن ذاكرًا لربك حالة رخائك، في فكرك ونفسك وقلبك، عابدًا، حامدًا، شاكرًا، سائلا إياه متضرعًا متذللاً في مسألتك له، ولا تنسكَ مَسَرَّاتُكَ في النعمة وسعة العيش واجبك تُجَاهه.

فإذا فعلت ذلك عرفك الله في حالة شدَّتك، أي: أجاب سؤالك ولبى طلبك ورجاءك، وأسعفك بمعونته وفضله، فكشف عنك الشدة ورفع عنك البؤس، والغم، والهم، والكرب.

وقول الرسول ﷺ : «واعلم ان النَّصْرَ مع الصبر» أي: اعلم أن النصر والصبر مُقْترنَان، فمن طلب النصر فإن عليه أن يصبر على ذلك لأن الله مع الصابرين، ومن كان الله معه كان النصر له، وهذا من سُنَنِ الله في كونه، بشرط اتخاذ الوسائل السببية المادية التي أمر الله باتخاذها وفق سننه.

وقد دل القرآن على هذه الحقيقة، فقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٤٥-٤٦) .

الخطبة الثانية:

الحمد لله مفرج الكربات، ومذلل العقبات، وغافر الذنوب والخطيئات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد. . . .

وقوله ﷺ : «وان الفَرَجَ مع الكَرْب» أي: اعلم أن الكرب والفَرَجَ مقترنان، بالنسبة إلى أهل الإيمان بالله والتوكل عليه، فلا يوجد كرب تضيق حلقاته عليهم إلاَّ استَتْبَع فرجًا بفضل الله ومعونته. وهذا من سنن الله في كونه للذين آمنوا به وتوكلوا عليه، فما اشتد كرب عليهم إلاَّ جاءهم الفَرَج بعده من الله مقترنًا به، وعند دبيب مقدمات اليأس من الفرج إلى نفوسهم.

دل على هذه السنة من سنن الله قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (سورة يوسف: ١١٠).

أما الكافرون بالله وبمقاديره فلا فرج لهم من كروبهم، إلاَّ إذا دَعَوُا الله فشاء الله أن ينجيهم ليقيم الحجة عليهم بوحدانيته في الربوبية وفي الإلهية، وذلك لأن الأصل في الكروب بالنسبة إليهم أنها ألوان من العذاب النفسي الذي يصاحبهم بسبب كفرهم.

ولذا قال النبي يعقوب ﷺ لبنيه حين أمرهم أن يتحسسوا من يوسف وأخيه في مصر، إذ ذهبوا لجلب الميرة، كما جاء في سورة يوسف: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة يوسف: ٨٧).

﴿ مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾: أي من رحمته، وما يعطيه للمكروبين من راحة وسعة، وتفريج، ومن سنن الله في الضيق والفرج، والعسر، واليسر.

أنه سبحانه يُقَلِّبُ على عباده النقائض ليمتحنهم، فمرة يمتحنهم باليسر، ثم العسر، فإذا اشتد عليهم الضيق وقنطوا من الفرج فَرَّجَ الله عنهم، ووسَّعَ عليهم ومنحهم منه يُسْرًا بعد عسرٍ، لعلهم يستقيمون على طاعته، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (سورة الشورى: ٢٧-٢٨).

وقوله ﷺ: «وإن مع العُسْرِ يُسْرًا»، أي: أن اليسر مقارنٌ للعسر، واليُسْرُ: السهولة والغِنَى، وضده: العُسْرُ.

فما جاء عُسْرٌ واشتد به الهمُّ والغمُّ إلا تَبِعهُ يُسْرٌ، وهذه السنة من سنن الله في خلقه، وقد ذكرها الله لرسوله فقال له: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (سورة الشرح: ٥). قال البلاغيون: العسرُ في هذه السورة جاء معرفًا في الآيتين، فدل على أنه عسر واحد، أما اليسر فجاء منكراً في الآيتين، فدل على أنهما يسران لا يسر واحد، فاستنتجوا من ذلك أنه عسرٌ بين يُسرين.

وشرط قدوم اليسر بعد العسر تقوى الله؛ قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ وقال فيها أيضًا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (سورة الطلاق: ٢-٤).

وقال فيها أيضًا: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (سورة الطلاق: ٧).

عِبَادَ اللَّهِ . . . من فوائد هذا الحديث في قول الرسول ﷺ لابن عباس يا غلام يعلمنا جميعًا أن نعلم كل غلماننا دروس العقيدة الإسلامية حتى ينشئوا على فهم صحيح لقضايا الإيمان وعلى تمكن فكري وقلبي من الإيمان بها، والعمل بمقتضاها، والتأثر في كل حركات الحياة وسكناتها بحقائقها ثم يقول الرسول له: «إني أعلمك كلمات»، إشارة إلى أنها كلمات قليلات الكم لكنها عظيمات الشأن جليلات الخطر كلمات نفيسات عظيمات فيها خير جليل.

وقد اشتملت هذه الكلمات النبويَّةُ على كليات كبرى وأمهات عظيماتٍ من أمهات العقيدة، ذات الآثار الجليلة في السلوك.

ومن أساليب التربية النبوية وفوائدها في هذا الحديث التلطف في التعليم بالمتعلم والتحبب إليه.

ومن قواعد الجزاء المعجل والمؤجل أن من حفظ الله حفظه الله، وأسرع في تلبية طلباته وتحقيق رغباته من الخير.

ومن ذكر الله وأطاعه وسأله في حالة الرخاء أجابه ولبَّاه في حالة الشدة.
ومن أسس العقيدة الإسلامية أن لا يدعوا المؤمن غير الله، وأن لا يستعين في الغيبيات إلاَّ بالله.

ومن فضائل سلوك المؤمن أن لا يسأل أحدًا غير الله، وأن لا يستعين بغير الله، فيما يملك الناس أسبابه، إذا كان على سبيل التفضُّل منهم عليه والإحسان منهم إليه، أما إذا كان على سبيل اتخاذ الوسائل السببية بكرامة وعفة نفس فهو أمر مأمورٌ به شرعًا.

ومن فوائد هذا الحديث أن كل ما هو كائن وكل ما سيكون وكل ما لم يكن، وكل ما لا يكون، قد سبق به العلم الرباني ولا سبيل إلى تغييره وتبديله ـ ولو اجتمعت كل الخلائق ـ وأن النصر يأتي عقب الصبر إذ اسْتُكْمِلَت الوسائل السببية الأخرى واقترن بها صدق التوكل على الله والاعتماد عليه واللجوء إليه. وأن الفرج يأتي عقب الكرب بالتوكل على الله والاعتماد عليه واللجوء إليه، وأن اليسر يأتي عقب العُسْر، بالثقة بالله واللجوء إليه، والتوكل عليه.

الإســراء والمعــراج (١)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أجارنا الله وإياكم والمسلمين من النار.

أيها الأحبة في الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الإسراء والمعراج وللموضوع بقية نسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، الإسراء هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ راكبًا على البراق من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في تلك الليلة، والإسراء ثابت بالكتاب والسنة.

أما القرآن: ففي قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الإسراء: ١).

يستفاد من هذه الآية فوائد ومعانٍ سامية. وذلك أنه بدأ الآية بلفظ ﴿ سُبْحَانَ ﴾ لأن من قدر على هذا فهو مستحق للتنزيه والتقديس، وفيها معنى التعجب، وما أجدر الإسراء أن يُتَعَجَّبَ منه! وفي ذكر العبد في هذا المقام تشريف وتحذير أن يتخذ الإسراء وسيلة لرفع الرسول ﷺ من مقام العبودية إلى مقام الألوهية. وذكر لفظ ﴿ لَيْلاً ﴾ مع أن الإسراء لا يكون إلاَّ ليلاً، للإشارة إلى أنه في جزء من الليل، والمسجد الحرام بمكة: وسمي حرامًا لحرمته، والمسجد الأقصى: وسمي بالأقصى لبعده من المسجد الحرام، والمراد بقوله﴿ بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ البركات الدينية والدنيوية، أما بركاته الدينية فلكونه مقر الأنبياء، ومهاجر الكثير منهم وقبلتهم ومهبط الملائكة، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، والتي يضاعف فيها ثواب الصلاة.

وأما الدنيوية فلما يحيط بها من الأنهار الجارية، والزروع والبساتين النضرة، ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ المراد بها ما أراه الله لنبيه في هذه الليلة من مخلوقات الله وآلائه، وجلاله، وعجائب صنعه، والتعبير بـ﴿ مِنْ ﴾ هنا غاية البلاغة، لأن الله أرى نبيه بعض آياته لا كلها، إذ آيات الله لا تنتهي، ولا يتسع لها قلب بشر وما أبلغ أن يختم الآيه بقوله: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فهو عدة للمؤمن بالإسراء الجميل والثواب الجزيل ووعيد للمكذبين المرجفين.

أما أحاديث الإسراء فستأتي فيما بعد ـ إن شاء الله ـ.

أما المعراج فهو ثابت في الأحاديث الصحيحة التي رواها البخاري ومسلم وغيرهما. وجمهور السلف والخلف من العلماء على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وبروح الرسول ﷺ وجسده، وهو الذي يدل عليه قوله تعالى في أول سورة الإسراء ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ ولا يكون إلاَّ بالروح والجسد. وهناك أحاديث صحيحة تشير إلى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد منها أنه شُقَّ صدره الشريف، وركب البراق،

وعُـرِجَ به إلى السمـاء، ولاقى الأنبيـاء وفـرضت عليه الصلوات الخـمس، وأن الله كلمه، وأنه كان يرجع بين موسى عليه السلام وبين ربه - عزَّ وجلَّ -.

وأما متى كان الإسراء والمعراج فقد بين ذلك شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في كتـابه مجموع فتاوى ومقالات ، فـقال - غفر الله لنا وله -: «وهذه الليلة التى حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخـصوها بشيء من العـبادات، ولم يجـز لهم أن يحـتفلوا بهـا؛ لأن النبي ﷺ وأصحـابه ﷺ لـم يحتـفلوا بها، ولـم يخـصوها بشيء، ولو كـان الاحتـفال بهـا أمرًا مشروعًا لبينـه الرسول ﷺ للأمـة، إما بالقول وإما بالفعل، ولو وقع شيء من ذلك لَعُرِفَ واشتهـر، ولنقله الصحابة ﷺ إلينا، فقد نقلوا عن نبيـهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة، ولـم يفرطوا في شيء من الدين، بل هم السـابقون إلى كـل خير، فلـو كان الاحتفـال بهذه الليلة مشروعًا لكانوا أسـبق الناس إليه، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس، وقـد بلغ الرسـالة غاية البـلاغ، وأدى الأمـانة، فلو كان تـعظيم هذه الليلة والاحتـفال بهـا من دين الله لم يغفله النبي ﷺ ولم يكـتمه، فلمـا لم يقع شيء من ذلك، علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وأتم عليـها النعمة، وأنكر على من شـرع في الدين ما لم يأذن به الله. قال سبحانه وتعـالى في كتابه المبين من سورة المائدة: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ (سورة المائدة: ٣) . . إلخ»[١].

(١) مجـموع فتـاوى ومقالات متـنوعة، بتأليف الشـيخ عبد العـزيز بن عبد الله بن باز - رحـمه الله -، التوحيد وما يلحق به، الجزء الأول ص١٨٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أعطى نبيه جميع المعجزات وأكبر المهمات، حيث أرسله للناس كافة وللإنس والجن عامة، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد. . . .

عباد الله . . . ثبت في رواية مسلم أن النبي ﷺ سُئِلَ عن صوم يوم الإثنين؟ قال: **«ذاك يوم ولدت فيه، وفيه بُعِثْتُ، وفيه أُنْزِلَ عَلَيَّ» أي القرآن**[١].

وأما أحاديث الإسراء، فمنها قول الرسول ﷺ: **«فُرِجَ عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري (شقه)، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه»**[٢].

قال رسول الله ﷺ: **«أُتِيتُ بالبراق. وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طَرْفه.، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه تحية المسجد ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة»**[٣].

وخلاصة الإسراء والمعراج ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير حيث قال: والحق أنه ﷺ أُسْرِيَ به يقظةً لا منامًا من مكة المكرمة إلى بيت المقدس راكبًا البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فَصَلَّى في قبلته تحية المسجد ركعتين، ثم أتي بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها، فصعد فيه إلى السماء

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥).
(٢) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، وأحمد (٥/ ١٢٢).
(٣) رواه مسلم (١٦٢).

الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع، فتلقاه من كل سماء مقربوها، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مر بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوز منزلتهما ﷺ وعليهما وعلى سائر الأنبياء، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام «أي أقلامُ القَدَرِ بما هو كائن» ورأى سدرة المنتهى، ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه، لأنه ـ أي البيت المعمور ـ يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ورأى الجنة والنار.

وفرض الله عليه هنالك الصلوات الخمسين، ثم خففها إلى خمس رحمةً منه ولطفًا بعباده، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها، ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء، فصلى بهم لما حانت الصلاة، ويحتمل الصبح من يومئذ ومن الناس من يزعم أنه أَمَّهُم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه عند رجوعه إليه، لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحدًا واحدًا، وهو يخبرهم، وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوبًا إلى الجانب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى.

ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل ﷺ في ذلك، ثم خرج من بيت المقدس، فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله أعلم، وأما عرض الآنية من اللبن والعسل، أو اللبن والخمر، أو اللبن والماء، أو الجميع، فقد ورد أنه في بيت المقدس، وجاء أنه في السماء، ويحتمل أن يكون ها هنا وها هنا؛ لأنه كالضيافة. والله أعلم.

عِبَادَ اللهِ . . . في هذا المقام إحـذر من رواية الإسراء والمعـراج المنسوبة إلى ابن عباس، فقد تكلم فيها أهل العلم على أنه لا يُعْتَمَدُ عليها وفي صحتها شك. وكذلك الكلام عن الإسراء والمعراج في كتاب (حياة محمد ﷺ) للدكتور محمد حسين هيكل فقـد وقع ذلك المؤلف في وحدة الوجـود حين أن كتب عن ذلك فقـال في كتـابه ما قال، وهذه الفكرة خاطئة وافدة إلى الإسلام فـيما وفد إليه من آراء فاسدة، وهي من مخلفات الفلسفات القديمة، وقد انتصر لهـا وتشيع بعض المتصوفة الذين ينتسبون إلى الإسلام وكتب فيـها، فكان عاقبتهم الإلحاد في الله وصفـاته، ومقتضى هذا المذهب: أن الوجـود واحد فـليس هنالك خـالق ومخلوق، ولا عـابد ومـعـبود، ولا قـديم وحادث، وعابد، والأصنام والكواكب والحيـوانات حين عبدوها إنما عبدوا الحق؛ لأن وجودها وجود الحق، إلى آخـر خرافاتهم التي ضَلُّوا بسببهـا، وأَضَلُّوا غيرهم، والتي أَضَرَّت بالمسلمين.

الإســراء والمعــراج (٢)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأراه من آياته الكبـرى، أحمده وأشكره، وأصـلي وأسلم على خاتم الأنبـياء وإمام الصـلحاء محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإن أصـدق الحديث كلام الله، وخيـر الهدي هدي محـمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . فـإن حديثنا اليـوم ـ بإذن الله ـ حـول ما تبـقى لنا من الإسـراء والمعراج فمن عِبَرِ الإسراء والمعـراج شق صدره ﷺ : فمن أراده الله لأمر عظيم أعده إعدادًا قويًا، فموسى ﷺ حينما أرسله الله إلى الطاغية فـرعون جعل له آية العصا، وأجرى له تجـربة عملية، حـتى لا يخاف عندما تنقلب حـية تسعى. كـذلك الرسول محـمد ﷺ شق جبـريل صدره، وملأه حكمـةً وإيمانًا، ليتـأهب لما يراه في الإسراء والمعراج، والقلب إذا طاب بالإيمان طاب الجسد كله، كما قال النبي ﷺ : **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب»**[1].

---

(١) صحيح البخاري (١/١٢٦)، ومسلم (١٥٩٩).

ومن عِبَر الإسراء والمعراج: البُراق: فقد جرت عادة الملوك والأكابر إذا دعوا إلى ضيافتهم عزيزاً عليهم أرسلوا إليه مركوبًا يحمله، ودليلاً يؤنسه وهذا ما فعله المولى الكريم بنبيه محمد ﷺ حين أرسل إليه جبريل بالبراق وإن أهل الجنة يغدون إليها راكبين مكرمين كما قال عنهم ربهم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (سورة مريم: ٨٥).

ومن عبر الإسراء والمعراج: ربط البراق بالحَلْقَة: فقد علمنا الرسول ﷺ أن نأخذ بالأسباب فربط البراق بالحَلْقَة وهو لا ينافي التوكل، وقد قال النبي ﷺ للأعرابي الذي كانت معه ناقته: «**اعقلها وتوكل**»[1].

ومن عبر الإسراء والمعراج: مروره ﷺ بالمسجد الأقصى وصلاته بالمسجد ولقاؤه بالأنبياء: والحكمة من ذلك أن يفهم الناس أن دعوة الرسول ﷺ عامة لكل بلد، بل تسير مسرى الشمس والقمر، وأن اقتداء النبيين بالرسول ﷺ دليل على أن شرعه ناسخ وأن الاقتداء به واجب على الأنبياء وغيرهم. وفي مسراه ﷺ إشارة إلى وحدة الأنبياء في دعوتهم إلى الإيمان والتوحيد، وربط الأماكن المقدسة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والعبرة من زيارة الرسول ﷺ للمسجد الأقصى هو التلويح والإشارة للمسلمين أن يشدوا الرحال إليه، ويطهروه من الوثنية، واليهودية المجرمة، وبشارة لهم بفتح بيت المقدس.

ومن عبر الإسراء والمعراج: سنة التعارف: فقد قام جبريل بسنة التعريف بالأنبياء في السماء، وأن التعارف من سنن الإسلام، لأنه سبيل المحبة والتعاون بين المسلمين، فعلى المسلم أن يتعرف على أخيه ويسأله عن اسمه.

ومن عبر الإسراء والمعراج: شعور الأب نحو أولاده: فقد رأى الرسول ﷺ آدم في السماء يضحك فرحًا حينما يرى أولاده السعداء، ويبكي ألمًا حينما يرى أولاده

---

(١) حسن: «صحيح الجامع» (١/ ٢٤٢) برقم(١٠٦٨).

الأشقياء، وهذا شعور كل والد نحو ولده، فليت الأولاد يُقَدِّرون هذا ويسلكون طريق السعادة والخير؛ ليدخلوا الفرح على أبيهم، ويبتعدوا عن الشقاء لئلا يحزنون.

ومن عبر الإسراء والمعراج: الجراة في الحق: فلقد صارح الرسول ﷺ قومه بما رأى في إسرائه، ولم يحسب حسابًا لتصديقهم أو تكذيبهم، وفي هذه الجرأة قدوة للمصلحين أن يجهروا بالحق، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٩).

ومن عبر الإسراء والمعراج: أن كل العبادات نزل بها الوحي على الرسول ﷺ وهو في الأرض، أما الصلاة فقد رفع الله رسوله إلى فوق السموات، حتى فرضها عليه وعلى أمته، أليس هذا دليلاً على أهمية الصلاة، وأنها معراج أرواح المؤمنين إلى رب العالمين؟ ومن فضل الله العظيم أن الصلاة فُرضَتْ خمسينًا في الأصل، ثم خففت إلى خمس بشفاعة الرسول الكريم ﷺ، وبقي الأجر في الأصل خمسينًا.

ومن عبر الإسراء والمعراج: إثبات العلو لله تعالى: وهو أن عروج الرسول ﷺ إلى السموات العلى، وإلى سدرة المنتهى حتى كلمه ربه تعالى دليلٌ واضحٌ على علو الله تعالى فوق سماواته، علمًا بأن هناك أدلة صريحة من القرآن والأحاديث على ذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (سورة البقرة: ٢٩). قال مجاهد وأبو العالية: ﴿اسْتَوَىٰ﴾ علا وارتفع.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على نبي الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد...

عِبَادَ اللَّهِ ... من عبر الإسراء والمعراج أن الله قد أوصل نبيه ﷺ إلى السموات العلى، حتى بلغ سدرة المنتهى، فكان هذا المعراج رمزاً للارتفاع عن حياة مليئة

بالمشكلات والمظالم، إلى عالم تسوده الرحمة والطمأنينة، لَئِنْ صَعِدَ الإنسان في هذا العصر المادي إلى الفضاء وحاول الوصول إلى القمر، ليسيطر بظلمه على عالم آخر، فلقد رفعك الله يا رسول الرحمة فوق سماواته إلى مكان لم يصله غيرك، لتنقذ العالم وتحرر هذا الإنسان من العبودية لغير الله وتخلصه من ظلم أخيه الإنسان، ثم نزلت إلى الأرض لتنشر بتعاليمك السمحة العدل والرحمة للناس كافة ألا ما أحوج الإنسان اليوم إلى هذه التعاليم، ليرتفع من حضيض المادة ويتطلع نحو السماء، فيعيش بروحه وأخلاقه، وتنجو الإنسانية المهددة بالحروب من ظلمه وجشعه.

عِبَادَ اللهِ . . . نتطرق في مقامنا هذا لشيء من فضائل الإسراء والمعراج فمن ذلك غفران الذنوب لمن لم يشرك بالله شيئًا فعن عبد الله بن مسعود قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فَيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فَيُقْبَضُ منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ (سورة النجم:١٦). قال: فَرَاشٌ من ذهب (أي طيورٌ من ذهب) قال: فأُعْطِيَ رسول الله ﷺ ثلاثًا: أُعْطِيَ الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا.

ومن الفضائل أيضًا: دعاء التعوذ من الجن: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«رأيت ليلة أُسْرِيَ بي عفريتًا من الجن يطلبني بشعلة من النار كلما التفتُّ إليه رأيته»، فقال جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن، فتنطفئ شعلته ويَخرُّ لفيه؟ قال رسول الله ﷺ: «بلى»، فقال جبريل: قل: أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل، إلاَّ طارقًا يطرق بخير يا رحمن»**[1].

---

(١) «صحيح الجامع» برقم (٧٤)، و«الصحيحة» (٨٤٠).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/١٨)، رواية أبي هريرة رضي الله عنه، قال: هي مطولة جدًا وفيها غرابة. الطبري (٩/ ١٠-١٦).

ومن فضائل الإسراء والمعراج: ثواب المجاهدين في سبيل الله: فقد مر رسول الله ﷺ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم!! كلما حصدوا عاد كما كان!! فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال جبريل: **«هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، فيضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء، فهو يخلفه وهو خير الرازقين»**[٢].

ومن الفضائل كذلك: تخفيف الصلوات من خمسين إلى خمس صلوات، مع بقاء أجر خمسين صلاة.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن معجزة الإسراء والمعراج لنبيه محمد ﷺ من أعظم المعجزات وإن أكبر المعجزات الدائمة لسيدنا محمد ﷺ هي القرآن الكريم الباقي إلى يوم القيامة، وأُعْطِيَ نبينا محمد ﷺ معجزات حسية كثيرة فاقت الأنبياء قبله؛ فقد نُقِلَ عن الإمام الشافعي أنه كان يقول: «ما أعطى الله نبيًا إلاَّ وأعطى محمدًا ﷺ ما هو أكثر منه، فقيل له: أعطى عيسى بن مريم إحياء الموتى، فقال الشافعي: حنين الجذع أبلغ؛ لأن حياة الخشبة أبلغ من إحياء الموتى، ولو قيل: كان لموسى فَلْقُ البحر، عارضناه بفلق القمر، وذلك أعجب؛ لأنه آية سماوية، وإن سئلنا: عن انفجار الماء من الحجر، عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ ؛ لأن خروج الماء من الحجر معتاد، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب، ولو سُئِلْنا: عن تسخير الرياح لسليمان، عارضناه بالمعراج».

اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم أمنا في دورنا، اللهم حكِّمْ فينا كتابك وسنة نبيك محمد ﷺ ، اللهم ألهمنا رشدنا، واجمعنا على العروة الوثقى أحينا عليها وأمتنا عليها، يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك الأمن في البلد والعافية في الأهل والولد، واختم لنا بخير يا أرحم الراحمين.

أحكام الصيام

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان شهر الغفران، وجعله من أفضل أيام الزمان فيه أُنزِلَ القرآن، جعله الله دستورًا للمسلمين في كل زمان ومكان، ويوم أن حادوا عنه ذاقوا بذلك الشر والهوان، والخيبة، والخسران، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١). أما بعد . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . حديثنا اليوم - بإذن الله - عن أحكام الصيام، فمنها أنه يجب بأربعة شروط وهي الإسلام فلا يجب على كافر حتى يسلم، والعقل فلا يجب على مجنون حتى يعقل، والبلوغ فلا يجب على صغير حتى يبلغ، ولكن يؤمر به الصغير إذا أطاقه ليعتاده، والقدرة على الصيام فلا يجب على العاجز عليه لكبر أو مرض لا يرجى شفاؤه ويطعم عن كل يوم مسكينًا، وشروط صحة الصوم ستة وهي: الإسلام فلا يصح من كافر حتى يسلم، ولا يصح من مجنون حتى يعقل ولا يصح من

الصغير حتى يميز، ولا يصح من الحائض حتى ينقطع دمها ولا يصح من النُّفَسَاء حتى تَطْهُر، ولا يصح بدون نية ومحلها القلب، وسنن الصوم تأخير السحور إلى آخر جزء من الليل ما لم يخش طلوع الفجر، ومن سننه تعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس، وأن يقول إذا شُتِمَ إني صائم فلا يسب من سبه بل يقابل ذلك بالإحسان ليفوز بالأجر ويسلم من الإثم، ومن سننه أن يدعو عند فطره بما أحب ومن ذلك أن يقول: **«ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»**[1].

ومن سننه أن يفطر على رطب فإن عدمه فعلى تمر ويباح الفطر في رمضان لأربعة أقسام من الناس وهم: المريض الذي يتضرر به، والمسافر الذي له القصر فالفطر لهما أفضل وعليهما القضاء وإن صاما أجزأهما، ويباح الفطر للحائض والنُّفَسَاء تفطران وتقضيان وإن صامتا لم يُجْزِهِمَا.

ويباح الفطر للحامل، والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وقضتا وأطعمتا عن كل يوم مسكينًا، وإن صامتا أجزأهما، وإن خافتا على نفسيهما أفطرتا وقضتا فقط. ويباح الفطر للعاجز عن الصوم لِكِبر، أو مرض لا يُرْجى شفاؤه فإنه يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا.

ومن مفسدات الصوم الجماع في الفرج في نهار رمضان فهو محرم، وعلى من جامع القضاء والكفارة المغلظة وهي عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا، ومن مفسدات الصوم الأكل والشرب عمدًا فإن كان ناسيًا لم يفسد صومه، ومن مفسدات الصوم حقن الإبر المغذية، وحقن الدم بسبب النزيف مثلًا. فأما الإبر التي لا تغذي فقد اختلف العلماء فيها والأولى عدم ضربها إلا لضرورة حتى يفطر الصائم خروجًا من الخلاف، ومن مفسدات الصوم إنزال المني في اليقظة باستمناء أو مباشرة أو تقبيل، ونحو ذلك باختياره وأما الإنزال بالاحتلام فلا يُفَطِّر لأنه بغير اختياره.

---

(١) رواه أبوداود (٢/٣٠٦)، انظر: «صحيح الجامع» (٤/٢٠٩).

ومن مفسداته: خروج دم الحيض والنفاس فمتى رأت المرأة الحيض أو النفاس فَسَدَ صومها. ومن مفسداته: التقيؤ عمدًا وهو إخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم فإن خرج من غير قصد لم يُفَطِّر. ومن مفسداته: الردة عن الإسلام أعاذنا الله والمسلمين منها.

ويشترط للفطر بالمفطرات السابقة أن يكون عالمًا ذَاكرًا مختارًا فإن كان جاهلًا أو ناسيًا أو مكرهًا لم يفسد صَومه ومما لا يفطر كل ما لا يمكن الاحتراز منه كغبار الطريق، والرعاف، والنزيف، والاحتلام، وغلبة القيء، ونحو ذلك فإنه لا يفطر.

ومن خصائص شهر رمضان الصوم إيمانًا واحتسابًا، وقيامه كذلك إيمانًا واحتسابًا وإنزال القرآن فيه هدى للناس وبينات من الهُدَى والفرقان، وفيه ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر وهي ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر.

* وفي رمضان غزوة بدر الكبرى التي فرق الله في صبيحتها بين الحق والباطل.
* وفي رمضان كان فتح مكة ونَصَرَ الله رسولهَ حيث دخل الناس في دين الله أفواجًا.
* وفي رمضان تُفْتَحُ أبواب الجنة والرحمة، وتُغْلَقُ أبواب النار، وتُغَلُّ الشياطين.
* وفي نهار رمضان خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.
* وفيه تستغفر الملائكة للصائمين حتى يُفْطِرُوا.
* وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة.
* ومن خصائصه أن الله يغفر للصائمين في آخر ليلة من رمضان.
* وذلك أن العامل يُوَفَّى أجره إذا قضى عمله.

وكم في رمضان من البركات، والخيرات، فيجب أن نغتنم هذه الفرصة لنتوب إلى الله تعالى ونعمل صالحًا عسى أن نكون من المقبولين الفائزين.

عِبَادَ اللَّهِ . . . منْ الناس من يحرص على صيام رمضان والصلاة في رمضان فقط ولكنه لا يصلي بعد انتهاء رمضان، فالصلاة ركن من أركان الإسلام وهي آكد

الأركان بعد الشهادتين وهي من فروض الأعيان من تركها جاحدًا لوجوبها أو تركها تهاونًا وكسلًا فقد كفر.

أما الذين يصومون رمضان ويُصَلُّون في رمضان فقط فهذه مخادعة لله، فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلاَّ في رمضان فلا يصح لهم صيام مع تركهم الصلاة في غير رمضان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين نحمده - سبحانه وتعالى - ونستعينه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا .أما بعد...

عباد الله ... إن الحكمة من إيجاب الصوم هي التقوى والتعبد لله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٢).

والتقوى هي ترك المحارم وهي عند الإطلاق تشمل كل المأمور به وترك المحظور وقد قال النبي ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**؛ وعلى هذا يتأكد على الصائم اجتناب المحرمات من الأقوال والأفعال فلا يغتاب الناس، ولا يكذب، ولا ينم بينهم، ولا يبيع بيعًا محرمًا، ويبتعد عن جميع المحرمات، وإذا فعل الإنسان ذلك في شهر كامل فإنه سوف يستقيم بقية العام بإذن الله تعالى، ولكن المؤسف أن كثيرًا من الصائمين لا يفرقون بين يوم صومهم وفطرهم فهم على العادة التي هم عليها من الأقوال المحرمة من كذب، وغش، وغيره ولا تشعر أن عليه وقار الصوم، وهذه الأفعال لا تبطل الصوم ولكن تنقص من أجره وربما عند المعادلة يضيع أجر الصوم.

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد استثنى الله الصيام وأضافه إليه وأنه الذى يُجْزِي به بمحض فضله وكرمه، من غير مقابلة للعمل بالتضعيف الذي تشترك فيه الأعمال، وهذا شيء لا يمكن التعبير عنه بل يجازيهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر امثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلاَّ الصوم فإنه لي وانا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. والصوم جنة، وإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم» (متفق عليه).

يقول الشيخ محمد بن ناصر السعدي في شرح هذا الحديث: ما أعظم هذا الحديث، فإنه ذكر الأعمال عمومًا ثم الصيام خصوصًا وذكر فضله وخواصه، وثوابه العاجل والآجل، وبيان حكمته، والمقصود منه، وما ينبغي فيه من الآداب الفاضلة، كلها احتوى عليها هذا الحديث.

وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء» قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بِكَذِبِهِمْ وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يردوا على حوضي، ومن لم يصدقهم بِكَذِبِهِمْ، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وانا منهم، وسيردوا على حوضي يا كعب بن عجرة الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان - أو قال : برهان - يا كعب بن عجرة، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب بن عجرة الناس غاديان: فمبتاع نفسه فَمُعْتِقُهَا، وبائع نفسه فَمُوبِقُهَا». هذا حديث حسن[1].

---

(١) «الجامع الصحيح» (٢/ ٢٨٧).

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعتاد بعض المسلمين أو أكثرهم إخراج زكوات أموالهم في شهر رمضان ولابد يا عباد الله من إعطائها أهلها المستحقين لها من الأصناف الثمانية، وكذلك ينبغي للمسلم أن يكون له سهم في صدقة التطوع فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سورة سبأ:٣٩). وفي (الصحيحين) من حديث أبي هريرة بلفظ: **«ما من يوم يصبح العباد إلاَّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**[(١)] .

عِبَادَ اللَّهِ . . . والصدقة ليست مختصة بالإعطاء، ففي مصنف أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر قال حدثنا عبد الجبار بن عباس عن عدي بن ثابت عبد الله ابن يزيد عن النبي ﷺ قال: **«كل معروف صدقة»**، هذا حديث حسن[(٢)] .

وفي فضائل هذا الشهر الكريم شهر رمضان أن العمرة فيه تعدل حجة، فقد ثبت في الحديث الصحيح على شرط الشيخين في (الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال: **«عمرة في رمضان تعدل حجة»**.

ومن الأعمال الصالحة التي تتأكد في رمضان قيام رمضان، قال رسول الله ﷺ : **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»**[(٣)] . والقيام يكون حتى ينصرف الإمام؛ لأن النبي ﷺ قال: **«من قام مع إمامه حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة»**[(٤)] .

عِبَادَ اللَّهِ . . . ظاهرة ينبغي التنبيه عليها وهي موجودة بيننا وهي أن من الناس من يسهرون معظم الليل في رمضان ثم يتسحرون وينامون قبل صلاة الفجر بساعة أو أكثر وهؤلاء قد ارتكبوا عدة أخطاء:

---

(١) «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيح» (٢/ ٢٩١).
(٢) «الجامع الصحيح» (٢/ ٢٩٤).
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه أهل السنن.

اولاً ـ أنهم صاموا قبل وقت الصيام.

ثانيًا ـ ربما تركوا صلاة الفجر مع الجماعة فَعَصَوا الله بترك ما أوجب عليهم من صلاة الجماعة.

ثالثًا ـ ربما يؤخرون صلاة الفجر عن وقتها فلا يُصلونها إلاَّ بعد طلوع الشمس وهذا خطر عظيم.

قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (سورة الماعون: ٤-٥).
وقال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ ﴾ (سورة مريم: ٥٩).

والسهو والإضاعة المذكوران في الآيتين هما إخراج الصلاة عن وقتها. فاتقوا الله يا عباد الله ولا تَبْنُوا دينكم من جانب وتَهْدِمُوه من جانب آخر.

فإن الإسلام ينبني على خمسة اركان: شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.

الـزكــاة

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحـده لا شريك له، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عـبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين يعدون ما أنفقوه خيرًا وأبقى مما ادخروه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١). أما بعد . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . حـديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن أحـكام الزكاة التي فـرضهـا الله سبحـانه وتعالى وتساهل في شأن إخـراجها الكثير من المسلمين فلـم يخرجوها على الوجه المشروع مع عظم شـأنها، وكونها أحد أركـان الإسلام الخمسة التي لا يسـتقيم بناؤه إلاَّ عليهـا، لقول النبي ﷺ : **«بني الإسلام على خمس : شهادة إن لا إله الا الله، وان محـمـداً رسول الله، وإقـام الصلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصـوم رمـضـان، وحج البـيـت»** (متـفق عليه).

وفَرْضُ الزكاة على المسلمين من أظهر مـحاسن الإسلام ورعايته لشئون معـتنقيه لكثرة فوائدها، ومسيس حاجة فقراء المسلمين إليها.

فمن فوائدها: تثبيت أواصـر المودة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مـجبولة على حب من أحسن إليها.

ومنها: تطهير النفس وتزكيتها، والبعد بها عن خُلُق الشح، والبخل، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (سورة التوبة: ١٠٣).

ومنها: تعويد المسلم صفة الجود، والكرم، والعطف، على ذوي الحاجة.

ومن فوائد الزكاة: استجلاب البركة، والزيادة، والخُلف، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سورة سبأ: ٣٩). وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«يقول الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم أنفق ننفق عليك»**[(١)]. إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة. وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها قال الله: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٣٤-٣٥). فكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة، كما دل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**[(٢)]. ثم ذكر النبي ﷺ صاحب الإبل، والبقر، والغنم، الذي لا يؤدي زكاتها، وأخبر أنه يعذب بها يوم القيامة، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالُك أنا كنزُك»**[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٨٤، ٦٤٦٦)، فتح (١٣/ ٣٦٥).
(٢) صحيح مسلم (٩٨٧)، «صحيح الجامع» (٥٧٢٩).
(٣) صحيح البخاري (٣/ ٢٥٦)، مسلم (٩٩٠).

ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٠).

وزكاة الحبوب والثمار دلت السنة على أنه لا زكاة إلا في أربعة أصناف منها، وهي: الشعير، الحنطة، والزبيب، والتمر. فقد أخرج الحاكم، والبيهقي، والطبراني، وغيرهم من حديث معاذ حين بعثه ﷺ إلى اليمن فقال: «**لا تأخذ الصدقة إلا من هذه الأربعة: الشعير، والحنطة، والزبيب، والتمر**»[1]. والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب، والفضة، وعروض التجارة، لهذه الأصناف تفصيل يطول شرحه ولا يتسع المقام لذلك.

ومما نحن بأمس الحاجة إلى بيانه من أصناف الزكاة: عروض التجارة، وهي السلع المعدة للبيع، فإنها تُقَوَّمُ في آخر العام ويخرج منها ربع عشر قيمتها سواء كانت قيمتها مثل ثمنها، أو أكثر، أو أقل، ويدخل في ذلك الأراضي المعدة للبيع. أما العمارات المعدة للإيجار لا للبيع فالزكاة في أجورها إذا حال عليها الحول، أما ذاتها فليس فيها زكاة، لكونها لم تعد للبيع، وهكذا السيارات الخصوصية، والتاكسي ليس فيها زكاة إذا لم تعد للبيع وإنما اشتراها صاحبها للاستعمال. وإذا اجتمع لصاحب سيارة الأجرة، أو غيره نقود تبلغ النصاب، فعليه زكاتها إذا حال عليها الحول سواء كان أعدها للنفقة، أو للتزوج، أو لشراء عقار، أو لقضاء دين أو غير ذلك من المقاصد ولعموم الأدلة الشرعية الدالة على وجوب الزكاة في مثل هذا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل للفقراء حقًا عند إخوانهم من الموسرين، وجعل وضع ذلك في محله إبراءً لذمة المحسنين وسد حاجة المعسرين، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره له الفضل وله المن وهو خير الرازقين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ دائمين متلازمين إلى أن نلقاه، اللهم صل على سيدنا محمد القدوة قي العطاء والبذل إمام المتقين. أما بعد...

---

(١) «الإرواء» (٨٠١).

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الصحيح من أقوال العلماء أن الدَّيْنَ لا يمنع الزكاة لما تقدم وهكذا أموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزكاة عند جمهور العلماء، إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول، ويجب على أوليائهم إخراجها بالنية عنهم عند تمام الحول، لعموم الأدلة مثل قول النبي ﷺ في حديث معاذ لما بعثه إلى أهل اليمن: «إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم، وتُرد في فقرائهم»[1]

والزكاة حَقٌّ الله لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها ولا يجوز دفعها لتارك الصلاة أيا كان ولا تدفع لمن له دخل يكفيه للطعام، والشراب، والكساء، والسكن، وقَلَّ أن يتورع الناس في ذلك ولا تصرف الزكاة للوالدين وإن علوا، والأولاد ذكورًا أو إناثًا وإن نزلوا ولو كانوا فقراء بل يلزمه أن ينفق عليهم من ماله إذا استطاع ذلك ولم يوجد من يقوم بالإنفاق عليهم سواه، والمساجد ليست من الجهات الثمانية الخاصة بمصارف الزكاة.

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ٦٠). والراجح أن المراد في قوله: ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي في الجهاد في سبيل الله. ولا يجوز صرف الزكاة على صيغة إسقاط الدين الذي في ذمة الغريم عند اليأس منه، أو تأخره مع نية احتسابه من الزكاة لأن الزكاة مال يدفع إلى الفقراء لفقرهم، وحاجتهم، لكن لو أُعطي من الزكاة فردها على أهلها وفاء لما في ذمته جاز ذلك إن لم يكن هناك قصد أو محاباة، لأن في ذلك وقاية للمالك، والمال الموقوف لا زكاة فيه، لأن أهله قد أنفقوه في سبيل الله، وكذلك الأرض المعدة للبناء لا زكاة فيها، أما ما أعد للبيع ففيه زكاة، وتعجيل الزكاة قبل تمام الحول جائز لاسيما إذا دعت الحاجة إلى ذلك أو المصلحة الشرعية، ويجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لعرض آخر مع طيب النفس بها والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته ويستحق

(١) رواه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

جزيل المثوبة والخلَفْ. . وأمـا زكاة الحلي من الذهب والفضة أي ما أعد للبس فـفيها قولان: وهو خلاف من عهد الصحابة ﷺ فمنهم من أوجب الزكاة في الحلي استدلالاً بعـموم الأدلة من الكتـاب والسنة، ومنهم من قـال بعدم وجـوب زكاة الحلي المعـدة للاستـعمال وعندهم من الأدلة مـا عندهم، والأمر فيـه سعة ـ والحمـد لله ـ والأخذ بأحد القولين جـائز ـ إن شاء الله ـ، وإن كان الأحوط لمن عنده حلي كثـيرة ومال أن يزكي تلك الحلي وهو مأجور ـ إن شـاء الله ـ ومالهُ ما قَدَّم، ونصاب الذهب خـمسة وثمانون غرامًا.

وأما زكاة الفطر فالأصل في وجوبها قبل الإجماع خبر ابن عمر ﷺ: «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان: صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين**»[1].

ولا يجوز العدول في الزكاة إلى القيمة إلاَّ للحاجـة كفقدها، وإذا خرجت القيمة بدون عذر شرعي فإن ذلك لا يجزؤه، وإن أخراجـها مائة مرة لأن النص الذي جاء به محمـد ﷺ صاع من طعام، ومن خالف ذلك فإن عـمله مردود لقول ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]. فلابد من متابعـته ﷺ وإن ورد النص في كلام الله أو كلام رسوله فلا يجوز العدول عن ذلك، وإن جـمعت زكاة الفطر طعامًا ووزعت قبل صلاة العيد بيوم أو يومين فـهذا حسن، وأما مصارفها فهي المصـارف الثمانية في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ (سورة التوبة: ٦٠). ومن مقاصد زكاة الفطر إغناء فقراء كل بلد عن السـؤال يوم العيـد والذي يظهر عـدم جواز نـقلها عن البلد الذي وجـبت فيـه، ومقدارها صاع والصاع أربعة أمداد بكفي الرجل المعتدل، ومقدارها ٢,٥ كيلو تقريبًا. ويستحب إخراجها عن الحمل ولا تجب عليه، ولا يصح إخراجها بعد صلاة العيد.

---

(١) رواه البخاري (١٥١٢)، ومسلم (٩٨٤).
(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

بعثة النبي محمد ﷺ

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي مَنَّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في خلقه، وملكه، سبحانه وتعالى عما يشركون. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه.

المبعوث بالدين القويم أرسله رحمة للعالمين وإمامًا للمتقين وحُجَّة على الخلائق أجمعين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد ...

أيها الناس . . . اتقوا الله واعلموا أن أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض بعثة محمد خاتم النبيين. بعثة على حين فترة من الرسل. فهدى به إلى أقوم الطرقِ وأوضح السُّبُل وافترض على أهل الأرض طاعته فكان ﷺ دعوة أبيه إبراهيم حين قال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة البقرة:١٢٩). وكان بشرى أخيه عيسى بن مريم حين قال: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (سورة الصف: ٦). وكان رؤيا أمه حين رأت في المنام قبل ولادته أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام.

لقد تحققت فيه هذه الصفات الثلاث فكان إجابة لدعوة الخليل، ومصدقًا لبشارة المسيح، وتعبيرًا لرؤيا أمه. فقد جعله الله منبرًا استنارت به الأرض بعد ظلمتها. واهتدت به البشرية بعد حيرتها.

فكان النعمة العظمى والمنحة الكبرى التي تفضل الله بها على خلقه، ولقد ولد ﷺ بمكة المشرفة عام الفيل في شهر ربيع الأول. وهو العام الذي أغار فيه ملك الحبشة على الكعبة يريد هدمها فصده الله عنها وأنزل به وبجيشه أعظم عقوبة كما ذكر الله في الكتاب العزيز، فكان في ذلك حماية للبيت الحرام.

شب ﷺ على الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة. وبعثه الله برسالة على رأس الأربعين من عمره. فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أنزل الله عليه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة: ٣). قال ﷺ: «**تركتكم على المحجة البيضاء**»[١]. فأعاد للحنفية السمحة ملة إبراهيم صفاءها وضياءها. فأماط عنها ما علق بها من أوضار الجاهلية وضلالاتها، وجمع الله به الأمة بعد شتاتها. ثم لحق بالرفيق الأعلى ﷺ.

عباد الله . . . إن واجبنا نحو هذه النعمة العظيمة، أن نسكر الله عليها بالتمسك بها والجهاد في سبيلها والمحافظة عليها. وذلك باتباع هذا الرسول ﷺ والاقتداء به وفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. وأن نحبه أكثر مما نحب أنفسنا، وأولادنا، وآباءنا، وأمهاتنا. لأن الخير كل الخير في اتباعه وطاعته، قال تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ (سورة النساء: ٨٠). وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ (سورة آل عمران: ٣١). وقال تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ**﴾ (سورة القصص: ٥٠). ومحبته ﷺ تقتضي طاعته واتباعه، وترك ما نهى عنه. ومتابعة الرسول تتحقق بامتثال أوامره واجتناب مناهيه.

---

(١) «صحيح الجامع» (٤٣٦٩)، «الصحيحة» (٩٣٧).

وكل عمل من أعمال هذه العبادة يجب أن يكون موافقًا كما شرعه الرسول ﷺ و ما لم يشرعه فهو بدعة مردودة. قال ﷺ : **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[١] .

ويقول : **«وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**.

والبدع التي أحدثها الجاهلون أو المعرضون كثيرة منها ما يتكرر كل عام في شهر ربيع الأول من إقامة محافل بمناسبة مولد الرسول وربما سموا ذلك عيد المولد الشريف، وفي بعض المدن والحمد لله لا يوجد من ذلك شيء غير أنه في المدن، والقرى المجاورة مازال ذلك يتكرر في كثير منها، وفي البلدان الأخري عبر وسائل الإعلام.

وهذا الاحتفال أو هذا العيد بدعة منكرة ما أنزل الله بها من سلطان. إن يتبع أصحابها ومروجوها إلاَّ الظن وما تهوي الأنفس. فهو بدعة لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولم يكن من سنته، ولم يفعله أصحابه ﷺ وهم أسبق الناس إلى الخير ولم يفعل في القرون المفضلة، وإنما حدث فعله في القرن السادس للهجرة تقليدًا للنصارى الذين يحتفلون بمولد المسيح ﷺ، وقد نهانا ﷺ عن التشبه بهم فقال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»**[٢] .

أضف إلى ذلك ما يجري في ذلك الاحتفال من المنكرات التي أعظمها الشرك الأكبر من دعاء الرسول وطلب الحاجات وتفريج الكربات منه وإنشاد الأشعار الشركية لمدحه، وكذلك الاختلاط المحذور من الرجال والنساء والعياذ بالله. وغير ذلك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينًا، وأنزل علينا في كتابه نورًا مبينًا، أحمده على جزيل نعمه، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه مسلم (١٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥)

عِبَادَ اللهِ . . . إن الله قد بعث محمدًا ﷺ بالدين القويم والمنهج المستقيم، وأرسله رحمة للعالمين وإمامًا للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته، وتعزيره، وتوقيره، ومحبته، والقيام بحقوقه، وسد دون جنته الطرق فلم تُفْتَحْ لأحد إلا من طريقه. فشرح له صدره ورفع له ذكره. ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِلَ الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»**[1]. وكما أن الذلة مضروبة على من خالف أمره فالعزة لأهل طاعته. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (سورة الأنفال: ٦٤).

عِبَادَ اللهِ . . . بحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية من الله والنصرة، وبالمخالفة تكون الذلة، والصغار، والخوف، والضلال، والخذلان، والشقاء، في الدنيا والآخرة. وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بأنه لا يؤمن من لا يُحكِّمْ هذا الرسول في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه ولا يجد في نفسه حرجًا مما حكم به ثم يُسَلِّم له تسليمًا وينقاد له انقيادًا.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦). قطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله فليس لمؤمن أن يختار شيئًا غير أمره ورسوله ﷺ لأنه إذا أمر فأمْر حَتْم.

عِبَادَ اللهِ . . . روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ أن الرسول ﷺ قال: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»**[2]. وجاء في روايات أخرى وصف هؤلاء

---

(١) «صحيح الجامع» (٢٨٣١)، و«الإرواء» (١٢٦٩).

(٢) صحيح مسلم (١٤٥).

الغرباء بأنهم يصلحون إذا فسد الناس، وفي بعضها أنهم الذين يُصْلِحُونَ ما أفسد الناس. وفي بعضها أنهم أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم. وفي بعضها أنهم الذين يتمسكُون بكتاب الله وحده حين يُتْرَكَ، ويعملون بالسنة حين تطفأ، ففي هذه الروايات عن الرسول ﷺ إخبارٌ عن قلة المتمسكين بالسنة في آخر الزمان وكثرة المخالفين لها وفيها الحث على التمسك بها عند ذلك، والصبر عليها.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إننا إذا أردنا أن نقارن ما نحن فيه اليوم وما أمرَنا الله به من التمسك بالكتاب والسنة نرى البون الشاسع، نرى أعراف الجاهلية التي طغت على عقول الكثيرين منا من اشتراكية، وعلمانية، وديمقراطية، وناصرية، وماسونية، وحداثة، وعصبية إقليمية وغيرها ودعاوى كثيرة من الشرق والغرب من زبالة أذهان الكفرة والملاحدة.

إن هذه الدعاوى يُـنَازَعُ فيهـا رب العزة والجـلال في حكمه لقولـه تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ (سورة يوسف: ٤٠). وقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (سورة الشورى:٢١). ويوجد من أدعياء أتباع محمد ﷺ من يجعل الحكم للشعب وهو صاحب السلطة والرأي للأغلبية حتى وإن كانت همجًا رعاعًا وقد قال الله في شأن الكثرة مبينًا أنها ليست دليلًا على إحقاق الحق وإبطال الباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ ﴾ (سورة الأنعام:١١٦). تناقضات في الساحة يذعنُ الناس لها ما أنزل الله بها من سلطان يحيدون فيها عن قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأنعام:١٥٣). تلاها محمد ﷺ بعد أن خط خطًا في الوسط مستقيمًا وخط خطوطًا على جانبي ذلك الخط وتلا هذه الآية السابقة، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أتباعه قولاً وعملاً واعتقادًا إنه على كل شيء قدير.

الابتــلاء

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وبعد:

عباد الله . . . حديثنا اليوم عن صبر الأوليـاء في منازل الابتلاء ونبدأ حديثنا بمؤذن رسـول الله ﷺ بلال بن رباح، فقـد أهين إهانة مـا يعلمـها إلاَّ الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ من الوثنيين، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ يعلم أن بلالاً يقول: لا إله إلاَّ الله، وأنه يصلي، وأنه يريد الله، والدار الآخرة، ويراه يسحـب في جبال مكة ويوضع عليه الصـخر، وبلال يقول: أحد . . أحد، وفي قدرة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يفك ويطلق هذا لكن هكذا ليريه سبحانه وتعالى أو ليعلمه مدرسة من مـدارس الابتلاء. وبعدها يأتي بلال بن رباح فينتصر إيمانه على الكفر، ويثبت يقينه على الطاغوت، ويهتـدي بهدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيصبح سيدًا من السادات فبـلال بن رباح معروف الآن وأما خصـماؤه فليسوا معـروفين، بلال يعرفه مسلمو الملايو والسودان والعراق وكل مكان يُذْكَرُ فيه لا إله إلاَّ الله.

يعـرفه المسلمون؛ لأنه مـؤذن الإسـلام: ولذلك يوم دخل ﷺ يوم الفـتح في الصـحيـح. أمر بلالاً أن يؤذن فـارتقى بلال على الـكعبـة المشـرفـة التي بنيت على التوحـيد. ارتقى يؤذن لـيغيظ به ﷺ المـشركين رؤساء الـضلالة والطاغـوت يقول: **«انظروا لهذا العبد الذي في نظركم لا يساوي فلساً واحداً أصبح سيداً بلا إله إلاَّ الله، انظروا لهذا المؤمن التقي المتوضئ اليوم يرتقي على البناية فيؤذن بلسان التوحيد لتسمعه آذان البشرية، انظروا إلى من سحبتموه على الصخور وأهنتموه، وضربتموه، وشتمتموه، يؤذن يوم الفتح الآن».**

فرضي الله عن بلال كيف ابتلي فصبـر فرفع الله ذكره أبد الآباد هذا هو النصر؛ ولذلك يقول عمر: أبـو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، أصبـح بلال سيداً من سادات هذا الدين، وأصبح واجهة، وأصبح قدوة، وأصبح يتشرف المسلم أن ينتسب إلى مثل أمته أمة منهم بلال بن رباح رضي الله عنه وأرضاه.

عِبَادَ اللهِ . . . وذكر أهل العلـم وأهل السِّيرِ وأهل التـراجم في سيـرة عروة بن الزبير ابن حواري الرسول ﷺ عروة الذي هو أكبر راوٍ في كتب الحديث عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها عروة الذي ذكروا عنه أنه كان يختـم القرآن في أربعة أيام والأولى في سبعة أقل حد في السبعة كما في حديث ابن عـمر، ولكن الشاهد قوة العبادة والإقبال على الله - عزَّ وجلَّ -، أراد الله - عزَّ وجلَّ - أن يرفع درجته عنده فكتب عليه ابتلاء حيث سافـر عروة بن الزبيـر إلى الشام وفي الطريق أصـابتـه آكلة في رجله فـاجتمع عـليه الأطباء، فقالوا: نقطع رجللك من القدم، فقـال: أصبر وأستغني، فدخل المرض إلى ساقه، فقالوا: نقطـعها من الساق، فقال: أصبر وأستـغني، فدخل المرض إلى الفخذ فـقالوا: مـالك من حَلٍّ إلا قطعـهـا وإلاَّ مُتَّ. قال: الله المستـعان إنا لله وإنا إليـه راجعون، فقالوا: لا نقطعها حتى نسقـيك كأسًا من الخمر. قال: يا سبحان الله عقل منحنيه ربي أذهبـه بكأس من الخمر، لا والله ولكن إذا توضـأت ودخلت في الصلاة فاقطعوها، فـتوضأ واستقبـل القبلة وبدأ في صلاته يناجي رب العزة سبـحانه وتعالى

وهو في الآيات يحلق بروحه مع تـلك الآيات البينات، فتقـدم إليه الأطباء بالمناشـير فقطعوا رجله، فلما غلبه الـدم سقط مغشيًا عليه على وجهه، وبعد سـاعات استفاق فقالوا: أحسن الله عزاءك في ابنك؛ رفسته دابة الخليفة فمات.

يا سبحان الله، في فـترة الإغماء هذه رفست ابنَـه دابةُ الخليـفة فمات، انظر إلى المصائـب كيف تحدث، وانظـر إلى ألطاف الله وحكمه سـبحانـه وتعالى في القـضاء والقدر ماذا قال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون اللَّهم لك الحمد!!

لكن انظر الذي يعد النعمة: اللَّهم لك الحـمد إن كنت أخذت فقد أعطيت، وإن كنت ابتليت فقـد عافيت؛ أعطيتنـي أربعة أبناء وأخذت ابنًا واحدًا، وأعطيـتني أربعة أعضاء وأخذت عضوًا واحدًا، فلك الحمد ولك الشكر!! ثم قال:

لعـمـرك مـا مـديت كـفي لريبـةٍ ❁ ومـا حـملتني نحـو فـاحـشـة رجلي
ولا دلني فكري ولا نظري لهـا ❁ ولا قادني فكري عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مـصـيـبـةٌ ❁ من الله إلاَّ قـد أصـابت فـتى قـبلي

رجع محـتسـبًا إلى الله سبـحانه وتعـالى لأنه الذي قَدَّر وابتلى تبـارك وتعالى. والابتلاء قد يكون صعبًا على النفوس ولكن يرفع الله سبحانه وتعالى به درجة الأنبياء ويمحوا الله به خطايا الصالحين.

وهذا الإمام أحمد سجن لأنه يقول: ربي الله. فرفع الله درجته فأصبحنا نذكره في كل مجلس وعلى كل منبر وفي كل منتدى وعلى رأس كل حفل. وانظر كيف رفع الله ذكره. وأما خصـومه فمحق الله ذكرهم ما يُذْكَرُون إلاَّ قليـلاً الذي عارضه مثل الوزير ابن الزيات دعا عليه الإمام أحمد فَـجُلِدَ، وعُذِّبَ، وأدخل في فُرْن حتى قُطِّع تقطيعًا، هذا ابن الزيات الوزير الذي اعـترض على الإمـام لما دعا عليـه الإمام أحـمد فـأصيب بالفالج لأن الإمام أحمد قال: اللهم عذبه في جسده لأنه هو الذي كان متسببًا في الجلد

متسببًا للإمــام أحمد في السجن في الضغوط السياسية. فـقال الإمام أحمد: اللهم عذبه في جسده فَشُلَّ نصفه والنصف الآخر سليم. قالوا كيف حالك يا أحمد بن داود؟ قال: أما جسدي هذا فوالله لو وقع عليه ذباب كأن القيامة قامت. وأما جسدي هذا فوالله لو قُطِّعَ بالمناشير قطعة قطعة ما أحسست به، لماذا لأنه عارض الحق.

وممن ابتلي من السلف الصالح شـيخ الإسلام المجاهد الكبـير ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ فإنه ابتلي فـي عرضه بالتـهم الرخيصـة التي لا مصداق لـها ولا حق. وابتلي بالسجن، وأدخل السـجن ﷺ ورحمه؛ لأنـه يدعو إلى الله ،إلى لا إله إلاَّ الله، وإلى تصحيح المعتقد، وإلى الخروج بالناس من الظلمات إلى النور.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي يبتلي عـباده بأنواع البلاء، وجعل أنبياءه أكثـر الناس بلاء، ليميز الله بذلك الصادقين من الكذبة أهل الادعاء، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسـوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعــد . . .

عِبَادَ اللهِ . . . لما أُدْخِلَ الإمام ابن تيمية السجن رُدَّ عليه الباب فالتفت إلى البواب وهو يوصد عليه الباب وهو يقول: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (سورة الحديد: ١٣).

دخل على سلطان عهـده أو سلطان عصره السلجوقي فـقال له السلطان: يا ابن تيمـية يقول الناس: إنك تريد ملكنا فـتبسم ابن تيمـية تبسم المسـتعلي بلا إله إلاَّ الله الذي يريد مـا عند الله، والدار الآخرة، والذي ينظر إلى الـدنيا رخـيصة لا تـساوي مجلس نصف ساعة في مسجد. قال: أنا أريد ملكك؟ قال: يقولون ذلك؟

قال: والله الذي لا إله إلاَّ هو ما ملكك وملك آبائك، وأجدادك، يساوي عندي فلسًا واحـدًا تظن أننا نسعى إلى ملكك، وملك خالتك وجـدتك، ونحن نسعى إلى تقرير لا إله إلاَّ الله في الأرض لتبقى حية طليقة أبد الدهر.

ولذلك بقيت كتبـهم، وبقيت معالمهم، وبقيت مدرستـه حية في قلب كل مسلم وما عرفنا اسم السلطان إلى اليوم.

رفع الله ذلك العالم، وكان وحـيدًا لأنه يعبد الله، ولأنه عـاش هذا الابتلاء لوجه الله سبحانه وتعالى واحتسب فرفع الله ذكره. ومن ثمار الابتلاء من الله سبحانه وتعالى.

عِبَادَ اللَّهِ . . . للابتلاء فوائد منها ما سطره سلطان العلماء العز بن عبد السلام إذ يقول: من فوائد الابتلاء معرفة عـز الربوبية وقهرها، وأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يبتلي من يشاء من عباده بما شاء ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٣).

ومنها معرفة ذل العبودية: وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٦). فقوله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ أي نحن ملك لله ـ عزَّ وجلَّ ـ والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء.

ومنها الإخلاص لله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ففي أزمة البلاء يكون العـبد أقرب للإخلاص حتى المشركون إذا وقعوا في البلاء أخلصوا لله رب العالمين قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٥).

ومنها الإنابة وهي الرجوع إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والإقبال عليه: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ (سورة الزمر: ٨).

ومنها التضرع والدعاء: فالعبد يكثر من الدعـاء في الـشدائـد لحاجتـه وفقـره إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ (سورة الإسراء: ٦٧).

ومن فوائد الابتلاء: الصبر على البلاء: وهو موجب لمحـبة الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٦).

وموجب لكثرة الثواب من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة الزمر: ١٠).

وقد قال ﷺ : «ما أعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[١] .

ومنها تمحيص الذنوب والخطايا: قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (سورة الشورى: ٣٠).

وقال ﷺ : «لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في نفسه، وماله، وولده، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»[٢] .

ومن فوائد الابتلاء: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم: فإن العبد إذا أحس بألم الابتلاء رق قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

ومنها معرفة قدر نعمة العافية: فإن النعم لاتُعْـرَفُ أقدارها إلاَّ بعد فقـدها، فلا يعرف نعمة العافية إلاَّ من ذاق مرارة المرض.

ومنها ما في طيتها من الفوائد الخفية: كما قال الله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (سورة البقره:٢١٦) . وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (سورة النور: ١١).

ومنها: أن المصائب والشدائد تمنع من الفخر، والخيلاء، والتكبر، والتجبر، فإن نمرودًا لو كان فقيرًا سقيمًا فاقد السمع، والبصر لما حاج إبراهيم عليه السلام في ربه لكن حمله بطر الملك على ذلك، ولو ابتلي فرعون بمثل ذلك لما قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (سورة النازعات: ٢٤). وقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (سورة التوبة: ٧٤). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ (سورة العلق: ٦-٧). وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ (سورة الشورى: ٢٧).

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٣٥).

(٢) قال الألباني: إسناده حسن. «مشكاة المصابيح» (١٥٦٧).

ومنها: أن العبد إذا رضي بما ابتلاه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به نال رضا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإن المصائب تنزل على البـر، والفاجر، فمن سخطها فله السـخط، ومن رضيها فله الرضا، والـرضا أفضل من جنـة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال تـعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (سورة التوبة: ٧٢).

عِبَادَ اللَّهِ . . . قال الله تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ (سورة العنكبوت: ٢-٣).

عِبَادَ اللَّهِ . . . الدين ليس دعاوى.

والدعـاوى مـا لم يقيـمـوا عليـهـا ☆ بينات أصـحـابهـا أدعـيـاء

يدعي أحد الناس أنه يحب الله ورسوله؛ فإذا سمع الأذان ما تحرك إلى المسجد هذا منافق؛ إن لم يكن له عذر شرعي.

يدعي أنه يحب الله ورسوله ، ولكن إذا أصـيب بمرض. تسخط القضـاء والقدر. وقد يذهب إلى الكاهن، أو الساحر، لطلب العـلاج على يديه، أو إلى القبور ليدعوهم من دون الله، يدعي أنه يوالي الله ورسوله وأنه يحب الله فـإذا مات ابنه تسخط، وأنكر القضاء والقدر وقال كلمات لا أصل لها. أين الإيمان؟ أين الصدق؟

عِبَادَ اللَّهِ . . . علينا أن نصبر في كل ما يصيبنا وأن نحتسب الأجر على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول ﷺ كمـا في (صحيح مسلم) من حـديث صهيب رضي الله عنه وأرضاه مـرفوعًا يقول ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته نعماء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلاَّ للمؤمن»**، فاصبر في كل ما يصيبك يا عبـد الله، واعلم أن رسولك ﷺ قـد قيل عنه: إنه سـاحر، وقالـوا: إنه كاهن، وقالوا: إنه شاعر، وقالوا: مجنون، ولكن صبر فأعلاه الله وخفض خصومه.

البناء على القبور
والمفاسد المترتبة على ذلك

الخطبة الأولى:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أما بعد . . .

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٠-٢٣).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤-٢٥).

في هؤلاء الآيات المباركات بيان أنه لا سعادة للمسلمين، ولا سعادة أيضًا للمجتمع كله إلاَّ باتباع كتاب الله، واتباع سنة رسول الله ﷺ بالخضوع والانقياد لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأن الله قد أرسل محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق وأظهره على الدين كله، ولا خير إلاَّ فيما جاء به الرسول ﷺ والحلال ما أحله الله ورسوله، والشرع ما شرعه الله ورسوله، وقد تَعَبَّدَنَا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بطاعته وطاعة رسوله، وقد توعَّدَنَا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا خالفنا أقواله وأقوال رسوله، ولا يقبل الله منا أيَّ عمل قل أو كثر إلا إذا جاء من طريق رسول الله ﷺ .

وحديثنا اليوم - بإذن الله - عن بناء المساجد على القبور، والبناء على القبور، والكلام يطول ونأخذ ما ييسره الله لنا من ذلك.

ثبت في (الصحيح) عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن تجعل القبور في المساجد. وثبت في البخاري، ومسلم أن النبي ﷺ قال: **«لعن الله اليهود، والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»**، وثبت في (الصحيح) أيضًا أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته وقبل موته بخمس ليال كما قال جندب بن عبد الله: **«ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم، وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»**[1].

والنهي يا عباد الله يقتضي التحريم إلاَّ إذا صرفه صارف عن ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ عن البناء على القبور، وعن تجصيصها فعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يُقْعد عليه، وأن يُبْنَى عليه. وأمر ﷺ بتسوية القبور كما روى مسلم في (صحيحه) عن أبي هياج الأسدي قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع صورة إلاَّ طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلاَّ سويته»**[2]. وفي صحيحه أيضًا عن ثمامة بن شُفَي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بَرُودِس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فَسُوِّيَ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها. أي: بعدم رفعها[3]. وقد بالغ الكثيرون من المسلمين في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقَصَدَه من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولاريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره، وهذه المفاسد لها جذور عميقة وهي موجودة في بلادنا وفي مصر، والسودان، والهند، وباكستان، وغير ذلك كثير والذي نحن بصدده وسنستعرضه ما حدث في مساجد عدن ومقابرها ويحدث في حضرموت وشبوه وغيرها من

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد (باب النهي عن بناء المساجد على القبور) برقم (٣).
(٢) صحيح انظر «صحيح الجامع» (٦٨٤١)، مسلم (٩٧٠).
(٣) رواه مسلم (٩٦٨).

المحافظات فـالذي يحدث عند تلك المقـابر عبادات لا تـصح إلاَّ لله وحده ومن ذلك الدعاء: عندما يأتي بعض الزوار إلى ذلك القبر يسمي صاحب القبر ويقول: افعل لي كذا وكـذا. والدعاء عبـادة وهو الله وحده؛ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (سورة غافر: ٦٠). ومن ذلك العبادة التي لا تصرف إلاَّ لله وحده الاستشفاء بالتـراب الذي على الميت إن اعتقد فيه أنه ينفع ويضر مع الله أو من دون الله؛ فإن ذلك يعـتبر شركًـا، وإن لم يعتقـد في ذلك؛ فإن ذلك خرافة لأن الله هو الشافي، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ (سورة النمل: ٦٢). وقال ﷺ: «اللهم اشف أنت الشافي، لا شفاءَ إلاَّ شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا»[1]. فالله وحـده هو الشافي.

ومن المخالفات الشرعية: تعليق التمـائم من التراب يُوضعُ في قطع القـماش من كسوة القبـر يربطونها في أيادي الصبيان لدرء العيـون و يُعَدُّ ذلك شركًا لأنه ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرقى والتمائم، والتولة شرك»[2]. وقطع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه خـيطًا من يد رجل، ثم تلا قوله تعـالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (سورة يوسف: ١٠٦).

وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» (موقوف على سعيد بن جبير).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ناصـر الموحدين، ومظهر دين نبـيه محمد على كـل دين، والحمد لله الذي يرد كيد الحاقـدين ويقمع المعاندين، اللهم إياك نعبد، وإياك نستـعين، لا معبود بحق سواك، ولا معبود معك، ندين لك وحدك بالعبادة، ونسألك أن نلقاك وقد أدينا

(١) صحيح الجامع (١٣٠٣)، حم (٣/١٥١).

(٢) صحيح انظر «الصحيحة» (٣٣١)، « صحيح الجامع»(١٦٣٢).

الأمانة ونصحنا الأمـة على كلمة التقوى وعلى العـروة الوثقى والصلاة والسلام على رسوله المتبوع والنبي المعصوم. أما بعد. . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . من العبادات التي تصـرف لغير الله عند القبـور الذبح لغير الله في ذلك المكان بقـصد أن ذلك قـربة لما يُسـمى بالولي، وقـد قال الله تعـالى في ذلك: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (سورة الكوثر: ٢)، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢).

وفي (صحيح مسلم) عن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لعن الله من ذبح لغير الله»**[1]. واللعن كما سـبق هو الطرد من رحمة الله، والذبح لغير الله يعـتبر شركًـا لأنه عبادة يُتَـقَرَّبُ بها إلى الله وحـده فمن صرفـها لولي أو جني فـهو يعتـبر مشركًا، وكذلك من الاعتقاد الفاسد أنهم يخـرجون كسوة القبر من بيوت سدنة القبر إلى القبر فتوزع على الناس يعتقدون أن فيها البركة.

ومن العبادات التي لا تصرف إلاَّ لله وحده: التمسح بالقبر والطواف به إذا خرج رجل ضال من مكة، وقال لأحد من يُسمون بالأولياء: ما جئت من مكة إلى هنا إلاَّ بعد ما استأذنتك في الزيارة، ثم يطوف على القبر سبعة أشواط، وهذا الشريط موجود وهذا أكبـر برهان أنهم يعظمـونهم كتـعظيم الله، بل ربما يعظمـونهم أكثـر من تعظيم الله تعالى، ولله در محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني إذ يقول في قصيدة له أرسلها إلى أحد أئمة الدعوة، دعوة التوحيد.

لقـد جـاءت الأخـبـار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادمًا ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث أو ود بئس ذلك من ود

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨)، أحمد (١/١٠٨).

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ⁂ كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم عقروا في سوحها من عقيرة ⁂ أهلت لغير الله جهلاً على عمدِ

وكم طائف حول القبور مُقَبِّلٌ ⁂ ومستلم الأركان منهن بالأيدي

ومن المخالفات الشرعية المقامة عند تلك القبور: الأغاني، والمزامير، والاختلاط مصحوب بالرقص بالمزامير، والفرقة الموسيقية تخرج أمام الكسوة التي تخرج إلى القبر، وقد قال ﷺ: **«ما تركت فتنة بعدي اضر على الرجال من النساء»**[(١)]. وفي رواية للبخاري: **«ما رايت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل العاقل من إحداكن»**، ويقول النبي ﷺ: **«لأن يُطعَن احدكم بمخيط من حديد في راسه خيرٌ له من ان يمس امراة لا تحل له»**[(٢)]. ومن العبادات التي تصرف عند المقبورين لغير الله الاستعانة والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، ويعد ذلك شركًا، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة: ٥).

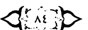
ومن العبادات التي تصرف عند تلك القبور: شد الرحال، ولا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد كما قال ﷺ: **«المسجد الحرام، ومسجدي هذا ـ أي: المسجد النبوي ـ والمسجد الأقصى»**[(٣)]. ويُعد شد الرحال إلى غير هذه المساجد محرمًا في دين الله، شاء أهل الأهواء أو أبوا، وهذه الظاهرة تتكرر بين وقت وآخر عند بعض المساجد وينذر للمقبورين، فهذا النذر لغير الله شرك وسحت لا يجوز لأحد أن ينذر للمقبورين، وعلى من أخذ شيء من ذلك أن يبين لمن نذر حكم ذلك في الإسلام ويصرف ذلك في مصلحة عامة من مصالح المسلمين، أو يتصدق به.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٥٠٩٦)، ومسلم رقم (٩٧).

(٢) صحيح «الصحيحة» برقم (٢٢٦)، «صحيح الجامع» برقم (٥٠٤٥).

(٣) رواه البخاري رقم (١١٨٩)، ومسلم برقم (٥١١، ٤١٥).



وأما ما يدعيه بعض السدنة وغيرهم بأن أهل السنة ينكرون زيارة القبور، فالصحيح في ذلك أنهم لا ينكرون زيارة القبور، فقد ورد ذلك في (صحيح مسلم، والبخاري، وصحيح أبي داود). يقول ﷺ كما ورد في حديث بريدة: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»**[1] فالزيارة سنة لكن الدعاء ودعاء صاحب القبر يعتبر شركًا والاستغاثة بالقبر مما ينكره أهل السنة، أما زيارة القبر والدعاء لصاحبه بالرحمة، والمغفرة فهذه هي السنة.

وهناك أمرٌ مهم - يا عباد الله - لنكون على بينة اعلموا أن أصل الأصول هو توحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وهو الذي من أجله خلقت السموات والأرض، وبعث الأنبياء والرسل، وأنزلت الكتب، وخلقت من أجله الإنس والجن، ولا صحة لما يشاع خلاف ذلك؛ فلقد جَنَّدَ الإعلام نفسه لخلاف الحق إلاَّ ما شاء الله وقليلٌ ما هم.

---

(١) رواه مسلم (٩٧٦)، وأبو داود (٣٢٣٤).

التوحيد

ومدلول لا إله إلا الله محمداً رسول الله

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وبعد:

عباد الله . . . إن قضيتنا اليوم التي نتكلم عنها لهي من أعظم القضايا إنها قضية التوحيد، يا من شرفكم الله بحمل رسالة التوحيد وتحقيق كلمة التوحيد، هذه الكلمة التي من أجلها خلق الله السموات والأرض، الكلمة التي خلق الله من أجلها الجنة، وخلق من أجلها النار، هذه الكلمة التي أنزل الله جل وعلا من أجلها الكتب، وبعث من أجلها الرسل، فبها الفوز في الدنيا، والآخرة، إذا حققها صاحبها قولاً، وعملاً واعتقاداً، إنها العروة الوثقى وهي الكلمة التي ضرب الله لها المثل في القرآن فقال:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ قال ابن عباس ﷺ: الكلمة هي لا إله إلاَّ الله، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ في قلب المؤمن، ﴿ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٤) أي: ما يصعد من هذا المؤمن من الأعمال الصالحة إلى الله. ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (سورة فاطر: ١٠). وهي الكلمة التي نصبت لها القبلة والتي عليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون، والآخرون، فلا تزول قدما عبد يوم القيامة بين يدي الله حتى يسأل: ماذا كنت تعبد؟.

وذلك بتحقيق **لا إله إلاَّ الله**، معرفة وإقرارًا وانقيادًا وطاعة، فتحقيق هذه الكلمة هو الإخلاص في الربوبية وفي الألوهية؛ لأن المشركين كانوا في زمن المصطفى ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية. ويعترفون بأن الله هو الخالق، الرزاق ، المحيي، المميت، ولكن الخلل وقع في توحيد الألوهية فيعبدون من دون الله آلهة متعددة فعندئذ لا يستفيدون من توحيد الربوبية لذلك فهم كفار، زنادقة، ولو أنهم قالوا: **لا إله إلاَّ الله**، ولئن انتسبوا للإسلام وتكلموا باسم الإسلام، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة الزخرف: ٩).

إن رسالة التوحيد الذي بُعثَ بها رسولنا ﷺ تتلخص في أن الخلق مكلفون بعبادة الله جل علا وحده لا شريك له، يخصوه بجميع أنواع العبادة، ولا يحصل ذلك إلاَّ باستقرار التوحيد الصادق الذي لا تشوبه شائبة في القلوب، ويتجه إلى الله اتجاهًا كاملاً صادقًا من غير إشراك معه جل وعلا في العبادة، وهم يحققون بذلك قولهم في كل ركعة في الصلاة وهم يقرءون بفاتحة الكتاب ويقولون: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

والمراد بالعبادة ليست الصلاة فحسب، ولا الدعاء فحسب، وإنما هي بمعنى شامل واسع في جميع الأحوال، فلا دعاء إلاَّ لله، فلا يُدعى إلاَّ الله، ولا يُطلب إلاَّ من الله، ولا توكل إلاَّ على الله، ولا ذبح إلاَّ لله، ولا استعانة ولا استغاثة إلاَّ بالله، لا تصرف العبادات إلاَّ لله جلَّ وعلا.

فهذا مـفهوم **لا إله إلاّ الله**، وذلك في كتاب الله وعلى لـسان المصطفى ﷺ وما أُرْسلَ ﷺ إلاّ ليبلغ الناس حقيقة **لا إله إلاّ الله**، فقد مكث ﷺ في أول البعثة سنوات طويلة وهو يدعو إلى تقـرير التوحيد في مكـة على هذه الصفة ويطالبهم بنبـذ كل ما كانوا عليه من العـبادة. كل ما كانوا عليـه من عبادة غير الله إلى إخـلاص العبادة لله وإفراده جل وعلا دون إشراك كما قـال ربعي بن عامر وهو يدخل على أحد الزنادقة: **«نحن قوم ابتعثنا الله لنخرُج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد»**، وهذا مفهوم التوحيد، هذا هو الذي دعا إليه محـمد ﷺ، نعم دعا إلى كلمة التوحيد **لا إله إلاّ الله** فعاند من عـاند وذلك لأنهم لم يرضوا بترك ما ألفـوه وما ورثوه من الآباء والأجداد على حد زعـمهم، رضوا بعبادة الله مع عـبادة اللات والعزى ومناة الثـالثة الآخرى، ولكن الله جل وعلا لا يرضى أن يُعْبَدَ معه غيره: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ (سورة النساء: ٤٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الواحد الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، والذي لا شريك له في الملك أحد، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. **اما بعد..**

عباد الله . . . إن معنى **لا إله إلاّ الله** أي لا معبود بحق إلا الله وغـير الله إن عُبِدَ فبـاطل فلا نذر، ولا دعـاء، ولا ذبح، إلاّ لله، ولا استـغاثة إلاّ بالله لقولـه تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢). ولا توكل إلاّ على الله وأن لا نفوض الأمر إلاّ لله وأن نحقق توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية بأن نصرف جميع أنواع العبادات لله جل وعلا وقد بين ﷺ في الحديث الحسن: **«ان من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلاّ الله دخل الجنة»**[1]. ولكن أين الذين يخـرجـون على هذه الكلمة خـاصـة في زمن كثـر

---

(١) «صحيح الجامع» (٦٤٧٩)، و«المشكاة» (١٦٢١)، و«الإرواء» (١٨٧)، و«أحكام الجنائز» (٣٤).

القائلون فيه: **لا إله إلاّ الله** وأصبحوا أكثر من مليـار مسلم، وقد قال الله في أكثرهم: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ (سورة يوسف:١٠٦). ولكنهم يقولونها باللسان ويعطلون الأركان، وهذا لا يكفي، إن كـثيراً من المسلمين اليـوم يقولون **لا إله إلاّ الله** ولكنهم لا يقـرنون ذلك بالعمل بمدلولهـا وذلك تحقيـقًا لقول المصطـفى ﷺ لمعاذ بن جبل: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله صدقًا من قلبه إلاّ حرمه الله على النار»، قال: يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا، قال: «إذًا يتكلوا»**[1].

ومن أعظم مدلول **لا إله إلاّ الله** تحقـيق التوحيـد وضده الشـرك بالله جل وعلا، لذلك لا بد لمن شـهد أن **لا إله إلاّ الله** وأن محـمداً **رسـول الله** أن يخلص، وأن يوقن، وأن يتوكل، وأن يفـوض الأمر على هذه الكلمة لله جل وعلا فـيا من قال: **لا إله إلاّ الله** أين الأعمال التي تدل على تحقيقها وقد تركتم الواجبات واقترفتم المحرمات، ومن يضمن لمن اجتهد في الطاعة وترك المحرمات ولم يترك أمرًا من أمور الخير إلا حقق **لا إله إلاّ الله** بالأقوال والأفـعال من يضمن لهذا أن يخـرج من الدنيا على **لا إله إلاّ الله**، وقولها بدون عمل لا يكفي؛ لأن المنافـقين يقولونها ويصلون مع النبي ﷺ ومع ذلك فهم في الدرك الأسفل من النار، لأنهم لم ينتفعوا بها ولم يؤدوا حقها، وذلك بالقيام بمعناها الصحيح الذي رسمه لنا المصطفى ﷺ.

عِبَادَ اللَّهِ . . . كم من الناس يقولون: **لا إله إلاّ الله محـمـد رسـول الله** ويصلون، ويصومون، ويزكون، ويحجون، وربما لهم من الليل نصيب ولكنهم مع ذلك واقعون فيما يناقض التوحيد، إنهم يطوفون بالقـبور، ويطلبون منهم قضاء الحاجات، وتنفيس الكربات، وشـفاء المرضى، ويطلبـون منهم البنين، وإنهم ليتـقربون إلى أهل القـبور بالنذور، ومن المسلمين من يسـتلمون تلك النذور، فلا يجـوز لكائن من كان أن ينذر لغير الله ولا يسـتلم نذراً لغير الله وعليه أن يرفض ذلك ويبـين لمن أراد أن ينذر لغير

---

(١) رواه البخاري «كتاب العلم» (١٢٨)، ومسلم «كتاب الإيمان» (٣٣).

الله بأن ذلك محرم وأنت بحاجة إلى ذلك المال، فإذا كانت الصدقة لا يجوز لغير المستحق أن يأخذها فكيف بالنذور التي أهلت لغير الله. وهؤلاء الموتى مساكين رهناء في قبورهم لا ينفعون ولا يضرون إذ النفع بيد الله وكل شيء بأمره إذا قال للشيء كن كان.

عِبَادَ اللهِ . . . أين حقيقة التوحيد يا من يذهب إلى المشعوذين، والسحرة، والكهان، أين حقيقة التوحيد يا من يحلفون بغير الله، فيا ويل الذين يشركون مع الله أحدًا في العبادة، فعلينا يا عباد الله أن نعود إلى الله ولنحذر التسويف، والذي ننصح به إخواننا في كل مكان أن يحولوا بين زوار المقابر والطواف عليها والتمسح بها وأخذ التربة منها، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك بأن تُجْعَلَ جدران أو شبوك لكي لا يصل الناس إلي القبر الذي يُعْتَقَدُ فيه من دون الله، فإن تلك الثغرة يُعْبَدُ فيها مَنْ يُعْبَدُ من دون الله، فلنتق الله ولنكن صادقين في عباداتنا وفي توحيدنا لله جلَّ وعلا بالعبادة وإلا فإن الله سائلنا وإن رسول الله ﷺ ليتبرأ يوم القيامة ممن غير وبدل من بعده وأحدث أمورًا مخالفة لنهجه وطريقته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: **«يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً**[1] ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (سورة الأنبياء:١٠٤). **ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، وإلا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال**[2]**، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ **إلى قوله:** ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة:١١٧)، **فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»** (متفق عليه).

---

(١) غرلاً: أي غير مختونين.
(٢) أي: جهة النار.

جانب العبودية في حياة النبي ﷺ

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمـدُه، ونستعينُه، ونستغفـرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهـده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

عِبَادَ اللَّهِ . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن جانب العـبودية في حياة النبي ﷺ، كيف عاش عبـدًا، ما هي عبادته لله، كيف كانت صلاته، كـيف كان يصوم، ما هو ذكـره لله تبارك وتعـالى، الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ يمدحه في القـرآن بالعـبودية في أشـرف أحواله، ﷺ فيقول عنه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (سورة الأسراء: ١). ويقول عنه: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ (سورة الجن: ١٩). ويقول أيضًا: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (سورة الفرقان: ١). محمد ﷺ أعبد الناس وأشدهم له خشية. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (سورة الحجر: ٩٩). يعني: الموت: لا كما قال المنحرفون: اعبد ربك حتى تتيقن بوحدانيته ثم اترك العبادة، وقد كذبوا على الله إنما المعنى: اعـبد ربك في الشـتاء والصـيف، في الحلِّ والترحـال، في الصـحة والسقم، في الغنى والفقر، حتى يأتيك الموت.

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (سورة المزمل: ١-٥). يا أيها المزمل قم لإصلاح الإنسان، يا أيها المتدثر في لحافه قم لهداية البشر يا أيها المزمل في فراشه قم لهداية الإنسانية، فقام ﷺ ثلاثًا وعشرين سنة [illegible] نام [illegible] الإسـلام دمه

ودموعه، أعطى الـدعوة ماله وكيانه، أعطـى الإسلام ليله ونهاره، فمـا نام ولا فتر، ولا هدأ حتى أقام **لا إله إلاَّ الله**. يأتيه الهم والحزن، والغم فـيقول: **«ارحنا بها يا بلال»** أي: بالصلاة، تأتيه المصائب والكوارث فيقول: **«ارحنا بها يا بلال»**[1].

يموت أبناؤه، وأحبابه، وأصحابه، وتقتل جنوده، ويهـزم جيشه، فيقول: **«ارحنا بها يا بلال»**، ويقول ﷺ: **«وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**[2]. ما كان يرتاح إلاَّ إذا قام يصلي، إذا قال: **الله اكبر**، إذا كبر بصوته تكاد تنخلع لصوته القلوب فيضع يده على صدره فيكون الله أعظم من كـل شيء لأنه الكبير سبحـانه وتعالى فيقف متـواضعًا، متبتلاً، متخشعًا، متذللاً، أمام الواحد الأحد.

يقول عبد الله بـن الشخير رضي الله عنه: **«دخلت على رسول الله ﷺ فوجدته يصلي لصدره ازيز كازيز المِرْجَل»**[3]، ويقول حـذيفة رضي الله عنه: **«قام ﷺ يصلي صلاة الليل بعد صلاة العشاء، قال: فدخلت معه في الصلاة فافتتح (سورة البقرة)، فقلت: يسجد عند المائة فختمها، فافتتح سورة النساء فاختتمها، فافتتح (سورة آل عمران) ثم اختتمها، لا يمر بآية رحمة إلاَّ سأل الله، ولا بآية عذاب إلاَّ استعاذ بالله، ولا بتسبيح إلاَّ سبح، قال: ثم ركع، فكان ركوعه قريبًا من قيامه، ثم قام فكان قيامه قريبًا من ركوعه، ثم سجد فكان سجوده قريبًا من قيامه وركوعه، ثم صلى الركعة الثانية قريباً من الأولى»**. ما يقارب الست ساعات، أو السبع ساعـات، مع الفقـر والجوع، ومع الجهـاد في النهار، ومع الزهد، ومـع الدعوة إلى الله، ومع تربية الأطفال، ومع شئون البيت ست ساعات وهو يتبتل إلى الله، تفطرت قدماه، وتشققت رجلاه فتقول له زوجته عائشة رضي الله عنها: **يا رسول الله كيف تفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!. قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»**[4].

---

(١) صحيح سصحيح الجامع» (٧٨٩٢)، و«المشكاة» (١٢٥٣).

(٢) صحيح «صحيح الجامع» (٣٠٩٨)، والصحيحة (١٨٠٩).

(٣) المِرْجَل: القدر الذي استجمع غليانًا.

(٤) صحيح البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء»**، قيل وما هممت به؟ قال: **«هممت أن أجلس وأدعه»**[١].

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا، وتبارك الذي جعل في السماء بروجًا، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يَذَّكَّرَ أو أراد شكورًا، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هاديًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد . . .**

عِبَادَ اللَّهِ . . . الرسول ﷺ قام ليلة من الليالي فقال: **«بسم الله الرحمن الرحيم، ثم بكى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم بكى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم بكى، ثم قال: ويلٌ لمن لم تدركه رحمة الله، ويلٌ لمن لم تدركه رحمة الله، ويلٌ لمن لم تدركه رحمة الله»**. يسجد ﷺ السجدة الواحدة، مقدار ما يقرأ الواحد منا خمسين آية، ويركع الركعة الواحدة مقدار ما يقرأ القارئ منا خمسين آية، هذا في صلاة الليل يدعو ويبكي إلى الصباح حتى تسقط بردته من على كتفيه، كما في ليلة بدر يناجي ربه ويقرأ كتابه، ويتبتل إلى الله، لأن العبادة أقرب باب إلى الله. ونحن أيها المسلمون في سعادة ورغد في عيش رضي، في أمن وصحة، الموائد الشهية، العمائر البهية، المراكب الوطية، ومع ذلك نترك صلاة الجماعة إلاَّ من رحم الله، وإن صليناها فإننا ننقرها كنقر الغراب، ويأنس عامة الناس ـ وللأسف ـ لذلك، ويطربون ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فأي كيان نحن، وأي قلوب نحملها، إذا لم نقم بالصلوات الخمس كما أرادها ـ عزَّ وجلَّ ـ. وأما صيامه ﷺ فقد كان يصوم في السفر وقد التهب الجو، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: **«كنا في شدة حرارة الشمس وما فينا صائم إلاَّ رسول الله ﷺ وابن رواحة»**، روي ابن أبي حاتم أنه ﷺ كان يمر في ظلام الليل يتفقد

---

(١) رواه الترمذي (٤١٢)، وابن ماجة (١٤١٩).

أصحابه، كيف كانوا يصلون، كيف كانوا يدعـون، كيف كانوا يبكون، فسمع عجوزًا تقرأ من وراء الباب وتبكي عجوز مـسنة تقرأ قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ (سورة الغـاشية:١)، وتبكي، وتعيـد الآية وتبكي، فوضع رأسـه علي الباب وبكى ﷺ وردد الآية، ثم قال: «**نعم أتاني نعم أتاني**». هذه عجوز، ضعيفـة، فأين شباب الأمة، أين أهل القوة والعضلات، أين أهل البـروز والإجادة؟ إن القوي هو القوي في طاعة الله، وإن المفلح، هوالسائر في طريق الله، وإن المتـقدم هو المتقدم إلـى مرضات الله؛ إذا علم هذا فإنه ﷺ في جانب الذكـر كان أكثر الناس ذكرًا لله تبارك وتعـالى، نَفَسُه ذكر لله، وفتواه ذكر لله، وخطبه ذكـر، وكلامه، وليله، نهاره، وحركاته، وسكناته، ذكر لله تبـارك وتعالى. عن عـائشة رضي الله عنها قـالت: كان رسول الله ﷺ إذا قـام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[١].

عِبَادَ اللَّهِ . . .هذا هو رسول الله ﷺ بل هذا شيء مما كان عليه ﷺ في عبادته، في صلاتـه، في صيامـه، في قراءته، وذكـره، وهو أسوتكم، وقـائدكم إلى الجنة، ونجاتكم مرهونة باتباعه، وإن لـم تتمسكوا بسنتـه فستجنون الخسارة في الدنيا والآخرة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الأحزاب:٢١).

فـيا من أراد الجنة، يا من أراد النجـاة، يا من أراد الفـلاح، يا من أراد الخيـر، والعدل، والسلام، والله ليس لك قدوة إلاَّ رسول الله ﷺ.

عِبَادَ اللَّهِ . . . متى يقدم الإنسان للقبر ما لم يقدم هذه الليالي، متى يصلي إذا لم يصل هذه الليالي، متى يذكـر الله إذا لم يذكر الله في هذه الأوقات، إذا دُفِنَ الإنسان فلن يصلي عنه أحد، ولن يصوم عنه أحد، ولن يذكر الله عنه أحد.

---

(١) صحيح مسلم (٧٧٠).

الجهاد في سبيل الله (١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، ونَزلَ لنا القرآن، وبيَّن لنا فيه معالم الطريق إلى العزة في الحياة الدنيا، والسلامة في دار القرار، والفوز بجنة الرضوان، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام المتقين، وقائد المجاهدين، وعلى آله الأطهار، وصحابه الأخيار، وعلى كل مجاهد في سبيل الله، وداع بدعوته ومهتد بقرآنه، ومتأس برسوله محمد ﷺ.

وبعد .. موضوعنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الجهاد، وهي كلمة جامعة شاملة يدخل فيها جميع أنواع السعي، وبذل الجهود، والكفاح، واستخدام شتى الوسائل المشروعة لإقامة دين الله في النفس البشرية ثم المجتمع كله.

واختلفت عبارات السلف في حق الجهاد: قال ابن عباس: هو استفراغ الطاقة فيه، وألا يخاف في الله لومة لائم. وقال مجاهد: اعملوا لله حق عمله، واعبدوه حق عبادته. وقال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس، والهوى. وقال ابن تيمية الجهاد حقيقته: الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان، والعمل الصالح، وفي دفع ما يبغضه من لاكفر، والفسوق والعصيان، ولم يصب من قال: إن الآيتين في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢). ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (سورة الحج:٧٨). منسوختان لظنه أنهما تضمنتا الأمر بما لا يطاق، وحق تقاته وحق جهاده: هو ما يطيق كل عبد في نفسه، ذلك يختلف باختلاف أحوال المكلفين في القدرة والعجز، والعلم والجهل. فحق

التقوى وحق الجهاد بالنسبة إلى القادر المتمكن العالم شيء، بقوله: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (سورة الحج:٧٨). والحرج: الضِّيقُ، بل جعله واسعًا يَسَعُ كلَّ أحد، كما جعل رزقه يسع كل حي، وكَلَّف العبد، ورزق العبد ما يسع العبد فهو يَسَعُ تكليفه، ويسعه رزقه، وما جعل على عبده في الدين من حرج بوجه ما، وقد وسع الله - سبحانه وتعالى - على عباده غاية التوسعة في دينه ورزقه، وعفوه ومغفرته، وبسط عليهم التوبة ما دامت الروح في الجسد، وفتح لهم بابًا لا يغفله عنهم إلاَّ أن تطلع الشمس من مغربها، وجعل لكل سيئة كفارة تكفرها من توبة، أو صدقة، أو حسنة ماحية، أو مصيبة مكفرة، وجعل بكل ما حرم عليهم عوضًا من الحلال أنفع لهم منه، وأطيب وألذ، فيقوم مقامه ليستغني العبد عن الحرام ويسعه الحلال، فلا يضيق عنه، وجعل لكل عُسْرٍ يمتحنهم به يُسْرًا قبله، ويسرًا بعده؛ «**فلن يغلب عسر يسرين**».

فإذا كان هذا شأنه سبحانه مع عباده، فكيف يكلفهم ما لا يسعهم فضلاً عما يطيقونه ولا يقدرون عليه، ولما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقُبَّتَهُ، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه، واستولى على أنواعه كلها، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد، بقلبه ولسانه، ويده، ولهذا كان أرفع العالمين ذكرًا، وأعظمهم عند الله قدرًا. وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً ﴿٥١﴾ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ (سورة الفرقان:٥١-٥٢).

فهذه سورة مكية، أمر فيها بجهاد الكفار، وجهاد الكفار أخص باليد كما سيرد ذلك في تفصيل الأعداء الذين يستحقون الجهاد.

وكذلك جهاد المنافقين، إنما هو بتبليغ الحجة، وإلاَّ فهم تحت قهر أهل الإسلام.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة التوبة:٧٣). فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة، وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه، والمعاونون عليه، وإن كانوا هم الأقلين عددًا فهم الأعظمون عند الله قدرًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي فضل المجاهدين على القاعدين، نحمده حمد الشاكرين، ونسأله أن يجعلنا من عباده المجاهدين الصادقين، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. **أما بعد...**

عباد الله . . . ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض، مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه، كان للرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من ذلك الحظ الأوفر، وكان لنبينا ﷺ، من ذلك أكمل الجهاد وأتمه. ولَمَّا كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: **«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**[(١)].

كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو في الخارج، وأصلاً له فإنه إن لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل مَا أُمِرَتْ به، وتترك ما نُهِيَتْ عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه، حتى يجاهد نفسه على الخروج، فهذا عدوان قد امتُحنَ العبد بجهادهما، وبينهما عدوٌّ ثالث لا يمكنه جهادهما إلاَّ بجهاده، وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما ويُخَذِّلُهُ، ويرجفُ به، ولا يزال يُخَيِّلُ له ما في جهادهما من

---

(١) صحيح: «ابن ماجة» (٣٩٣٤)، والحاكم (١/ ١٠، ١١)، «الصحيحة» (٥٤٩).

المشـاق، وترك الحظوظ، وفـوت اللذات والمشـتهـيـات، ولا يمكنه أن يجـاهد ذلك العدوين إلاَّ بجهاده، فكان جهاده هو الأصل لجـهادهما، وهو الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (سورة فاطر:٦). والأمر باتخاذه عَـدُو تنبيه على استفـراغ الوُسع في محاربته، ومجاهدتـه كأنه عَدوٌ لا يفتر، ولا يُقَصِّـرْ عن محاربة العبـد على عدد الأنفـاس فهـذه ثلاثة أعداء، أُمِـرَ العبـد بمحاربتهـا في هذه الدار، وسُلِّطَتْ عليه امتحانًا من الله له وابتلاء، فأعطى الله العبد مددًا وعدةً وأعوانًا وسلاحًا لهذا الجهاد، وأعطى أعداءه مددًا وعدةً وأعـوانًا وسلاحًا، وبَلاَ أحد الفريقين بالآخر، وجعل بعضهم لبـعض فتنة ليبلُوَ أخبارهم، ويمتحـن من يتولاه، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ (سورة محـمد:٤). ولقد أعطى الله سبحانه وتعالى عباده المدافعـة عن أنفسهم وذلك بدفاعه عنهم، وبذلك انتصروا على عدوهم ولولا دفاعه عنهم لتخطفهم عدوهم، واجتاحهم، وهذه المدافعة عنهم بحسب إيمانهم. وعلى قدره فإن قوي الإيمـان قويت المدافعة، فمن وجد خيـرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاَّ نفسه.

وأمرهم أن يجاهدوا فيـه حق جهاده. كما أمرهم أن يتقـوه حق تقاته، وكما أن حق تقاته أن يطاع فلا يُعْصَى، ويُذْكَرَ فلا يُـنسى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَر، فحق جهاده أن يجاهد العبد نفـسه ليُسْلِمَ قلبه ولسانه وجوارحه لله، فـيكون كله لله وبالله، لا لنفسه ولا بنفسه، ويجاهد شـيطانه بتكذيب عدوه، ومعصيته أمره وارتكاب نهـيه، فإنه يَعِدُ الأماني، ويُمَنِّي الغرور، ويعـد الفقر ويأمر بالفحشـاء، وينهى عن التقى، والهدى، والعفة، والصبر، وأخلاق الإيمان كلها، فجاهده بتكذيب وعده، ومعصية أمره، فينشأ له من هذين الجهادين قـوة، وسلطانًا، وعُدَّةً يجاهد بها أعـداء الله في الخارج بقلبه، ولسانه، ويده، وماله، لتكون كلمة الله هي العليا.

والجهاد هو الوسيلة للحيلولة بين الطغاة، والمستقلين وبين الناس، ولتمكينهم من الاختيار الحر والنظر السليم، وتذوق طعم الدلائل والبراهين، والآيات التي نصبها الله للعباد التي ما تفتؤ الطواغيت تصد عنها عباد الله، كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (سورة هود:١٨-١٩).

واعلموا عباد الله أن معظم التعطيل عن أهداف الدعوة إلى الله يعود إلى خمسة أعداء وهي:

- ★ شهوات النفس وأهوائها.
- ★ الشيطان، والكفار، والمنافقين.
- ★ أهل المنكر وهم الظالمون، والفاسقون.

ويتضامن هؤلاء الأعداء جميعًا ويتعاونون فيما بينهم على محاربة العباد وصدهم عن الحق، وإخراجهم من عبوديتهم لله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

وفي جمعة قادمة ـ بإذن الله ـ نبين مراتب الجهاد بالتفصيل وحكمه، نسأل الله لنا ولكم الثبات إنه على كل شيء قدير.

الجهاد في سبيل الله (٢)

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وبعد:

الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

★ **فجهاد النفس:** أربع مراتب أيضًا:

إحداهم ـ أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلاَّ به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية ـ أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلاَّ فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة ـ أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه وإلاَّ كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهُدَى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة ـ أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله.

★ **وأما جهاد الشيطان:** فمرتبتان:

إحداهما ـ جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشهوات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية ـ جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول: يكون بعده اليقين، والثاني: يكون بعده الصبر. قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ (سورة السجدة: ٢٤). فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة. واليقين يدفع الشكوك، والشبهات.

★ **وأما جهاد الكفار والمنافقين:** فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

★ **وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات:** فثلاث مراتب:

الأولى ـ باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، **«من مات ولم يَغْزُ ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق»**[1].

ولا يتم الجهاد إلاَّ بالهجرة، ولا الهجرة والجهاد إلاَّ بالإيمان، والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (سورة البقرة: ٢١٨).

---

(١) صحيح مسلم، باب ذم من مات ولم يغز، برقم (١٥٨)، (١٩١٠).

وكما أن الإيمان فرض علي كل أحد، فـفرض عليه هجرتان في كل وقت، هجرة إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بالتـوحيد والإخلاص، والإنابة، والتـوكل، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوبة، وهجرة إلى رسوله بالمتابعة والانقياد لأمره، والتصديق بخبره، وتقديم أمره وخبره على أمـر غيره وخبره. **«فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»**[١].

وفرض عليـه جهاد نفسه في ذات الله وجـهاد شيطانه، فهـذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد، وأما جهاد الكفـار والمنافقين، قد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مـقصود الجـهاد. وأكمل الخلق عند الله من كَـمَّل مراتب الجهـاد كلها، والخلق متـفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مـراتب الجهاد، ولهذا كـان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله، فإنه كَمَّلَ مراتب الجهاد، وجاهد في الله حق جهـاده، وشرع في الجهـاد من حين بُعثَ إلى أن توفاه الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ فإنه لما نزل عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (سورة المدثر: ١-٤). شمر عن سـاق الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، ودعـا إلى الله ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهارًا، ولما نزل عليه: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (سورة الحجر: ٩٤). فصدع بأمر الله لا تأخذه فـيه لومـة لائم، فدعـا إلى الله: الصغـير والكبـير، والحـر والعبـد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود، والجن والإنس.

ولما صـدع بأمر الله، وصـرح لقومـه بالدعوة، وناداهم بسب آلهـتهم، وعـيب دينهم، اشتـد أذاهم له ولمن استجاب له من أصـحابه، ونالوهم بأنواع الأذى، وهذه سنة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في خلقه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحـين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأصلي وأسلم على إمام المتقين، وقائد المجاهدين ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين. **أما بعـد...**

---

(١) صحيح البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

عِبَادَ اللَّهِ . . . عندما صدع رسول الله ﷺ بأمر ربه نالوه وأتباعه بالكثير من الأذى كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (سورة الأنعام: ١١٢). ، وقال: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (سورة الذاريات: ٥٢-٥٣). فعزى سبحانه نبيه بذلك، وأن له أسوة بمن تقدمه من المرسلين، وعزى أتباعه بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة: ٢١٤).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن من آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم، وآذوه فابتلي بما يؤلمه، وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة، فحصل له ما يؤلمه، وكان هذا المؤلم له أعظم ألمًا وأدوم من ألم اتباعهم، فلابد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان. لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير إلى الألم الدائم. وسئل الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: أيما أفضل للرجل، أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى والله تعالى ابتلى أولي العزم من الرسل، فلما صبروا مكّنَهُم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتةَ، وإنما يتفاوت أهل الألم في العقول فأعقلهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا، بألم منقطع يسير، وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر؛ فإن قيل كيف يختار العاقل هذا؟ قيل الحامل له على هذا النقد والنسيئة.

والنفس ـ يا عباد الله ـ موكلة بحب العاجل، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (سورة القيامة: ٢٠-٢١)، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (سورة الإنسان: ٢٧). يحصل لكل أحد، فإن الإنسان مدني بالطبع، لابد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم

يوافقــهم آذوه وعذبوه، وإن وافــقهم حصل له الأذى والعــذاب، تارة منهم وتارة من غيرهم، كـمن عنده دِينٌ وتُقى حَلَّ بين قوم فجار ظلمة، ولا يتـمكنون من فجورهم وظلمهم إلاَّ بموافـقته لهـم، أو سكوته عنهم، فإن وافقــهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة، والأذى أضـعاف ما كان يخافه ابتداء لو أنكر عليهم وخـالفهم، وإن سلم منهم فـلابد أن يهان ويعاقب علي يد غـيرهم، فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قـالت عائشة أم المؤمنين لمعاوية: **«من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا»**.

ومن تأمل أحـوال العالم رأى هذا كـثيـرًا، فـيمن يعين الرؤسـاء على أغراضــهم الفاسدة، وفيمن يعين أهل البدع على بدعهــم هربًا من عقوبتهم، فمن هداه الله وألهمه رشده وقاه شـر نفسه، امتنع عن الموافـقة على فعل المحرم، وصبـر على عُدوانهم، ثم تكون له العاقبه في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم، كالمهاجرين والأنصار، ومن ابتلي من العلماء، والعباد، وصالحي الولاة، والتجار، وغيرهم.

عِبَادَ اللَّهِ . . . أما حكم الجهاد في الإسلام فالتـحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب، وإما باللسـان، وإما بالمال، وإما باليد، فعلـى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع.

وإما الجهاد بالنفس ففرض كفاية، وأمـا الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان: والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجـهاد به والنفس في القرآن سواء، كمـا قال تعالى: ﴿**انفرُوا خفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة التوبة: ٤١). وعلق النجاة من النار به، ومغفرة الذنب، ودخول الجنة، قال تعالي: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (سورة الصف: ١٠-١٢).

حقوق الرسول ﷺ

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، خلق فسوى، وقدر فهدى، له الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائم له بحقه، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، وحسرة على الكافرين، وحجة على العباد أجمعين، صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . . **أما بعد...**

عِبَادَ اللَّهِ . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن موضوع حقوق الرسول ﷺ ، فمن واجبنا نحوه ﷺ الإيمان به ﷺ فقد أمر الله بذلك كما أمر بالإيمان بالله والملائكة، والكتب، ورتب الله على ذلك جزيل الثواب، وعلى تركه أليم العقاب، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ (سورة الحديد: ٢٨). والإيمان به ﷺ يستلزم تصديقه فيما جاء به واعتقاد صحة رسالته ثم التكلم به عن معرفة وإيمان، ثم تطبيق ذلك بالعمل بمقتضاه فباجتماع ذلك يكون الإيمان به ﷺ ، ومن الواجب طاعته ﷺ والتحذير من معصيته ولاشك أن طاعته من علامات الإيمان به؛ قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ (سورة النساء:٥٩). وطاعته ﷺ تتمثل في فعل ما أمر به وتجنب ما نهى عنه، والتسليم مع ذلك لما جاء به، والرضا بحكمه وترك الاعتراض على شرعه، أو التعقب والانتقاد لحكمه.

ومن واجب الأمة اتباع الرسول ﷺ واتخاذه قدوه والله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول في آية الامتحان ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ٣١). ومحبته الصادقة تكون بالقلب والقالب، بل تقديمها على ما سواها، قال الرسول ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من: ولده، ووالده، والناس أجمعين**»[(١)] .

ومن لوازم محبته ﷺ الاقتداء به والتأدب بآدابه، وتقديم سنته على رضا كل أحد، وتستلزم أيضًا محبة من يحبه ويواليه، وبغض من يبغضه ويعاديه، ولو كان أقرب قريب، ومن واجب الأمه نحوه ﷺ احترامه، وتوقيره، وتعزيره، كما ذُكرَ في قوله تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (سورة الفتح: ٩). وذلك يكون بنصرته في حياته ﷺ ونصر سنته بعد مماته بالدفاع عنها، والدعوة إليها، ومن واجب الأمة التحاكم إليه والرضا بحكمه، ومنع الاعتراض عليه، قال الله تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٦٥). ومن واجب الأمة إنزاله ﷺ مكانته بلا غلو ولا تقصير فهو عبد الله بشر، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (سورة الكهف: ١١٠). وهو لا يعلم الغيب، ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (سورة الأنعام: ٥٠). ولا يملك لنفسه النفع، ولا الضر، فكيف لغيره: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٨). ولكنه رسول الله اصطفاه الله لرسالته بل هو خاتم الأنبياء والرسل وأفضلهم، بعثه الله للعالمين أجمعين عليه الصلاة والسلام.

عباد الله . . . لقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في بذل الحقوق له ﷺ ولسان حالهم ومقالهم يجمع بين الإجلال، والامتثال لأوامره، أما محبتهم فإنها من

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٥) «كتاب الإيمان»، ومسلم «الإيمان» برقم (٧٠)

النوع الذي لا تتحدث عنه لغة الحروف ولكن لا بأس أن نتعرض لبعض المواقف المعبرة وهي غيض من فيضهم ﷺ في هذا الباب، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يقول: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلاَّ عملت به؛ إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ»، فمن منا - يا عباد الله - يخشى أن يزيغ إذا خالف شيئًا من أمر محمد ﷺ، وكم من المخالفات التي لا أول لها ولا آخر والتي تحسب علينا وسنسأل عنها أمام رب العزة والجلال، فلنراجع أنفسنا قبل فوات الأوان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله الذي بعثه الله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته، ومحبته، وتعظيمه، وتوقيره، والقيام بحقوقه، وسد إلى جنته جميع الطرق، فلم يفتح لأحد إلاَّ من طريقه فشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذُّلَّ والصَّغار على من خالف أمره ﷺ وعلى آله وصحابته. **أما بعد...**

عباد الله . . . نتطرق إلى محبة السلف له - عليه الصلاة والسلام - لما علم أبو بكر الصديق ﷺ أن الإسلام هو الدين الحق استأذن رسول الله ﷺ بل ألح عليه أن يجهر به فما كانت إلاَّ لحظات ثم قام أبو بكر في الناس خطيبًا، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله، ورسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوه في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، وَوطئ أبو بكر فَضُربَ ضَربًا مُبرحًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال: «ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم

وعذبوه، ثم قاموا، وقالوا لأمه ـ أم الخير ـ: انظري أن تطعـميه شيئًا، أو تسقيه إياه، فلما خلت به أَلَحَّتْ عليه، وجعل يقول: مـا فعل رسول الله ﷺ، إنه في شدة البلاء ويسأل مـاذا فعل رسول الله ﷺ؟ إنه يفعل ذلـك قبل أن يسأل عن نفسـه، وقبل أن يتفحص جسده وما ألمَّ به، فبحثوا حتى جاءوا بأبي بكر إلى رسول الله وأدخلوه عليه ﷺ وهو يتكئ، فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكبَّ عليه المسلمون.

وهذه امرأة من الأنـصار قُتِلَ أبوها، وأخـوها، وزوجهـا، فأخبـروها بذلك.. فقالت: ما فعل الله برسول الله؟ قالوا: بحمد الله هو كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.. فلما رأته صاحت من أعماق قلبها: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ يا رسول الله.

نســينا في ودادك كل غــال ⁂ فــأنت اليــوم أغلى مــا لدينا
نلام على مــحــبــتكم ويكفي ⁂ لنا شــرف نلام ومـــا علينا

كان لرسول الله ﷺ مولى يسمى: ثوبان وكـان شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه يومًا وقد تغيـر وجهه ونَحُلَ جسمه، وظهر الحزن في وجـهه، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله، فقـال: يا رسول الله، ما بي من وجع غير أني إذا لم أَرَكَ اشـتقتك، واستوحشت وحشة عظيمة فذكرت الآخرة حيث لا أراك لأني إن دخلت الجنة، فأنت تكون في درجات النبيين فـلا أراك، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٩). وجاء في صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة **فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها؟»، قال: لا شيء إلاَّ أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وارجو ان أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم**[1].

(١) رواه البخاري حديث رقم (٣٦٨٨).

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا الآن مكانك تُضْرَبُ عنقه وأنك في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمدًا مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني لجالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدًا من الناس يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا. وحكى ابن المبارك عن شيخه مالك بن أنس من عظيم الصبر وعظيم الإجلال لحديث رسول الله ﷺ ما يدهش العقل، قال ابن المبارك: كنت عند مالك فتغير لونه وتقلب وجهه عددًا من المرات فلما فرغ من حديث الرسول ﷺ وانصرف الناس جئت إليه فسألته، فقال: صبرت إجلالاً لحديث المصطفى ﷺ فلقد لدغت ست عشرة لدغة، ولم أقطع حديثه ﷺ.

الحجاب والجلباب

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. **أما بعد...**

عِبَادَ اللهِ . . . لقد بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، لا خير إلاَّ دل الأمة عليه، ولا شر إلاَّ حَذَّرها منه. فشمل دينه أحكامًا ووصايا وأوامر وتوجيهات، في نظام متكامل مربوط برباط الفضيلة بجميع أنواعها وشتى كمالاتها، ووسائلها، وإن من أعظم مقاصد هذا الدين إقامة مجتمع طاهر الخلق سياجه، والعفة طابعه، والحشمة شعاره، والوقار دثاره، مجتمع لا تهاج فيه الشهوات، ولا تثار فيه عوامل الفتنة، وتضيق فيه فرص الغواية، وتقطع فيه أسباب التهييج والإثارة، ولقد خصت المؤمنات بتوجيهات في هذا ظاهرة، ووصايا جليلة، فعفة المؤمنة نابعة من دينها، ظاهرة في سلوكها، ومن هنا كانت التربية تفرض الانضباط في اللباس سترة واحتشامًا، ورفضًا للسيرة المتهتكة، والعبث الماجن. فَشُرِعَ الحجاب ليحفظ هذه العفة، ويحافظ عليها، شُرِعَ ليصونها من أن تخدشها أبصار الذين في قلوبهم مرض، وأحكام الحجاب في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ صريحة في دعوتها، واضحة في دلالتها، ليست مقصورة على عصر دون عصر، ولا مخصوصة بفئة دون فئة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٩). تقول أم سلمة وعائشة رضي الله عنهما: **«لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأن رءوسهن الغربان من الأكيسة»**[١].

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني.



والجلباب كل ساتر من أعلى الرأس إلى أسفل القدم من ملاءة، وعباءة، وكل ما تلتحف به المرأة فوق درعها، وخمارها. وإدناء الجلباب يعني: سدله، وإرخاءه على جميع بدنها، بما في ذلك وجهها. وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما: هو تغطية الوجه من فوق رأسها، فلا يبدو إلاً عين واحدة. وما خوطب به أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ مطالب به جميع نساء المؤمنين، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٢-٣٣). فنهى عن الخضوع بالقول، والتبرج تبرج الجاهلية الأولى، وأمر بالمعروف من القول ولزوم القرار بالبيوت نساء المؤمنين في ذلك كنساء النبي ﷺ، بل هو في حق نساء المؤمنين آكد وأولى كما لا يخفى.

وما قوله سبحانه: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ إلاً تأكيدًا لهذا، إذ المقصود بيان أنهن محل الأسوة، والامتثال الأول، ومن بعدهن أسوتهن. وفي هذا يقول أبو بكر الجصاص: وهذا الحكم وإن نزل خاصًا في النبي ﷺ وأزواجه، فالمعنى فيه عام وفي غيره، وفي مقام آخر أيها المؤمنون، والمؤمنات، يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ (سورة النور: ٣١). . . إلخ الآية.

ولقد ذكر في الآية زينتان: إحداهما لا يمكن إخفاؤها: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، ولم يقل إلاً ما أظهرن منها، فَعُلِمَ بهذا: أن المراد بالزينة الأولى زينة الثياب، أما الزينة الثانية: فزينة باطنة يباح إظهارها لمن ذكرتهم الآية: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ إلخ الآية، وأنت خبيرٌ أيها المؤمن، وخبيرة أيتها المؤمنة بأن ممن رخص في إبداء الزينة أمامهم: الأطفال وغير أولي الإربة من الرجال.

والوجه مجمع الحسن ومحط الفتنة، فهل يرخص كشفه للبالغين وأولي الإربة من الرجال. الأمر في هذا جلي ظاهر، وفي نفس الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ وهو ما يُتَحَلَّى به في الأرجل من خلخال وغيره، فإذا كان صوت الخلخال بريدًا إلى فتنة، فكيف بالوجه الذي يحكي الجمال، والشباب، والنضارة. وصوت الخلخال يصدر من فتاة وعجوز، ومن الجميلة والدميمة.

أما الوجه فلا يحتمل إلاَّ صورة واحدة. يقول صاحب (الدر المختار) في فقه أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال لخوف الفتنة كمسه، وإن أمن الفتنة. ويقول عليه الشارح ابن عابدين ـ رحمه الله ـ: المعنى أنها تمنع من الكشف لخوف أن يرى الرجال وجهها فتقع الفتنة، لأنه مع الكشف قد يقع النظر إليها بشهوة وأما قوله: «كمسه» أي: كما يمنع من مس وجهها وكفيها، وإن أَمِنَ الشهوة، لأنه سبيل إلى الشهوة والفتنة فكذلك يغطي الوجه، لأنه طريق إلى الفتنة.

وقبله قال أبو بكر الجصاص: والمرأة الشابة مأمورة بستر وجهها، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج، لئلا يطمع فيها أهل الريب، وفي السنة أيها المؤمنون والمؤمنات حين أُبيح للخاطب النظر من أجل الخطبة، فغير الخاطب ممنوع من النظر. والمقصود الأعظم من النظر هو الوجه، ففيه يتمثل جمال الصورة، وحينما قال ﷺ: **«من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**، قالت أم سلمة رضي الله عنها: **فكيف يصنع النساء بذيولهن؟** ـ أي: الأطراف السفلى من الجلباب والرداء ـ **قال: «يُرْخِينَ شبرًا»، قالت: إذًا تنكشف أقدامهن، قال: «فيرخينه ذراعًا، ولا يزدن عليه»**[1].

---

(١) رواه الترمذي وغيره، واللفظ له وأصله في «الصحيحين»، وصحيح البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥) في اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء.



الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأصلي وأسلم علي سيد الأولين والآخرين، وعلــى آله وصحابتــه، والتابعين، ومن تبــعهم بإحــسان إلى يوم الدين. **اما بعــد. . .**

عباد الله . . . قد أسلفنا ذكر نهي النبي ﷺ عن كشف المرأة لأقــدامها، فالوجه أكثر فتنة فلا يعدو أن يكون تنبيــهًا بالأدنى على الأعلى، والحكمة، والنظر تأبيان ستر ما هو أثقل فتنة، والترخيص في كشف ما هو أعظم فتنة.

عباد الله . . . مهما قيل عن الحجاب، في كيفيــة وصفته، فما كان يومًا ما عثرة تمنع من واجب، أو تحول دون الوصــول إلى حق، بل لقد كان ولا يزال سبــيلاً قويمًا يُمكِّن المرأة من أداء وظيفتها بعفة، وحــشمة، وطهر، ونزاهة، على خير وجه، وأتم حال. وتاريخ الأمة شاهد صــدق لنساء فاضلات جمعن في الإســلام أدبًا، وحشمة، وسترًا، ووقارًا، وعملاً مبرورًا، دون أن يتعــثرن بفضول حجابهن، أو سابغ ثيابهن. وإن في شواهد عصرنا من فتياتنا المؤمنات، متحــجبات بحجاب الإسلام مستمسكات بهدي السنة والكتــاب قائمات بمسئــولياتهن، خيــر ثم خير ثم خيــر من قرينات لهن شاردات كاسيات عاريات مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها متبرجات بزينتهن تبرج الجاهلية الأولى. **اما بعد...**

ليعــلم دعاة السفــور، ومن وراءهم أن التقــدم والتخلــف له عوامله، وأســبابه، وإقحــام الستر، والاحــتشام، والخلق، والالتــزام عاملاً مــن عوامل التخلف خــدعة مكشوفة لا تنطلي إلاَّ على مغفل ساذج، في فكره دخن أو في قلبه مرض.

ودعاة السفور ليــسوا قدوة كريمة في الدين، والأخلاق، وليســوا أسوة في الترفع عن دروب الفتن، ومواقع الريب، ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ (سورة المائدة: ٥٥-٥٦).

أيها الإخوة . . . إن وظيفة المرأة الكبرى ومهمتـها العظمى في بيتها، وأسرتها، وأولادها، وكل ما تـتحلى به من علم ووعي يجب أن يكون مـوجهًـا لهذه المهـمة، وتأهيلاً لهذه الوظيفـة. الرجل هو الكادح في الأسواق، والمسؤل عن الإنفاق. والمرأة هي المربي الحاني، والظل الوارف للحـياة، كلما اشتد لفـحها، وقسـا هجيرها، وإن انسـلاخ أحد الجنسين عن فطرته من أجل أن يلحـقه بجـنس ليس منه تمرد على سنة الله، واعـوجـاج عن الطريق المسـتـقـيم، ولن يـفـيد الـعـالم من ذلك إلاَّ الخلل، والاضطراب ثم الفساد والدمار.

وما لعن المتشبـهون من الرجال بالنساء ولا المتشبـهات من النساء بالرجال إلاَّ من أجل هذا، وسوف تحيق اللعنة، ويتحقق الإبعاد عن مواقع الرحمة في كل من خالف أمر الله، وتمرد على فطرة الله.

أيها المؤمنون . . . كما أمرت المؤمنة بلزوم الحجاب عند خـروجها، ومقابلة غير المحارم فقد أمرت أن تقـر في بيتها، فبيتهـا خير لها، ووظيفتها في بـيتها من أشرف الوظائف في الوجود، ومـا يحسنها ولا يـتأهل لها إلاَّ من اسـتكمل أزكى الأخلاق، وأنقى الأفكار، إن من الخطأ في الرأي والفسـاد في التصور الزعم بأن المرأة في بيـتها قصيدة لا عـمل لها، فما هذا إلاَّ جهل مركب، وسوء فـهم غليظ، سوء فهم بمعنى الأسرة، وجهل بطبيعة المجتـمع الإنساني، والتركيب البشري، والأشد والأنكى الظن بأن هذه الوظيفة قاصرة على الطهي والخدمة؛ إنها تربية الأجيال، والقيام عليها، حتى تنبت نباتًا حسنًا ذكورًا وإناثًا.

عباد الله . . . ظهرت في الآونة الأخيرة بين أوساط النـساء، ما يسمى بالنقاب، ففى بداية الأمر كـان لا يظهر من الوجه إلاَّ العينان فقـط، ثم بدأ النقاب في الاتساع شيئًا فشـيئًا، فأصبح يظهر مع العينين جزء من الوجه ممـا يجلب الفتنة، ولا سيما إن كثـيرًا من النساء يكتـحلن لبسة، وهن ـ أي النسـاء ـ إذا نوقشن في الأمر احـتجبن،

وأجاب على هذه المسألة الشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمه الله ـ في (الفتاوى النسائية) فقال: «لا شك أن النقاب كان معروفًا في عهد النبي ﷺ، وأن النساء كُنَّ يفعلنه، كما يفيده قوله ﷺ في المرأة التى أحرمت: «لا تنتقب»؛ فإن هذا يدل على أن من عادتهن لبس النقاب، ولكن في وقتنا هذا لا أفتي بجوازه، بل أرى منعه، وذلك لأنه ذريعة إلى التوسع فيما لا يجوز، وهذا أمر كما قال السائل مشاهد، ولهذا لم نُفْتِ امرأة من النساء لا قريبة ولا بعيدة، بجواز النقاب أو البرقع في أوقاتنا هذه، بل نرى أن يمنع منعًا باتًا، وأن على المرأة أن تتقي ربها في هذا الأمر، وألا تنتقب لأن ذلك يفتح باب شر لا يمكن إغلاقه فيما بعد».

وسُئل كذلك الشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمه الله ـ عن حكم لبس الكعب العالي، وحكم وضع المناكير، فأجاب في (دليل الطالبة المؤمنة) قائلا: «لبس الكعب العالي مذموم، لأنه من التبرج الذي نهى الله عنه بقوله لنساء النبي ﷺ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (سورة الأحزاب:٣٣). وأما المناكير فإن كانت المرأة تصلي فلا تستعملها، لأنها تمنع وصول الماء إلى ما تحتها، وإن كانت لا تصلي فلا بأس باستعمالها»، انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

حال السلف في رمضان
والأعمال الصالحة التي تتأكد فيه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان شهر الغفران، وجعله من أفضل أيام الزمان ففيه أنزل القرآن، وفيه تصفد الشياطين من الجان، من اعتمر فيه إلى بيت الله كتبت له حجة في الميزان، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره، ونسأله أن يتقبل منا الصيام والقيام، وأصلي، وأسلم على نبينا محمد خير الأنام وخير من صلى وصام ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١). **أما بعد...**

عباد الله . . . اعلموا أن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أجارنا الله وإياكم من النار.

موضوعنا اليوم - بإذن الله - عن حال السلف الصالح في رمضان، والأعمال الصالحة التي تتأكد فيه، فمن ذلك الصيام وليس الصيام فقط عن الطعام والشراب وإنما كما قال ﷺ : **«الصوم جنة، فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث، ولا يفسق، ولا يجهل، فإن سابه أحد فليقل: إني امرؤ صائم»**[1] .

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٤) ، ومسلم (١١٥١).

فالصوم بالسمع فلا يسمع إلاَّ خيرًا كقراءة القرآن، والسنة المطهرة، وغير ذلك من المباحات من طيب الكلام، وقال أهل العلم: إن من استمع إلى الغناء في نهار رمضان (الصحيح) أنه ما صام عن سماع الباطل لم يحفظ سمعه عما حرم الله، وكذلك النظر إلى ما حرم الله، وكذلك من اغتاب الناس، أو سبهم، أو شتمهم، وكل الجوارح يجب المحافظة عليها وأن لا يكون صوم يوم أحدنا وفطره سواء، وهذه المحاذير وغيرها تمنع من قبول الصيام.

فقد قال النبي ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**[1].

وقد كان من السلف من لا يكلم أحدًا في أثناء صيامه إلاَّ للضرورة، وبحسب الحاجة، لأنه يخشى عل صيامه، وأما قيام رمضان فقد قال ﷺ: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»**[2]. وقالت عائشة ﵂: **«لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا»**، تكون صلاة الليل في رمضان في المسجد، وإن صلاها في بيته أجزأه، والقيام يكون حتى ينصرف الإمام، لأن النبي ﷺ قال: **«من قام مع إمامه حتى ينصرف كتبَ له قيام ليلة»**[3].

والراجح في قيام الليل إحدى عشر ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، كما ورد في (الصحاح) عن النبي ﷺ، وإن زاد فلا بأس، ولكن لابد من الطمأنينة، وذلك بالأناة في حركات الصلاة، وليستفيد السامع والقارئ من كلام الله - عزَّ وجلَّ - فقليل العبادة بطمأنينة خير من كثيرها بلا طمأنينة.

---

(١) رواه البخاري « صحيح البخاري» (١٩٠٣).

(٢) رواه البخاري (٢٠٠٩)، ومسلم (٧٥٩).

(٣) رواه أهل السنن قال في «شرح السنة» (٤/ ١٢٤ برقم ٩٩١): إسناده قوي، والترمذي (٨٠٦)، وأبو داود(١٣٧٥)، والنسائي (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

ومن حال السلف الصدقة في رمضان لقول النبي ﷺ : «**الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل**»[(١)]. قالها لمعاذ: ألا أدلك على أبواب الخير ثم ذكر الحديث السابق.

ومن حال السلف في رمضان إطعام الطعام، فقد كان السلف يحرصون عليه ويقدمونه على كثير من العبادات، سواء كان ذلك بإشباع جائع، أو إطعام أخ صالح، فلا يشترط في المُطْعَم الفقر، وللصدقة صورٌ كثيرة، وكان ابن عمر لا يفطر إلاَّ مع اليتامى والمساكين، ولتفطير الصائمين أجرٌ عظيم عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فقد قال ﷺ : «**من فَطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**»[(٢)].

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي وفقنا للصيام والقيام، وجعل شهر رمضان للمواساة وإطعام الطعام، ورغب فيه بكثرة الذكر، وتلاوة أطيب الكلام، نحمده سبحانه وتعالى على الدوام، ونشكره على عظيم فضله، وجزيل الإنعام، وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الكرام. **أما بعد...**

عِبَادَ اللَّهِ . . . **من حال السلف في رمضان قراءة القرآن**؛ فقد كان السلف يكثرون من ذلك، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن كل ليلة مرة، وكان للإمام الشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة.

وقد ثبت في فضل قراءة القرآن أدلة كثيرة من الكتاب والسنة:

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، وانظر: «الإرواء» (٤١٣)، و«صحيح الجامع» (٥١٣٦).
(٢) صححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» (٦٤١٥)، و«صحيح الترغيب» (١٠٧٢)، و«الترمذي» (٨٠٧).

ومن ذلك قول النبي: **«من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين»**[(١)].

وقل ﷺ: **«من قرأ بمائة آية في ليلة كُتِبَ له قنوت ليلة»**[(٢)].

وقال ابن رجب: إنما ورد النهي في قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة: كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة: كمكة لمن دخلها من غير أهلها، وهذا القول للإمام أحمد، وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق.

ومن هدي السلف: البكاء عند تلاوة القرآن؛ وأمثلة ذلك كثيرة في الكتاب والسنة، وسلف الأمة، فعن إبراهيم الأشعث، قال: سمعت فضيلاً «أي ابن عياض» يقول ذات ليلة، وهو يقرأ (سورة محمد)، وهو يبكي ويردد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٣١). وجعل يقول: ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ويردد وتبلو أخبارنا؟ إن بلوت أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا، ويبكي.

ومن حال السلف في رمضان: الجلوس بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس؛ فقد كان النبي ﷺ إذا صلى الغداة ـ أي الفجر ـ جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس. (اخرجه مسلم)، وأخرج الترمذي عن أنس، عن النبي ﷺ أنه قال: **«من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة»**[(٣)]. وهذا في كل الأيام فكيف بأيام رمضان؟

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٦٦٢)، «الصحيحة» (٦٤٢)، «صحيح الجامع» (٦٤٣٩).

(٢) رواه أحمد (١٠٣/٤)، وانظر: «الصحيحة» (٦٦٤)، و«صحيح الجامع» (٦٤٦٨).

(٣) صححه الألباني.

ومن حال السلف في رمضان: العمرة فيه؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«عمرة في رمضان تعدل حجة»**[(١)]، وفي رواية: **«حجة معي»**. فهنيئًا لمن اعتمر بحجة مع النبي ﷺ.

ومن حال السلف الصالح في رمضان: تحري ليلة القدر؛ ففي المسند عن عبادة مرفوعًا: **«من قامها ابتغاءها ثم وقعت له غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**[(٢)].

فيا من أضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر فإنها تحسب من العمر، العمل فيها خير من العمل في ألف شهر بسواها من حَرُمَ خيرها فقد حَرُمَ، وهي في العشر الأواخر من الوتر، وقال أهل العلم: إنها كل عام تنتقل من ليلة إلى أخرى، والوتر ليلة: ٢١, ٢٣, ٢٥, ٢٧, ٢٩.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: **يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»**[(٣)].

ومن حال السلف: الدعاء في سائر أوقات الشهر؛ وخاصة عند الإفطار فللصائم عند فطره دعوة لا ترد. وفي ثلث الليل الأخير حين ينزل ربنا تبارك وتعالى ويقول: **«هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له»**.

والإخلاص - يا عباد الله - من أهم أحوال السلف في رمضان وغيره فكم من صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلاَّ السهر والتعب؟ أعاذنا الله وإياكم من ذلك، ولذلك نجد النبي ﷺ يؤكد هذه القضية في حديثه الشريف: **«إيمانـًا واحتسابـًا...»**.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.
(٢) وللنسائي نحوه، قال الحافظ: إسناده على شرط الصحيح.
(٣) «صحيح الجامع» (٤٤٢٣)، «المشكاة» (٢٠٩١).

حال الناس بعد رمضان

الخطبة الأولى:

الحمد لله مصرف الشهور ومقدر المقدور، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وهو عليم بذات الصدور، جعل الدنيا مزرعة الآخرة، وسوقًا يتزود منها العباد، فيا سعادة من أَحْسَنَ اختيار الزاد، ويا شقاوة من ضيع نفسه ونسي يوم المعاد، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله، وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١) **اما بعد...**

عباد الله . . . كنتم في شهر الخير والبركة، تصومون نهاره، وتقومون من ليله، وتتقربون إلى ربكم بأنواع القربات طمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه، ثم انتهت تلك الأيام، وقطعتم بها مرحلة من حياتكم لن تعود إليكم، وإنما يبقى لكم ما أودعتموه فيها من خير أو شر، والآن بعد أن انقضى شهر رمضان لا ترجعوا بعده إلى المعاصي فإن رب الشهور واحد، ولا تهدموا ما بنيتم فيه من صالح الأعمال فإن من علامة قبول الحسنة اتباعها بالحسنة، وإن الرجوع إلى المعاصي بعد التوبة منها أعظم جرمًا وأشد إثمًا مما كان قبل ذلك، وإن أمامكم ميزانًا توزن فيه حسناتكم، وسيئاتكم. ﴿ مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون:١٠٢-١٠٣).

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن انقضى موسم رمضان فبين أيديكم موسم يتكرر اليوم والليلة خمس مرات، وهو الصلوات الخمس التي فرضها الله على عباده تدعون لحضورها في المساجد لتقفوا بين يدي مولاكم، وتدعوه، وتستغفروه، وتسألوه من فضله، فأجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم، ويُجركُمْ من عذاب أليم.

وبين أيديكم موسم يتكرر كل أسبوع وهو صلاة الجمعة، ويوم الجمعة الذي اختص الله به هذه الأمة، وفيه ساعة الإجابة التي لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئًا إلاَّ أعطاه إياه، وبين أيديكم مواسم في جوف الليل، وفي وقت الأسحار، وخزائن ربكم ملأى لا تغيضها نفقة. ويده سحاء الليل، والنهار فإنه لا غِنى بكم عنه طرفة عين في أي لحظة من اللحظات فليست حاجتكم إليه في رمضان فقط.

ما بال أقوام يا عباد الله يُقْبِلُون في رمضان على الطاعة، فإذا انسلخ تنكروا وتغيرت أحوالهم، لقد سُئِلَ بعض السلف عن مثل هؤلاء فقال: بئس القَوم لا يعرفون الله إلاَّ في رمضان. لقد كانت تمتلئ المساجد بهؤلاء في الصلوات الخمس، وعندما انسلخ رمضان اختفوا، وانمحت آثارهم إلى المساجد وقبعوا في بيوتهم كأنهم استغنوا عن الله، أو كأن الواجبات سقطت عنهم، والمحرمات أُبيحت لهم خارج رمضان.

نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، ومن العمى بعد البصيرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٣٣). فكما أن الحسنات يذهبن السيئات، فكذلك السيئات تقضي على الحسنات.

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد حث رسول الله ﷺ على اتباع رمضان بصيام ست من شوال، فقد روى مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من صام رمضان ثم اتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»**، وإنما كان صيام رمضان وإتباعهُ ستًا من شوال يعدل صيام الدَّهْر لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان عن عشرة أشهر، وستة أيام من شوال عن شهرين. وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة منها:

أن صيام رمضان كصلاة النافلة بعد الفـريضة يكمل بذلك ما حصل من صيام رمضان من خلل ونقص.

فإن الفرائض تجبَـر أو تُكْمَل بالنوافل يوم القيامة، وأكثر الـناس يقع في صيامه للفرض خلَلٌ ونقص فيحتاج إلى ما يَجْبُرُه، ويُكَمِّلُهُ من صيام النفل.

عِبَادَ اللهِ . . . إن هذه الشهور، والأعوام، والليالي، والأيام كلها مقادير الآجال، ومواقـيت الأعمال، ثم تنقـضي سريعًـا، وتمضي جميـعًا، والذي أوجدها وأبدعـها وخصها بالفضائل وأودعها باقٍ لا يزول، ودائم لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد، ولأعـمال عـباده رقـيبٌ وشاهد، فـاتقوه، وداوموا عـلى طاعته، واجـتناب معصيته؛ فإن كل وقت يُخْلِيه العبدُ من طاعتـه فقد خسره، وكل ساعة يَغْفلُ فيها عن ذكر ربه تكون عليه يوم القيـامة حسرة وندامة. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (سورة فصلت: ٤٦).

الخطبة الثانية:

الحمد لله مثيب الطائعين ومُجْزِلِ العطاء للصـابرين، أمر عباده بسلوك سبيل البر والطاعة. وحذرهم من دروب أهل التفريط والإضاعة، أحـمده سبحانه على نعمائه، وأشكره على آلائه. وأشهـد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهـد أن سيدنا محـمداً عـبده ورسوله، اللهم صل وسلـم على عبدك ورسـولك محـمد وعلى آله وأصحابه. **اما بعد...**

عِبَادَ اللهِ . . . لقد أمرنا الله سبـحانه وتعالى بالتقوى في عدة مـواطن من كتابه الكريم، وكذا على لسـان نبيه مـحمد ﷺ فـقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٢). والتقوى هي اجتناب ما حـرم الله عليك، وفعل ما أمرك الله به مما أمر به في محكم كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فإذا فعلت المأمور وابتعدت عن المحظور

طاعة لله، وخوفًا من عقابه، فقد اتقيت الله وكنت من أولياء الله المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (سورة يونس:٦٢-٦٣). آمنوا بالله وحده، وآمنوا برسوله، واتبعوا أمره، واجتنبوا نهيه، وكان هواهم تبعًا لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ؛ فإذا رزق الله العبد هذه النعمة العظيمة، التي هي السلامة من الأهواء المضادة لما جاء به الرسول ﷺ، وكان هواه موافقًا ومتبعًا لأمر الله وهدي نبيه فقد استكمل الإيمان، وفاز بالأمان، وكم منا يا عباد الله من يردون مواطن الشبهات، ويعتقدون أنها الحق، وكم منا من يُلبِّسون على المسلمين ويظن الناس أنهم يحسنون صنعًا، وكل ذلك سببه جهلنا كتاب ربنا، وسنة نبينا محمد ﷺ، وكم منا من يتلونون فيقولون أقوالاً ينقضونها بين وقت وآخر، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلى العظيم.

عباد الله . . . كم قاد الهوى صاحبه إلى الهلكات، وزجه في الورَطات، كم قاد إلى أمور مفنْكَرَة، وأحوال مستنكرة، كم أوقعه في أمور كان فيها حتفه وشقاؤه في الدنيا والآخرة، فاحذر يا عبد الله كل الحذر من الهوى، ومن أسباب الشقاء، والزم ـ رحمك الله ـ التمسك بدينك، واتباع هدي نبيك، والسير في منهاج الصالحين، ودروب المتقين، ومجالسة أهل الصدق، والوفاء ، والبر، والتقى لتحصل لك السعادة في العاجل والآجل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف:٢٨).

عباد الله . . . تعيش الأمة الإسلامية اليوم يقظة إسلامية مباركة، تعيش الأمة عودًا حميدًا إلى الله، نسأل الله أن يبارك هذه اليقظة، وأن يحفظها، وأن يثمرها، وأن يوجهها، وأن يهديها سواء السبيل لكننا نخاف على هذه اليقظة من صنفين:

متشدد في دين الله، علم ظاهر القرآن، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال عن الخوارج: **«يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم»**[1].

وذلك لأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، أخذوا ببعض النصوص وتركوا بعضها، فلم يتمكنوا من الاستنباط الصحيح، ولا عرفوا دلائل الألفاظ، ومقاصد الأدلة، فضلوا وأضلوا، والصنف الآخر الذي يخشى على الصحوة منه رجل مستهتر ،مستهزئ، جعل عباد الله فاكهته، فاستهزأ بهم في المجالس، وحقرهم وجعل الدعاة غرضًا له، يقع في أعراضهم، ويسخر من حركاتهم وسكناتهم، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

(١) انظر «صحيح البخاري» (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤).

السلاح المعطل

الدعـــاء

الخطبة الأولى:

الحمـد لله الذي جعل الدعاء عـبادة، وجعله سـلاحًا للمؤمنين المتـقين، وجعل المعرضين عن الدعاء من المستكبرين الداخلين جهنم داخـرين، نحمده سبحانه وتعالى ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **اما بعـد...**

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن عبـادة عظيمة، وسلاح عظيم، وهو الدعاء الذي غفل عنه كـثير من الناس فإن هذا السلاح يوصل العبـد بالمعبود، يوصل المخلوق بالخـالق قـال ربنا ـ عـزَّ وجلَّ ـ ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ (سورة غافر: ٦٠). **الله** ـ عزَّ وجلَّ ـ سمى الدعاء عبـادة لمنزلة الدعاء العظيمة التي ما عـرفها أكثر الناس فقـد بخل الكثيرون أن ينتشروا بين يدي الله وسمـاه أيضًا ﷺ عبادة فقال فيمـا روى الترمذي بسند حسن أن رسول الله ﷺ قال: **«الدعاء هو العبادة»**[١]. فلما عرف أصحاب النبي ﷺ قيمة الدعاء جاءوا إلى الرسول ﷺ فقالوا: يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله جلَّ علا: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦).

---

(١) صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وصحيح أبي داود (٢٣٢٩).

أيها المسلمون . . . إن هذا السلاح هو الذي يستخدمه أوليـاء الله من الصالحين في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، قال جلَّ علا: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النمل: ٦٢) ، «الله أكبر» ما انطلقت سهام الصادقين إلى السماء فجاءت الإجابة فإني قريب.

اتسخر بالدعاء وتزدريه	أما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطيء ولكن	لها أمد وللأمد انقضاء

نعم إنها السهام التي لا تخطئ إذا أطلقها الصادقون، نعم إذا أطلقها الصادقون ووصلت إلى قواعد كن فيكون.

فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾ (سورة القمر: ١٠) . فأتت النتيجة ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ (سورة القمر: ١٠-١٤). فلا إله إلاَّ الله على سفينة تجري في حفظ الله ورعايته، ولا إله إلاَّ الله وهي تجري بهم في موج كالجبال. ومع ذلك نجا عليه السلام لأن الله يحفظ رسله وألولياءه وأحبابه وأنصار دينه. وهذا الخليل عليه السلام حينما أُلقي في النار قال: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣)، فحوَّل الله الجحيم نعيمًا على إبراهيم عليه السلام، فجاءت النصرة؛ ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٦٩). وهذا يونس بن متى عليه السلام نادى ربه في ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، فإذا الرب جلَّ جلاله بعد أن قال ذلك العبد: ﴿ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٧)، فإذا الجواب: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة الصافات: ١٤٣-١٤٤). فكان سلاحه عليه السلام الدعاء؛ لذا يُوصي صاحب (التائية) ويقول:

وَنادِ إذا سجدت له اعترافًا	لتذكر في السماء إذا ذكَرْتا

فلا إله إلاَّ الله، أيها الإخـوة على قلوب امتلأت بخشـية الله، **ولا إله إلاَّ الله** على ألسنة تـعظم الله، **ولا إله إلاَّ الله** على أيد تـوضـأت لله، **ولا إله إلاَّ الله** على دمـــوع انسكبت من خشية الله (**الله أكبر**)، ذكر العلامـة ابن القيم ـ رحمـه الله ـ والعهدة عليه في كتـابه (الجواب الكافي): أن رجلاً من الصالحين وذكر أنه من الصـحابة كان في سفره إلى مكة فـاعترض له قاطع طريق فقال له ذلـكم الرجل الصالح عند علمه بسوء نيته، وطويتـه، ومقصده: خذ مالي وخذ متـاعي واتركني وشأني. فقال: لابد أن أقتلك. فلما أدرك أنه لا مـحالة، قال: إذًا أمهلني أصلي ركعـتين، أمهلني أختم حيـاتي بركـعتين، فلمـا دخل في الصلاة قـال في السجـود وهو ينادي رب الأرض والسموات، وهو يُناجيه ويَنْكَسرُ بين يديه: يا ودُودُ يا فعال لما تريد، أغثني يا مغيث، أغثني يا مغيث، أغثني يا مغيث؛ فإذا بملك من ملائكة السماء ينزل على ذلك الرجل فيقضي عليه. فلما فرغ من صلاته فقال له: من أنت يا من أنقذني الله بك؟ قال: أنا رسول من يجيب المـضطر إذا دعاه. فقد استـأذنت ربي أن يكون خلاصك على يدي لقد دعوت دعاء عظيمًـا سمعنا للسماء قعقعة. الله أكـبر إن دعاء الصادقين وإن دعاء المخلصين هو الذي تنزل به الإجابة، وهو الذي يسمع، وهو الذي يجاب بإذن الله.

الخطبة الثانية:

الحـمد لله الذي خلق السـموات والأرض، وجـعل الظلمـات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **أما بعد** ...

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن قصص الذين استـخدموا ذلك السلاح كثيرة فـجاءتهم النصرة ولكن هذه النصرة لابد أن يقارنها بشرط مهم ألا وهو طَيِّبُ الطعام.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»**[١].

---

(١) رواه مسلم «باب الزكاة» (٦٥).

ولذلك يستجاب الدعاء بشرط أن لا يُعَجِّل ذلك الذي يدعو، وأن لا يدعو بمنكر من القول، وأن لا يدعو بقطيعة رحم.

ولأن لكل مفتاح أسنان حتي يِفْـتَحْ فلابد للدعاء أيضًا من أسنان، وأسنان الدعاء هو الإخلاص. أيها المسلمـون أوصي نفسي وإياكم بالانكسار وكثـرة الدعاء؛ فإن الله جلَّ وعلا لا يمل حتى تملوا، والله يحب من عباده الذين يلِحُّون بالدعاء فألِحُّوا، بارك الله فيكم بالدعاء، واعلموا أن الله يبسط يده بالليل ليـتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

واعلموا أن لهذا السلاح أوقات فاضلة يستخدم فيها فلا يرد بإذن الله جلَّ وعلا، فمن هذه الأوقات ما بين الأذان والأقامة فـالدعاء لا يرد، وأما ساعة الإجابة في يوم الجمعـة فقد اختلف العلماء من الصـحابة فمن بعدهم في تحـديد وقت تلك الساعة. إلى ثلاثة وأربعين قولاً أرجـحها، وأصحهـا عند أكثر أهل العلم آخر سـاعة من بعد العـصر؛ لمـا رواه النسائي، وأبو داود مـن حديث جـابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: «**يوم الجمعة اثنا عشر ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئًا إلاَّ آتاه إياه، والتمسوها آخر ساعة بعد العصر**»[1]

وعند نزول الغـيث، عند نزول المطر الدعاء بإذن الله لا يُرَدُّ، وكـذلك في الثلث الأخير من الليل، وكذلك عند فطر الصائم فله دعوة لا ترد، فيا ويل الظلمة، يا ويل من ظلم مسلمًا، يا ويله من سهام دعـوته إذا أصابت، وما أجمل ما قال ذلك الوزير من البرامكة عندما سُلِبَتْ منه الوزارة، وأُدْخِلَ السجن على يد الرجل الصالح الخليفة هارون الرشيد فكان ابن الوزيـر معه في السجن فقال لـوالده: ما الذي أصابنا يا أبي

(١) رواه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، وانظر: «صحيح الجامع» (٨١٩٠).

فبعد أن كانت لنا الصولات والجولات، أصبحنا وقد قُيِّدَتْ أيدينا وأقدامنا في السجن. فقال هذا الوزير للابن: يا بني إن هذه دعوة مظلوم سرت في آخر الليل نِمْنا نحن عنها ولكن عين الله لا تنام، عين الظالم نامت، ولكن عين المظلوم لم تنم لأنها قد أُضْجِعَت ولأنها قد غضت مضاجع ذلك المظلوم فماذا قطع من نوم، فإذا بعين ملك الملوك الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم يسمع تلك الهمسات في الظلمات فإذا به يجيب المضطر إذا دعاه.

أيها المسلمون ... لا تعطلوا هذا السلاح لأنكم قد عرفتم، وأكثر المسلمين قد تسلحوا بالسلاح الحسي، ولكنهم ما عرفوا قيمة السلاح المعنوي.

فالله الله تسلحوا بالدعاء، واعرفوا قيمته، واجعلوا ألسنتكم دائمًا رطبة من ذكر الله ودعائه، وتحروا أوقات الإجابة، وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

السحر وخطره

على الإسلام والمسلمين وعلاجه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا. **اما بعد...**

عباد الله . . . نظرًا لكثرة المشعوذين في الآونة الأخيرة ممن يدَّعون معرفة الطب ويعالجون عن طريق السحر أو الكهانة، وانتشارهم في بعض البلاد واستغلالهم للسذج من الناس ممن يَغْلِبُ عليهم الجهل. رأيت من باب النصحية لله ولعباده أن أبين ما في ذلك من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين لما فيه من التعلق بغير الله تعالى، ومخالفة أمره، وأمر الرسول ﷺ، فأقول مستعينًا بالله تعالى ـ رأي الشيخ عبد العزيز بن باز ـ: بجواز التداوي اتفاقًا، وللمسلم أن يذهب إلى دكتور أمراض باطنية، أو جراحة، أو عصبية، أو نحو ذلك ليشخص له مرضه، ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعًا حسبما يعرفه في علم الطب لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية ولا ينافي التوكل على الله.

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الداء وأنزل معه الدواء، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، ولكنه سبحانه ما جعل دواء عباده فيما حرم عليهم فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب،



أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء شأنهم الكفر والضلال؛ لكونهم يدعون أمور الغيب.

وقد روى مسلم في (صحيحه) أن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[1] أخرجه أبو داود، وأخرجه أهل السنن الأربعة، وصححه الحاكم عن النبي ﷺ بلفظ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من تَطَيَّرَ أو تُطِيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّنَ لَه، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» (رواه البزار بإسناد جيد).

ففي هذه الأحاديث الشريفة، النهي عن إتيان العرافين وأمثالهم وسؤالهم، وتصديقهم والوعيد على ذلك، فالواجب على ولاة الأمور، وأهل الحسبة، وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان، والعرافين، ونحوهم، ومنعهم مَنْ يتعاطى شيئًا من ذلك في الأسواق وغيرها، والإنكار عليهم أشد الإنكار، والإنكار على من يجيء إليهم.

ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يأتي إليهم ممن ينتسب إلى العلم فإنهم غير راسخين في العلم بل من الجهال لما في إتيانهم من المحذور، لأن الرسول ﷺ قد نهى عن إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم لما في ذلك من المنكر العظيم، والخطر الجسيم، والعواقب الوخيمة، ولأنهم كَذَبَة فجرة.

كما أن في هذه الأحاديث دليلاً على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدعيان علم الغيب، وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلاَّ بخدمة الجن، وعبادتهم من دُون الله، وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه، والمصدق لهم بدعواهم علم الغيب ويعتقد بذلك يكون مِثْلَهُمْ.

وكل من تلقى هذه الأمور ممن يتعاطاها فقد بَرِئَ منه رسول الله ﷺ ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجًا كَتَمْتَمَتِهِمْ بالطلاسم، أو صب الرصاص، ونحو ذلك من الخرافات التي يعلمونها فإن هذا من الكهانة، والتلبيس على الناس، ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم، كما لا يجوز أيضًا لأحد من المسلمين أن يذهب إلى من يسأله من الكهان، ونحوهم عمن سيتزوج ابنه، أو قريبه، أو عما يكون بين الزوجين، وأسرتيهما من المحبة والوفاء أو العداوة والفراق، ونحو ذلك لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، والسحر من المحرمات الكفرية، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في شأن الملكين في سورة البقرة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة:١٠٢).. فدلت هذه الآية الكريمة على أن السحر كفر وأن السَّحَرة يفرقون بين المرء وزوجه، كما دلت على أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعًا ولا ضرًا، وإنما يؤثر بإذن الله الكوني القَدَرِي لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الخير، والشر.

ولقد عظم الضرر، واشتد الخطب بهؤلاء المُفْتَرِينَ الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولَبَّسوا بها على ضعفاء العقول فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، كما دلت الآية الكريمة على أن الذين يتعلمون السحر إنما يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وأنه ليس لهم عند الله خلاق ـ أي من حظ، أو نصيب ـ وهذا وعيد عظيم يدل على شدة خسارتهم في الدنيا والآخرة، وأنهم باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان، لهذا ذمهم سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، والشراء هنا بمعنى البيع، نسأل الله العافية والسلامة من شر السحرة والكهنة وسائر المشعوذين، كما نسأله سبحانه أن يقي المسلمين شرهم، وأن يوفق المسلمين للحذر منهم، وتنفيذ حكم الله فيهم حتى يستريح العباد من ضررهم، وأعمالهم الخبيثة إنه جوادٌ كريم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأصلي على من أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله إمامًا للمتقين ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **اما بعد...**

عباد الله . . . لقد شرع الله سبحانه لعباده ما يتقون به شر السحر قبل وقوعه وأوضح لهم سبحانه ما يعالجون به قبل وقوعه رحمة منه لهم وإحسانًا منه إليهم وإتمامًا لنعمته عليهم وفيما يلي بيان للأشياء التي يتقى بها خطر السحر قبل وقوعه والأشياء التي يُعَالَجُ بها بعد وقوعه من الأمور المباحة شرعًا.

★ **اما النوع الأول:** وهو الذي يُتَّقَى به خطر السحر قبل وقوعه فأهم ذلك، وأنفعه هو التحصن بالأذكار الشرعية، والدعوات، والتعوذات المأثورة، ومن ذلك:

١ - **قراءة آية الكرسي**، خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام، ومن ذلك قراءتها عند النوم، وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم، وهي قوله سبحانه: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥).

٢ - **ومن ذلك قراءة** ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾، و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾، و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ خلف كل صلاة مكتوبة، وقراءة السور الثلاث، ثلاث مرات في أول النهار بعد صلاة الفجر، وفي أول الليل بعد صلاة المغرب.

٣ - **ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل**، وهما قوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦)، إلى آخر

السورة، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»، وصح عنه أيضًا ﷺ أنه قال: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»، والمعنى والله أعلم كفتاه من كل سوء.

٤ ـ **ومن ذلك الإكثار من التعوذات** (بكلمات الله التامات من شر ما خلق) في الليل والنهار، وعند نزول أي منزل في البناء، أو الصحراء، أو الجو، أو البحر لقول النبي ﷺ: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**».

٥ ـ **ومن ذلك أن يقول المسلم في أول النهار، وأول الليل ثلاث مرات: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم»** لصحة الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ، وأن ذلك سبب للسلامة من كل سوء.

وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر، وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق، وإيمان، وثقة بالله واعتماد عليه، وانشراح صدر لما دلت عليه، وهي أيضًا من أعظم الأسلحة لإزالة السحر بعد وقوعه مع الإكثار من الضراعة إلى الله وسؤاله سبحانه أن يكشفَ الضرر، ويُزيلَ البأس.

★ ومن الأدعية الثابتة عنه ﷺ في علاج الأمراض من السحر، وغيره، وكان ﷺ يرقي بها أصحابه:

١ ـ **«اللهم رب الناس أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا»**.

٢ ـ ومن ذلك الرقية التي رقى بها جبريل النبي ﷺ وهي قوله: «**بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك**» وليكرر ذلك ثلاث مرات.

٣ ـ ومن علاج السحر بعد وقوعه أيضًا وهو علاج نافع للرجال إذا حُبسَ عن جماع أهله، أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل، ويقرأ فيها آية الكرسي، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾، وآيات السحر التى في (سورة الأعراف)، وهي قوله سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف:١١٧-١١٩)، والآيات التي في (سورة يونس)، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (سورة يونس:٧٩-٨٢)، والآيات في (سورة طه): ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (سورة طه:٦٥-٦٩).

وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب بعض الشيء، ويغتسل بالباقي، وبذلك يزول الداء إن شاء الله تعالى، وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء.

٤ ـ ومن علاج السحر أيضًا وهو من أنفع علاجه، بذل المجهود في معرفة موضوع السحر في أرض أو جبل، أو غير ذلك؛ فإذا عرف استخرج وأتلف بطل السحر.

هذا ما تيسر بيانه من الأمور التي يحل بها السحر ويعالج، والله ولي التوفيق.

وأما علاجه بعمل السحرة الذي هو التقرب إلى الجن بالذبح أو غيره من القربات، فهذا لا يجوز لأنه من عمل الشيطان بل من الشرك الأكبر فالواجب الحذر من ذلك كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون لأنهم لا يؤمنون ولأنهم كذبة فجرة يَدَّعُونَ علم الغيب ويُلَبِّسُونَ على الناس، وقد حَذَّر الرسول ﷺ من إتيانهم، وسؤالهم، وتصديقهم، كما سبق بيان ذلك في أول الخطبة، والله المسئول أن يوفق المسلمين لعافية من سوء، وأن يحفظ عليهم دينهم ويرزقهم الفقه فيه، والعافية من كل ما يخالف شرعه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى سائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين، وعنا معهم بفضلك ومنك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين . . . .

شهادة الزور

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١). **أما بعد...** .

عباد الله .. موضوعنا اليوم بإذن الله عن شهادة الزور، أجارنا الله وإياكم من ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (سورة الحج: ٣٠). أي: جميع الأقوال المحرمات فإنها من قول الزور. وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (سورة الإسراء: ٣٦). أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (سورة الإسراء: ٣٦).

فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله، وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته، أن يُعِدَّ للسؤال جوابًا، وذلك لا يكون إلاَّ باستعمالها بعبودية الله، وإخلاص الدين له. والكف عما يكرهه الله تعالى، وقال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن

قَوْلٍ﴾ خير أو شر ﴿إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة ق:١٨) أي: مراقب له، حاضر لحاله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الإنفطار: ١٠-١٢) . وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (سورة الفجر: ١٤). لمن يعصيه يمهله قليلاً ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٧٢) . أي لا يحضرون الزور أي القول، والفعل المحرم فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله، والجدل بالباطل، والغيبة، والنميمة، والسب، والقذف، والاستهزاء، والغناء المحرم، وشرب الخمور، وفرش الحرير، والصور، ونحو ذلك.

وإذا كانوا لا يشهدون الزور، فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ولا يفعلوه. وشهادة الزور داخلة في قول الزور، تدخل في هذه الآية بالأولوية: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ وهو الكلام الذي لا خير فيه، وليس فيه فائدة دينية ولا دنيوية، ككلام السفهاء ونحوهم ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: نزهوا أنفسهم، وأكرموها عن الخوض فيه، ورأوا أن الخوض فيه ـ وإن كان لا إثم فيه ـ فإنه سفه ونقصٌ في الإنسانية والمروءة فربئوا بأنفسهم عنه، وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه. ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، فقال: **«الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وقال: الا انبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور ـ أو قال ـ شهادة الزور»** (رواه البخاري، ومسلم).

عِبَادَ اللَّهِ . . . مما ينبغي أن يَحْذَرَ منه المسلم في جانب الشهادة، شهادة الزور، وهي الحالقة، التي تحلق الدين: فقد قام رسول الله ﷺ، فقال: **«يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكًا بالله ـ ثلاث مرات ـ ثم قرأ:** ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (سورة الحج: ٣٠).

وفي (الصحيح) عن أبي بكر، أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»، قلنا: بلى يا رسول الله! فقال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»** وكان متكئًا فجلس، فقال: **«ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور»** فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. (رواه البخاري، ومسلم).

وشهادة الزور هي الشهادة الكاذبة التي ليس لها أساس من الصحة، بأن يشهد الإنسان بما ليس له به علم: إما بدافع المحبة لمناصرة المشهود له بالباطل، وإما بدافع الطمع بما يعطيه المشهود له من المكافأة المالية أو غيرها دون تفكير في العاقبة الوخيمة، ودون خوف من الله. فشاهد الزور قد ارتكب أمورًا خطيرة:

▪ منها الكذب، والافتراء، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ (سورة النحل: ١٠٥).

▪ ومن المحاذير التي ارتكبها شاهد الزور: أنه ظلم الذي شهد عليه فاستبيح لشهادته عليه ماله، أو دمه، أو عرضه.

▪ من المخاطر أيضًا التي ارتكبها شاهد الزور: أنه ظلم المشهود له، حيث ساق إليه بموجب شهادته حق غيره ظلمًا وعدوانًا، فباع دينه لدنيا غيره، وشر الناس من باع آخرته بدنياه، لكن شرا منه من باع آخرته بدنيا غيره، وشر الناس من ظلم الناس للناس.

▪ ومن المخاطر التي وقع فيها شاهد الزور: أنه استباح ما حرَّمَ الله من الكذب، وأموال الناس، ودمائهم، وأعراضهم فاستباح محرمات كثيرة.

إن شاهد الزور قد تأخذ منه النشوة مأخذها إذا رأى شهادته قد جلبت له مصلحة، لكنه غفل أو تغافل عن عاقبة جُرْمِهِ، فلا خير في لذة من بعدها النار.

فيا من شهد زورًا! لقد ظلمت نفسك، وظلمت الناس، وبعت آخرتك بدنيا غيرك، فأنت بهذا من الذين يُفسدون في الأرض، ولا يصلحون. فقد تقلب شهادتك الباطل حقًا وغررت بالحكام، وأفسدت الأحكام، وساعدت أهل الإجرام.

كم خَرَّبَتْ شهادة الزور من بيوت عامرة، وضَيَّعَتْ حقوقًا واضحة! كم فرقت بين المرء وزوجه، ومنعت صاحب الحق حقه.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الشهادة أمرها عظيم، لكن الناظر في أوضاع بعض المسلمين اليوم يجد تساهلاً في أمر الشهادة، فالبعض يشهد بما لم يَر، ولم يَعْلَمْ، وإنما ثقة منه بمن أخبرهُ، أي بمجرد العاطفة فقط، ومنهم من يتساهل في الشهادة في أمر التزكية دون علم منهم بحاله وسلوكه، ودون اعتبار لما يترتب على هذه التزكية من مخاطر، فقد يستغل ذلك المزكى هذه التزكية للتغرير بالمسلمين، أو أخذ ما لا يستحق. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**﴾ (سورة النساء:١٣٥). أي: قوامين بالحق لله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا لأجل الرياء والسمعة، واشهدوا بالعدل لا بالجور.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، أرسله الله رحمة للعالمين وإمامًا للمتقين. **أما بعد...**

عِبَادَ اللَّهِ . . . عن النعمان بن بشير ﷺ أنه قال: نحلني أبي نَحْلا، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشْهِدَ عليه رسول الله ﷺ، فجاءه ليشهده، فقال: **«أَكُلَّ ولدك نحلته مثله؟»، قال: لا. فقال: «اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم»**، وقال: **«إني لا أشهد على جور»، قال: فرجع أبي، فرد صدقته**[1].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

وهذا دليل على أن الإنسان لا يجوز له أن يشهد على جور، لأن شهادته ستكون وسيلة لثبوته، فيكون معينًا على الجور، وكذا المحرم - كالربا - لا تجوز الشهادة عليه، ومن شهد فقد باء باللعنة، لأن النبي ﷺ لعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن مما يؤسف له في هذا الزمان أن الناس يتحدثون بما يسمعون دون تثبت في التأكد من صحة المعلومات، ودون البحث الدقيق الموصل إلى الحقيقة، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقد ثبت فيما صح عنه ﷺ أنه قال: «**كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما يسمع**»، أي: كفي بالمرء ذنبًا أن يتكلم بأي شيء يسمعه فلابد من الحذر من هذه الظاهرة التي انتشرت بين المسلمين، وبُنيت عليها أمور لا أول لها ولا آخر.

وكذلك يا عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا أن الكذب أساس من أسس شهادة الزور بل هو آكدها وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كفى بالمرء كَذِبًا أن يحدث بكل ما سمع**»، وفي هذا الحديث بيان أن من الذنوب التي يحاسب عليها العبد الكذب، وهو الكلام بكل ما يسمع دون تثبت في ذلك، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد أخبرنا النبي ﷺ فيما ثبت في (الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خداعاتٌ يُصدَّقُ فيها الكاذب، ويُكَذَّبُ فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**»، **قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»**.

وعن سَمُرةَ عن النبي ﷺ في (الصحيح) أنه قال: «**رأيت الليلة رجلين، أتياني، فأخذا بيديَّ فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائم على رأسه بيده كلوب من حديد فيدخله في شدقه فَيَشُقَّهُ حتي يُخْرِجَهُ من قفاه، ثم يخرجه فيدخله في شدقه الآخر، ويلتئم هذا الشِّدق فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقت معهما، فإذا رجلٌ مستلق على قفاه، ورجلٌ قائمٌ بيده فهرٌ، أو صخرة فيشدخ به رأسَهُ، فيتدهدهُ**

الحجَرُ، فإذا ذهب ليأخذَهُ عاد رأسه كما كان، فيصنع مثل ذلك، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلقت معهما، فإذا بيت مبني على بناء التَّنُّور، أعلاه ضيقٌ وأسفله واسع، يوقد تحته نار، فيه رجالٌ ونساء عراة فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا أُخْمِدَتْ رجعوا فيها، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقت، فإذا نهرٌ من دم، فيه رجلٌ، وعلى شاطئ النهر رجل بين يديه حجارةٌ فيقبل الرجل الذي في النهر، فإذا دنا ليَخْرُجَ رمي فيه حجرًا، فرجع إلى مكانه فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقت....» إلخ الحديث ، والحديث طويل ولا يتسع المقام لإتمامه.

وفي آخر الحديث فقلت ـ أي الرسول ﷺ ـ: «فقلت لهما: إنكما قد طوفتماني منذ الليلة، فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم، أما الرجل الأول الذي رأيت فإنه رجل كذاب يكذب الكذبة فتحتمل عنه في الآفاق، فهو يُصْنَعُ به ما رأيت إلى يوم القيامة، ثم يصنعُ الله تعالى به ما يشاء. وأما الرجل الذي رأيت مستلقياً على قفاهُ، فرجلٌ آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل بما فيه بالنهار، فهو يُفْعَلُ به ما رأيت إلى يوم القيامة. وأما الذي رأيت في التنور فهم الزُّنَاةُ، وأما الذي رأيت في النهر، فذاك آكل الربا....» إلخ الحديث.

الشبـاب والـزواج (١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق الذكر، والأنثي، وأقسم بتلك المعجزة الكبرى، فقال عز من قائل: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ (سورة الليل:١-٤). وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وسع كل شيء علمًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله القائل: «**الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة**»، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اما بعد... فيقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ (سورة النساء: ١).

في هذه الآية الكريمة أَمْرٌ بتقوى الله سبحانه وامتنان من الله على عباده بأن خلقهم من نفس واحدة، هي آدم عليه السلام، وخلق من هذه النفس زوجها وهي حواء، وخلق منهما بالزواج والتناسل أناسًا كثيرين، وأقام مجتمعات متتالية على مر السنين، فبالزواج يكثر الخلق، ويزداد العمران، وتتواصل المجتمعات على مر الزمان.

ولقد حث الشارع الحكيم على المبادرة بالزواج، وذلك بالترغيب فيه، وتسهيل متطلباته، وتيسير سبله، وإذا كان رسول الله ﷺ قد رغَّبَ في الزواج بقوله: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[١].

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٦٦).

فإنما هي دعوة للشباب للمبادرة، ومسئوليـة الآباء والمهتمين للإعانة بتيسير دواعيه وتخفيف مؤنته.

ذلك أن للزواج فضائل كثيرة تعـود على الشباب، ويجني ثمارها المجتمع، وهي سنة أرادها الله لعـمار الكون، وامـتداداً للفـرع من الأصل، حيث كـان من دعَوَات رسول الله ﷺ للزواج: التناسل، والتكاثر، فإنه يباهي بأمته الأمم يوم القيامة.

وقد عبر كثير من علماء المسلمين في عمق دلالة هذا الحديث بإبراز الغرض الأسمى من الزواج وهو التناسل، فابن قدامة ـ رحمه الله ـ يقول في (مختصر منهاج القاصدين): «وفي النكاح فوائد منها: الولد لأن المقصود بقاء النسل، ليبقى جنس الإنسان».

وابن الجوزي ـ رحـمه الله ـ في كتابه (صـيد الخاطر) يقـول: «تأملت في فوائد النكاح ومعانيه ومـوضوعه، فرأيت أن الأصل الأكبر في وضعـه وجود النسل». كما تحدث ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (زاد المعاد في هدي خيـر العباد) عن أسرار كثيرة، وحكم بالغة تُسْتَفَادُ من الزواج، وقد اسـتفاد منه الشاطبي في تعليل الحكمة من ورائه عندما قـال في (الموافقات): «النكاح مـشروع للتناسل بالقـصد الأول»، ثم نقل رأياً لابن القيـم في الزواج عندما قال: «قـال ابن القيم: وُضِعَ الزواج في الأصـل لثلاثة أمور هي مـقاصده الأصليـة، وأورد أهمها وهو حـفظ النسل، ودوام النوع، إلى أن تتكامل العُدَّة التي قُدِّر بروزها إلى هذا العالم».

وتنفير الشباب من الزواج، أو إحجامهم عن المبادرة إليه، قد يترتب عليه مفاسد اجتماعية كثيرة، ومنها انقطاع الفرع، كما نلمس في بعض البيوت التي انقطع عقبها، وينبع هذا الانقطاع توقف الفرع في العمل الصالح كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[1].

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨)، ومسلم (١٦٣١).

ويجب أن يدرك الشاب أن الزواج عبادة يتقرب بهـا إلى الله، فهو مأجور بحفظ الشهـوة، وغض الطرف، وصرف النطفة في الحـلال، كما أنه مـأزورٌ بنقيض ذلك، لأنه صرف للشيء في غير ما أباحه الله كـما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (سورة الإسراء: ٣٦).

وقد استغرب الصحابة ﷺ عندما أخبرهم المصطفى ﷺ يقول: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، **قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! فقال** ـ المعلم والموجه ـ ﷺ: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أليس عليه إثم؟**»، **قالوا: بلى. قال: «فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر»**[1].

فالزواج الذي يعتبر ضرورة من ضـروريات النفس البشرية، ويجب أن يرغب فيه الشباب، له فـضائل، وفيه فوائد، فعـلاوة على كونه توجيهًا دينيًا تحث عليـه شريعة الإسلام، فهو يحـفظ النوع البشري بامتداد الفرع من الأصول، واستـمرار الحياة على وجه الأرض، ليعمـرها، وتستقيم أحوالهم، حـتى يكتمل الأمر الذي أراده الله لفناء الجنس البشري في الحياة الدنيا، كما قال جل وعلا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٥). ذلك المستقري يجد في الزواج منافع كثيـرة، يعود بعضها عـلى الفرد، وبعضها علي المجـتمع، ليحصل بذلك الاسـتقرار النفسي، والتمازج الحسي، والترابط الاجتماعي، مع شعور الشاب بالمسئولية، وجميع الخصال التي تربط بذلك تقترن بعمارة الأرض، والاسـتخلاف فيها، وكلها لا تتحقق بفرد واحد، سواء كان ذكرًا أو أنثى مهـما كانت مكانته، وعظمت قدرته، يقول جلا وعلا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (سورة الروم: ٢١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦).

والزواج يا عباد الله باب للغنى، وسعة الرزق، فلا يظن بعض المتشائمين من الشباب أن الزواج مدخل من مداخل الفقر، وكثرة النفقات، بل هو باب من أبواب الغنى والرزق للإنسان؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»**(١).

قال كثير من أهل العلم: هذا شيء مجرب، لأن الزواج يدفع إلى علو الهمة، والعمل، ونبذ الكسل، وإلى الشعور المسئولية، وقد قال تعالى: ﴿**إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ (سورة النور: ٣٢).

فالمتزوج يتفاعل إحساسه مع زوجته في الحرص على تحسين وضعهما الأسري ماليًا، ومعيشيًا، واهتمامًا بالأولاد، ومتطلباتهم، ورغبة في توفير السكن الذي يظلهم، ويكفيهم شر العوز.

وقد ذكر ابن قدامة في فوائد النكاح أمورًا ترفع من مكانة الشباب وتشعرهم بالمسئولية مثل: مجاهدة النفس، ورياضتها بالرغبة والولاية، والقيام بحقوق الأهل، والاجتهاد في كسب الحلال، والقيام بتربية الأولاد، وكل هذه الأمور مما يقوي شخصية الشباب، ويعلي من قدره، ويجعله رجلاً صالحًا في نفسه مصلحا لغيره.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته إلى يوم الدين. **أما بعد...**

عِبَادَ اللَّهِ . . . للزواج فوائد صحية فالكسب الصحي الذي يناله الشباب بحرصهم على الزواج المبكر لهو من أبرز الفوائد؛ ذلك أن الغريزة الجنسية إذا حُفظَت بالزواج، ونُظِّمَت بالعلاقة الشرعية كانت النتائج الصحية عظيمة وظاهرة، وإن ضُيِّعت بالسفاح

---

(١) صحيح الجامع (٣٠٥٠).

وتُعَدِّي عـليها بنـبذ تعالـيم شرع الله، وإسلام النـفس قيادة الهـوى، كانت النـتائج الصحية أضرارًا، ومصائب على الفرد، والجماعة، ألم يقل سبحانه: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (سورة المؤمنون:٧). ومقارنة هذا بما ظهر في الغرب في السنوات الأخيـرة التي أطلقت للإباحية الزمـام حيث زهد شبـابهم ذكورًا، وإناثًا في الزواج، واعتبروه قيدًا يمنع الحرية الشخصيـة، ويحجب المتعة والانطلاق، فعاقبهم الله بطاعون القـرن العشـرين مرض الإيـدز الذي أقض مضـاجعهم، وأفسد ما كانوا يتـصورونه متعـة، وحرية فَضَجَّ إعلامهم، واسـتنفروا وسائل الوقاية المختلفـة، ورصدوا الأموال الهائلة، وفتـحوا المختبـرات، وواصلوا التجارب، لعلهم يجدون عـلاجًا ينقذ الملايين المصابين بهذا الوباء.

عِبَادَ اللهِ . . . وللإحجام عن الزواج مـفاسد كثيـرة، هذا علاوة على الأمراض الكثيـرة التي أحصـاها المختصـون في نشرات وكـتب؛ حيث بلغت أكـثر من ثلاثين مرضًا، مما دفع العقلاء منهم إلى إزجاء النصائح: بأنَّ حفظ الشباب ووقاية المجتمعات تكمن في تعاليم الإسلام وحلوله، حيث رغب الشـباب في الزواج، ونَظَّمَ العلاقات الزوجية، وهيَّـأ لكل فـرد ما تختص به نفسه من الزوجات بحـسب قدرته، وحَرَّمَت تعاليـمه العلاقة غيـر المشروعة وشَدَّدَت في العـقاب على من يتجـاوزها: حَدًا زاجرًا وعقـابًا، وما ذلك إلا أنهـم أدركوا من تعالـيم الإسلام: توجيـهات تهـذب النفس، وتحقظ الفرد والمجتمع من المخاطر، وهذا ما يُسمى بالأمن الخُلُقي والراحة النفسية.

وإذا كان كثير من العزاب يُبْتَلَوْن بأمـراض نفسية ووساوس فإن ابن القيم في (زاد المعاد) قد أوضح أن سبب ذلك ناتج عن العزوف عن الزواج، حيث لاحظ أن الزواج يحفظ الصحة، ويُقَوي البدن، ويعلي الهمة.

أما علماء الاجـتماع، والمتخصصـون في مُكَافَحَةِ الجريمة: فيـرون أن من فضائل الزواج التقليل من الجـريمة ودواعيها، وأنه يشـيـع المحبة في المجتـمع، وينمي الترابط

والتواصل، ويحبب في البرِّ، وفعل الخير؛ ولذا فإن الإسلام لم يحث عليه إلاَّ لآثاره الكثيرة والحسنة، فهو يدعو للبر بالوالدين، والحنو على الصغير، وغير ذلك من الفضائل التي يبرز أثرها اجتماعيًا وتربويًا.

وهي دعوة أوجهها للشباب بالمبادرة، وللفتيات بعدم التمنع خلف أي سبب من الأسباب دراسة أو غيرها، وسيرى الجميع الخير في الزواج لأنه منهج الإسلام، ومنهج الإسلام كله خير وبركة، سواء أدركنا أم لم ندرك.

عِبَادَ اللهِ . . . ومن أراد العفاف من الزواج فقد أراد أمرًا مشروعًا مستحسنًا، يستحق عليه العون والتيسير من الله تعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»**[1].

ومن رحمة الرسول الكريم بهذه الأمة أنه ما ترك خيرًا إلاَّ دلها عليه، فانظر إليه يوجه طالب الزواج إلى اختيار المرأة التي تحقق له مقاصد الزواج الشرعية، فيرغبه في اختيارها.

فيقول: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[2]، ويقول أيضًا: **«الدنيا متاعٌ، وخير متاعها المرأة الصالحة»**[3].

فالمرأة الصالحة يُلْزِمُهَا دينُها طاعةَ زوجها، وأداء حقه، وحفظ غَيْبَتِهِ في نفسها وماله. قال الله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (سورة النساء: ٣٤).

---

(١) رواه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن للزواج معوقات ينبغي تجنبـها، ومن ذلك رفع المهور، وجعلها محلا للمفاخرة، والمتاجرة، دون تفكيـر في ذلك، واعلموا أن ضخامة المهر مما يسبب كراهيـة الزوج لزوجتـه، وتبرمه منهـا عند أدنى سبب، وأن سـهولة المهـر مما يسبب الوفـاق، والمحبـة بين الزوجين، ومما يُوجِدُ البـركةَ في الزواج. قـال ﷺ : «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»[1] .

وللزواج معوقات منهـا شراء الأقمشة المرتفعة الأثمـان، وشراء المصاغات الطائلة الباهـظة الثمن. والمبـالغة في تأثيث غـرفة الزوجـة، والإسراف والتـبذير في إقـامة الولائم، ومن الناس من جلبوا إلى المسلمين عـادات سيئة، وأفعالاً محـرمة جعلواها من إجراءات الزواج، من ذلك إقامـة السـهرات المصحوبـة بالمغنيين ليرفـعوا أصواتهم بالألحان والمزامير، وإذا كان إعـلان النكاح مـشروعًا؛ فإن ذلك يكون بما بينـه الرسول ﷺ من ضرب الدف، ويـتولى ذلك النسـاء منفـردات ساعـة من ليل أو نهـار، وقد أفتى بذلك الشـيخ عبـد العزيز بن باز ـ رحمـه الله ـ وكثيـر من أهـل العلم من أهل السنة والجماعة.

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبصرنا وإياكم الهدى، إنه جواد كريم.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٨٢)، وانظر: «صحيح المشاكاة» (٣٠٩٧).

الشباب والزواج (٢)

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١) أما بعد...

عِبَادَ اللَّهِ . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الشباب والزواج، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النور: ٣٢).

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد حث الإسلام على اختيار المرأة المستقيمة في دينها وخلقها، لأن الدين يراعي الحقوق ويحفظها، ويعصم النفس من الطغيان، والخلق الحميد ينشر المودة والمحبة، فتستقيم الحياة الزوجية، وتدوم العشرة بينهما، فالمرأة المتدينة تتقي الله في أفعالها وتصرفاتها على ما أمرها به الإسلام، من طاعة زوجها، وتغرس في أولادها بذور التقوى، وتنشئهم نشأة صالحة، فيكونوا خير خلف لخير سلف، روى

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»، ويقول الرسول ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١].

بيَّن الرسول ﷺ في هذا الحديث: أن المظاهر والصفات الزائلة التي ينشدها الرجال من النساء أنها كلها ليست ذات أهمية، وإنما المهم هو الدين كما قال ﷺ: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»، قال الشوكاني: فيه دليل على أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لاسيما فيما تطول صحبته كالزوجة.

وإذا كان الإسلام ينشد في الزوجة مواصفات معينة ويحث من يريد الزواج أن تكون هذه المواصفات نصب عينيه، فإنه في الوقت ذاته يعتبر في الرجل مواصفات أيضًا، ومن أهم هذه المواصفات مما ينبغي أن تعتبر في الرجل الخلق والدين، فعلى أهل الفتاة أن يحرصوا على اختيار صاحب الخلق والدين؛ ويدل على ذلك مفهوم حديث الرسول ﷺ المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[٢].

ومعنى الحديث: أنكم إن لم تزوجوا المرأة إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج، وأكثر رجالكم بلا نساء؛ فيكثر الافتتان والزنا وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد؛ ويترتب على ذلك قطع النسب وقلة الصلاح والعفة.

ويفهم من الحديث: أن الدين والخلق لابد من اعتبارهما، فالواجب على أهل الفتاة أن يتحروا الدقة فيمن يتقدم لخطبة فتاتهم ولا يتسرعوا في عقد زواجها لرجل قبل أن يعرفوا دينه وخلقه؛ حتى لا يفاجئوا بما ينغص عيشهم ويكدر عليهم صفو حياتهم، فيندمون ولات ساعة مندم.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.



عِبَادَ اللَّهِ . . . ومن حسن رعاية الإسلام للمرأة واحترامه لها أنه أعطاها حقها في التملك، إذ كانت في الجاهلية مهضومة الحق، حتى أن وليها كان يتصرف في خالص مالها، لا يدع لها فرصة التملك، ولا يمكنها من التصرف، فرفع الإسلام عنها هذا الإصر، وفرض لها المهر وجعله حقًا على الرجل لها، وليس لأبيها ولا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئًا منها إلا في حال الرضا والاختيار، قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (سورة النساء: ٤). وآتو النساء مهورهن عطاءً مفروضًا لا يقابله عوض، فإن أعطين شيئًا من المهر بعدما ملكن من غير إكراه ولا حياء ولا خديعة، فخذوه سائغًا، لا غصة فيه، ولا إثم معه، وأما مقدار المهر فلم تجعل الشريعة حدًا لقلته، ولا لكثرته، إذ الناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتعاونون في السعة والضِّيق، فتركت التحديد ليعطي كل واحد قدر طاقته، وحسب حالته، وكل النصوص جاءت تشير إلى أن المهر لا يشترط فيه إلا أن يكون شيئًا له قيمة ـ بقطع النَّظر عن القلة والكثرة ـ فيجوز أن يكون خاتمًا من حديد أو قدحًا من تمر أو تعليمًا لكتاب الله، وما شابه ذلك إذا تراضى المتعاقدان.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إن الصداق شُرِعَ في الأصل حقًّا للمرأة تنتفع به، فإذا رضيت بالعلم والدين، وإسلام الزوج، وقراءته القرآن، كان هذا من أفضل المهور وأنفعها وأجلبها، فما خلا العقد من مهر.

والإسلام ـ يا عباد الله ـ يحرص على إتاحة الزواج لأكثر عدد ممكن من الرجال والنساء ليستمتع كل بالحلال الطيب ولا يتم ذلك إلا إذا كانت وسيلته مذللة وطريقته ميسرة بحيث يقدر عليه الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير، ولاسيما أنهم الأكثرية، فكره الإسلام التغالي في المهور، وأخبر أن المهر كلما كان قليلاً كان الزواج مباركًا، وأن قلة المهر من يمن المرأة فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»**. وكثير من الناس جهل هذه التعاليم وحاد عنها وتعلق بعادات

الجاهلية من التغالي في المهور، ورفض التزويج إلا إذا دفع الزوج قدرًا كبيرًا من المال يرهقه ويضايقه، كأن المرأة سلعة يساوم عليها، ويتجر بها، وقد أدى ذلك إلى كثرة الشكوى، وعانى الناس من أزمة الزواج التي أضرت بالرجال والنساء على السواء ونتج عن ذلك كثير من الشرور والمفاسد وكسد سوق الزواج.

واعلموا يا عباد الله . . . أن هناك حقوقًا مشتركة بين الزوجين: ومنها المعاشرة بالمعروف، والمعاملة الحسنة هذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة:٢٢٨). وأما المعاملة الحسنة من قِبل الزوج يشير إليها قول الرسول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[١].

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله . . . لقد كان للسلف الصالح نماذج كثيرة في خصال الخير المبارك، وفي هذا المقام نتحدث ـ بإذن الله ـ عن رجل فاضل وعالم جليل ونقي وتقي، وزاهد وعابد، هذا الرجل هو أحد فقهاء المدينة السبعة، وهو فقيه الفقهاء في عهده وسيد التابعين على الإطلاق، هذا الرجل يضعُ النقاط على الحروف في تقليل الصداق، وترك المغالاة، والرضا بالقليل من الصداق، سجل التاريخ بأن هذا الرجل مرَّ عليه من السنين أربعون سنة ولم يؤذن المؤذن إلا وهو في المسجد.

هذا الرجل هو سعيد بن المُسَيَّب، زوج ابنته المثالية، التي قلَّ أن يوجد مثلُها، زوَّجها على درهمين ـ أي: نصف ريال سعودي من الفضة ـ، وبعد أيام قليلة من عقد الزواج أعطى زوجها عشرين ألف درهم.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. انظر «تحفة الأحوذي» (٢/ ٣٢٥).

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة، وكان من أحسن الناس، وأكثرهم أدبًا، وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج، وكان فقيرًا، فأرسل إليه بخمسة آلاف، وقيل بعشرين ألفًا، وقال: استنفق هذا، وقصته في ذلك مشهورة.

وقد كان عبد الملك بن مروان خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها، قلت: وحيث أن العمل لله في هذه القصة الشيقة الرائعة، لذا سجلها التاريخ، وتناقلها الناس وتحدثوا بها، وحتى بعض الخطباء على المنابر يذكرونها.

ورحم الله سعيد بن المسيب فإنه لم يزوج ابنته من أجل المال، والرياء، والسمعة، والفخفخة، إنما زوجها من أجل الدين، والستر، والأخلاق الفاضلة، والاستقامة، والسلوك المرضي، وهكذا ينبغي أن يزوج الأولياء مولياتهم، إن كانوا رجالاً مؤمنين، وناصحين، وقال ابن خلكان في (وفيات الأعيان): وروي عن سعيد ابن المسيب أنه قال: «حججت أربعين حجة»، وعنه أنه قال: «ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الأول». أهـ.

قلت: رحم الله رجالاً تطيب المجالس بذكرهم، ثم قال ابن خلكان: وقال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلاَّ أخبرتنا فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هلاَّ أحدثت امرأة غيرها؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني، وما أملك إلاَّ درهمين أو ثلاثة؟ فقال: إن أنا فعلت تفعل؟ قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين ـ أو قال على ثلاثه ـ فقال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فَصِرْتُ إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ،

وأستـدين، وصليت المغرب وكنت صائمًـا فقدمت عـشاي، وكان خبـزًا وزيتًا، وإذا بالباب يقرع فـقلت: من هذا؟ قال: سعيـد، ففكرت في كل إنسان اسمه سـعيد إلاَّ سـعيـد بن المسيب؛ فـإنه لم يُرَ منذ أربعين سنة إلاَّ مـا بين بيتـه والمسجـد، فقـمت وخرجت، وإذا سـعيد بن المسيب، فظننت أنـه قد بدا له، فقلت: يا أبا محـمد هلاَّ أرسلت إليَّ فآتيك. قـال: لا، أنت أحق أن تُؤْتى، قلت: فما تأمـرني؟ قال: رأيتك رجلا عزبًا قـد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك فـإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب فسـقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صَعَدتُ إلى السطح فناديت الجيران فـجاءوني، وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: زوجني سعيـد بن المسيب اليوم ابنته وقـد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار فـنزلوا إليها وبلغ أمي فجـاءت، وقالت: وجهي من وجهـك حرام إن مسسـتها قبل أن أصلحـها ثلاثة أيام، ثم دخلت بها فـإذا هي من أجمل النساء، وأحفظهن لكـتاب الله تعالى، وأعلمهن بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهن بحق الزوج. قال: فمكث شهرًا لا يأتيني، ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجـد، فلما لم يبق غيـري قال: ما حـال ذلك الإنسان؟ قلت: هو على ما يحب الصَديق، ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعـصا. وقد مات سعيد ابن المسيب، وماتت ابنته، ومات زوجها، وبقـيت الذكرى حية عطرة يفوح أريجها، ويتألق نجمها في سماء الدنيا. فهل من مطيع؟ وهل من سامع؟ وهل من متعظ؟ وهل من داعٍ أو عاملٍ بتقليل المهر؟.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن من الأمور التي يجب التنبيـه عليها، وتذكيـر الناس بها هو أن من النسـاء من تـسكت عن الزوج والأولاد الذين لا يُصلون، وعـدم الـنصح لهم، والإنكار عليهم، ولتـعلم الأخت المسلمة أن من ترك الصلاة عـامدًا فقد كفـر، ويعد

مرتدًا عن الإسلام والمرتد له أحكام: منها أنه ينفسخ عقد زواجه من امرأته، ويكون استمتاعه بها استمتاعًا بامرأة أجنبية عنه، وأولاده منها أولاد غير شرعيين، فكيف ترضين أيتها المرأة المسلمة بالعيش مع من ترك الصلاة، وتهاون بها؟

وينبغي للفتاة المسلمة أن تتساءل كيف تكون ذات دين فيرغب فيها الخُطَّاب إن ذلك لا يتأتى إلاَّ بالعلم الشرعي وظاهرة الجهل بأمور الدين كثيرًا ما توجد بين النساء، وكذلك الإعراض عن تعلم العلم الشرعي وخصوصًا ما يتعلق بأحكام النساء وقد قال ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[1].

والجهل - يا عباد الله - بأمور الدين يجعل الكثير من الناس يقع في كثير من المنهيات، نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) رواه ابن ماجه.

الشفاعة وأنواعها

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١). **أما بعد...**

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الشفاعة وأنواعها، فالشفاعة منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة، ونحوهم من أهل البدع،

والنوع الأول ـ الشفاعة الأولى: وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، فقد ثبت في (الصحيحين) وغيرهما عن جماعة من الصحابة ﷺ أحاديث الشفاعة؛ منها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ بلحم، فدفع إليه منها الذراع، فنهس منها نهسة، ثم قال: **«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم،**

فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي «نفسي نفسي»، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي «نفسي نفسي»، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول:إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ـ وذكر كذباته ـ نفسي نفسي «نفسي نفسي»، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي «نفسي نفسي»، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو، وَكَلَّمْتَ الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى:إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتون فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي ـ عزَّ وجلَّ ـ ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تُعْطَه، اشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، يا رب، أمتي أمتي، فيقول: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء

الناس فيما سواه من الأبواب»، ثم قال: **«والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة، وهجر أو كما بين مكة وبصرى»**[1].

والنوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم، وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أُمِرَ بهم إلى النار، أن لا يدخلوها.

النوع الرابع ـ شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس ـ شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في (الصحيحين).

النوع السادس ـ الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه، ثم قال القرطبي في (التذكرة) بعد ذكر هذا النوع: «فإن قيل فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (سورة المدثر:٤٨). قيل: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة».

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على إمام المتقين، وأول الشافعين ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين. أما بعد. . .

عباد الله . . . **النوع السابع من الشفاعة:** أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة كما تقدم، وفي (صحيح مسلم) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«انا أول شفيع في الجنة»**.

---

(١) أخرجاه في (الصحيحين) بمعناه، واللفظ للإمام أحمد.

النوع الثامن ـ شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهـذا النوع الأحاديث. وقد خـفي علم ذلك على الخوارج، والمعـتزلة، فخالفوا فـي ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعنادًا ممن علم ذلك واسـتمر على بدعته. وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون أيضًا، وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات. ومن أحاديث هذا النوع حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«شفاعتي لأهل الكبائر من امتي»**[1] .

وروى البخـاري ـ رحمه الله ـ في كـتاب (التوحيـد) حدثنا سليمـان بن حرب، حدثنا حـماد بن زيد، حدثنا مـعبد بن هلال الغـزي، قال: اجتـمعنا وناسٌ من أهل البـصرة، فـذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا مـعنا بثـابت ـ البناني إليه ـ يسـأله عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فـوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعدٌ على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء، أو من حديث عائشة: «فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخـوانك من أهل البصرة، جاءوك يسألونك عن حديث الـشفاعة» فقال: حدثنا محمد ﷺ ، قال: **«إذا كان يوم القيـامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقـول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيـأتون إبراهيم فيقـول: لست لها ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله فيـأتون موسى فيقـول: لست لهـا ولكن عليكم بعـيسى، فإنه روح الله وكلمـته، فـيأتون عيـسى فيقـول: لست لهـا ولكن عليكم بمحـمـد ﷺ فيأتون، فـأقول: انا لهـا، فأسـتـأذن على ربي فـيـؤذن لي، ويلهمني مـحـامـد احمده بهـا، لا تحضرني الآن، فـأحمد بتلْكَ المحامد، واخر له ساجداً، فيقـال: يا مـحـمد ارفع راسك، وقل يُسْمَع، واشفـع تُشَفَّع، وسَلْ تُعْطَ، فاقول: يا رب امـتي امتي، فيـقال: انطلق فأخـرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فافعل، ثم أعود فأحمد بتلك المحامد، ثم اخر له سـاجداً. فيقـال: يا مـحـمد، ارفـع راسك، وقل يسمـع لك، واشفـع تُشَفَّع، وسَلْ تُعْطَ،**

---

(١) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

فأقول: يا رب امتي امتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فانطلق فأفعل ثم أعودُ بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعْطَ، واشفع تشفع، فأقول: يا رب امتي امتي، فيقول: انطلق فأخْرجْ من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فانطلق فأفعل» قال:

فلما خرجنا من عند أنس قلت: (لبعض أصحابنا) لو مررنا بالحسن، وهو متوار في منزل أبي خليفة، فحدثناه بما حدثنا به أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثلما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه؟ فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه؟ فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميعٌ منذ عشرين سنة، فما أدري أنسي أم كره أن تتكلوا؟ فقلنا: يا أبا سعيد، فحدثنا، فضحك، وقال: خُلِقَ الإنسان عجولاً! ما ذكرته إلاَّ وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به. قال: **«ثم اعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعْطه، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلاَّ الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلاَّ الله»**[١].

وفي (الصحيح) من حديث أبي سعيد ﷺ مرفوعًا، قال: **«فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشَفَعَ النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلاَّ أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فَيُخْرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قط»**[٢].

---

(١) حديث صحيح، وهكذا رواه مسلم.

(٢) جزء من حديث مطول. رواه مسلم (١٨٣) (٣٠٢)، وأحمد (٣/ ٩٤).

الصبـــر

الخطبة الأولى

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد . . . قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٣).

أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية (بالصبر والصلاة) فالصبر هو حبس النفس، وكفها عما تكره، وهو ثلاثة أقسام:

صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها. فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه. وخصوصًا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد

الافتـقار إلى تحـمل الصبـر، وتجرع المرارة الشاقـة. فإذا لازم صـاحبهـا الصبـر فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمـة عليها لم يدرك شيئًا، وحصل على الحرمان، وكذلك المـعصية التي تشتد دواعي النفس، ونوازعـها إليها، وهي في مـحل قدرة العـبد. فـهذه لا يمـكن تركهـا إلاَّ بصبـر عظيم، وكف لدواعي قلبـه، ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد. فهذه لا يمكن تركها إلاَّ بصبر عظيم. وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعـالى، واستعانة بالله على العصمـة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصًا إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسـدية، ويوجد مقتـضاها وهو التسخـط، إن لم يقاومها صـاحبها بالصـبر لله، والتوكل عليـه، واللجأ إليه، والافتـقار على الدوام. فعلمت أن الصـبر محتـاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله.

فلهذا أمر الله تعـالى به وأخبر أنه: ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي مع من كان الصـبر له خلقًا، وصـفة، وملكة، بمعـونته وتوفيـقه، وتسديده، فـهانت عليـهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة.

وهذه معـية خاصة، تقـتضي محبـته، ومعـونته، ونصره، وقربه، وهذه منقـبةٌ عظيمة للصـابرين. فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلاَّ أنهم فازوا بهـذه المعية من الله، لكفى بها فضـلاً وشرفًا، وأما المعـية العامة، فهي مـعية العلم والقدرة كـما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (سورة الحديد: ٤). وهذه عامة للخلق.

وقال تعـالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة الزمر: ١٠).

والشاهد في باب الصبـر من هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وهذا عامٌ في جـميع أنواع الصـبر: الصـبر على أقـدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكـبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها. فوعد

الله الصابرين أجـرهم بغير حـساب، أي بغيـر حد ولا عد ولا مقـدار، وما ذاك إلاً لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وأنه معين على كل الأمور.

وأما حقيقـة الصبر: فهو حبس النفس وكفهـا عن الجزع والسخط، واللسان عن الشكوى، والثبـات على أحكام الكتاب والسنة، قـال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الراس من الجسد، فمن لا صبر له لا إيمان له، كما أن لا جسد لمن لا راس له**»، وهو من أعظم الأمـور وأنفعـهـا، لذلك ذكره المولى في الـقرآن في كـثيـر من المواضع، وحكمه الوجوب بإجماع الأمة، رزقنا الله وإياكم الصبر على المكاره.

عن أبي يحيى أُسـيد بن حُضَـيْر رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار قـال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانًا؟ فقال: «**إنكم ستلقون بعدي اثرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**» (متفق عليه).

والأثرة: يعني الاستئثار بالشيء عـمن له فيه حق يريد بذلك ﷺ أنه يستولي على المسلمين ولاة يسـتأثرون بأموال المسلمين يـصرفونهـا كما شـاءوا، ويمنعـون المسلمين حقهم فيها. وهـذه أثـرة، وظلم من الولاة أن يسـتأثروا بالأمـوال التي للمسلمين فيها الحـق ويسـتأثروا بها لأنفـسهم عن المسلمين، ولـكنه قال: «**اصبـروا حتى تلقـوني على الحوض**» يعني أنكم إذا صبـرتم فإن من جزاء الله لكـم على صبركم أن يُسْـقِيكُم من حوضه ـ حوض النبي ﷺ ـ اللهم اجعلنا جميعًا ممن يَرِدهُ ويشرب منه.

وقال تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ (سورة الشورى:٤٣). أي من صبر على مـا يناله من أذى الخلق وغفر لهم، بأن سمح لهم عـما صدر منهم، ﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ أي الأمور التي حث الله عليـها وأكدها وأخبـر أنه لا يلقاها إلاً أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمـور التي لا يوفق لها إلاً أولو العزم والهمم، وذوو الألباب، والـبصائر، فـإن ترك الانتصـار للنفس، بالقول أو الفـعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق

وأشق. ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به واستعان الله على ذلك. ثم إذا ذاق العبد حلاوته، وجد آثاره، تَلَقَّاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه. وقال تعالي: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (سورة محمد:٣١). ذكر الله في هذه الآية أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيل الله فقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ أي نختبر إيمانكم وصبركم، ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله بنصر دينه، وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقًا، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصًا في إيمانه.

وقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ المجاهد: هو الذي بذل جهده لإعلاء كلمة الله فيشمل المجاهد بعلمه، والمجاهد بالسلاح، كلاهما مجاهد في سبيل الله، فالمجاهد بعلمه يتعلم العلم ويُعَلِّمُه، وينشره بين الناس ويجعل هذا وسيلة لتحكيم شريعة الله هذا مجاهد.

والذي يحمل السلاح لمقاتلة الأعداء هو أيضًا مجاهد في سبيل الله إذا كان المقصود في الجهادَين أن تكون كلمة الله هي العليا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والخسران والمذلة لأعداء الدين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد...**

عِبَادَ اللَّهِ . . . سبق أن تكلمنا عن الآيات في الصبر، ونبين الأحاديث الواردة في ذلك. فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان. أو تملأ ما بين السموات والأرض.، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو**

موبقها» (رواه مسلم) ، والشاهد من هذا الحـديث قول رسول الله ﷺ : **«والصبـرضيـاء»** بيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن الصـبر ضياء، يعـني أنه يضيء للإنسان، يضيء له عندما تحتلك الـظلمات، وتشتد الكربـات، فإذا صـبر فإن هذا الصبـر يكون له ضياء يهديه إلى الحـق. ولهذا ذكـر الله ـ عـز وجـل ـ أنـه من جملة الأشيـاء التي يستعـان بها، فهو ضياء للإنسـان في قلبـه، وضـياء له في طريقـه ومنهاجه وعمله؛ لأنه كلما سار إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على طريـق الصبر؛ فـإن الله تعالى يزيده هدى وضياء في قلبه وبصره.

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخُدْري رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حـتى نَفِدَ ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: **«ما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»** (متفق عليه).

وفي هذا الحديث بيان من رسول الله ﷺ أن من يتصبر يصبره الله أي: يعطيه الله الصبر. فإذا حـبست نفسك عما حرم الله عليك، وصـبرت على ما عندك من الحاجـة والفقر، ولم تلح على الناس بالسـؤال، فإن الله تعالى يُصَبِّـرُكَ، ويُعينُكَ على الصبر.

وهذا هو الشاهد من الحـديث لأنه في باب الصبر، ثم قـال الرسول ﷺ : **«وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»** ، أي: ما مَنَّ الله على أحد بعطاء من رزق أو غيره خيرًا وأوسع من الصَّبر.

لأن الإنسـان إذا كان صبـورًا تَحَمَّلَ كـل شيء، إن أصابتـه الضَّراءُ صـبر، وإن عرض له الشيطان بفعل المُحَرَّم صبر، وإن خَذَلَـهُ الشيطان عن ما أمر الله صبر.

فإذا كان الإنسان قـد مَنَّ الله عليه بالصَّبر فهذا خيـر ما يُعْطاهُ الإنسان وأوسع ما يُعطاه، ولذلك تجد الإنسان الصَّبور لو أوذي من قبل الناس، لو سمع منهم ما يكْره، لو حصل منهم اعتداء عليه تجـده هادي البال لا يتصلب، ولا يغضب لأنه صابرٌ على ما ابتلاه الله به فلذلك تجد قلبه دائمًا مطمئنًا، ونفسه مستريحة.

وعن أبي يحيى صهيب بن سِنَان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عَجَبًا لأَمْرِ المؤمنِ إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»** (رواه مسلم).

في هذا الحديث الحَثُّ على الإيمان، وإن المؤمن دائمًا في خير ونعمة، وفيه الحث على الصبر على الضراء، وأن ذلك من خصال المؤمنين، فإذا رأيت نفسك عند إصابة الضراء صابرًا محتسبًا تنتظر الفـرج من الله سبحانه وتعالى، وتحتسب الأجر على الله فذلك عنوان الإيمان، وإن رأيت بالعكس فَلُم نفسك، وعَدِّل سيرك، وتب إلى الله.

وفي هذا الحديث الحث على الشكر عند السـراء، لأنه إذا شكر الإنسان ربه على نعمة فـهذا توفيق من توفيق الله له، وهـو من أسباب زيادة النعم، كمـا قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ٧).

وإذا وفق الله العبد لشكره فـهذه نعمة تحتـاج إلى شكرها مرة ثالثة، وهكذا لأن الشكر قَلَّ من يقوم به فإذا مَنَّ عليك وأعانك عليه فهذه نعمة.

وعن أنس ﷺ قال: مَـرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قَبْـر فقال: **«اتقِ الله واصبري»**، فقـالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصـيبتي!، ولم تعـرفه، فقـيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجـد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفـك، فقال: **«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»** (متفق عليه).

وفي رواية لمسلم: «تبكي على صبي لها». في هذا الحديث بيان أن النبي ﷺ مر بامرأة وهي عند قبر صَبي لها قد مات، وكانت تحبه حبًا شديدًا فلم تملك نفسها أن تخرج إلى قبره لتبكي عنده، فلما رآها رسول الله ﷺ أمرها بتقوى الله، والصبر قال لها: **اتقِ الله واصبري**، فقالت له: إليك عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي. «إليك عني»: أي ابْعد عني.

وهذا يدل على أن المصيبة قد بلغت منها مبلغًا عظيمًا، فانصرف النبي ﷺ ثم قيل لها إن هذا رسول الله ﷺ فندمت وجاءت إلى رسول الله ﷺ إلى بابه وليس على الباب بوابون أي: ليس عنده أحد يمنع الناس من الدخول عليه؛ فأخبرته وقالت: إنني لم أعرفك، فقال النبي ﷺ: **«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»**.

الصبر الذي يثاب عليه الإنسان هو أن يصبر أول ما تصيبه المصيبة، أما الصبر بعد ذلك فإن هذا ربما يكون تَسَلِّيًا كما تتسلى البهائم، فالصبر حقيقة أن الإنسان إذا صُدِمَ أول ما يصدم يصبر ويحتسب ويَحْسُنُ أن يقول: **«إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها»**؛ ولذلك استحق المذكورون في الحديث الذين يظلهم الله في ظل عرشه لكمال صبرهم، ومشقته، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه، وحكمه، ورضاه، وغضبه، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه، وصبر الرجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك وعدم إظهاره للناس من أشق الصبر، ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني، والملك الكذاب، والفقير المختال، أشد العقوبة لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرمات عليهم لضعف دواعيها في حقهم، فكان تركهم الصبر عنها مع سهولته دليلا على تمردهم على الله وعتوهم عليه.

الصـــدق

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد . . . قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة التوبة:١١٩). هذه الآية نزلت بعد ذكر قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا عن «غزوة تبوك» وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية رضي الله عنهم، وكان هؤلاء الثلاثة قد تخلفوا عن هذه الغزوة بدون عذر، وأخبروا الرسول ﷺ بأنهم لا عذر لهم فخلفهم أي تركهم، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ (سورة التوبة:١١٨). أي: تُركوا فلم يُبتّ في شأنهم؛ لأن المنافقين لما قدم الرسول ﷺ من «غزوة تبوك» جاءوا إليه يعتذرون. . ويحلفون بالله إنهم معذورون، وفيهم أنزل الله تعالى قرآنًا، أما هؤلاء الثلاثة فصدقوا الرسول ﷺ وأخبروه بأنهم ليس لهم عذر؛ فأرجأهم الرسول ﷺ

خمسين ليلة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلاَّ إليــه، ثم أنزل الله توبته عليهم ثم قــال بعد ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ فأمر الله تعالى المؤمنين بأن يتـقوا الله، وأن يكونوا مع الصـادقين لا مع الـكاذبين، وقـال تعـالى: ﴿ وَالصَّـادِقِينَ وَالصَّـادِقَـاتِ ﴾ (سورة الأحزاب:٣٥). هذه في جملة الآية الطويلة التي ذكرها في سورة الأحزاب وهي: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب:٣٥). فذكر الصادقين، والصادقات في مقام الثناء، وفيما لهم من الأجر العظيم.

وقال تعالى: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (سورة محمد:٢١). أي: لو عاملوا الله بالصدق لكان خـيرًا لهم ولكن عاملوا الله بالكذب فـنافقوا، وأظهروا خـلاف ما في قلوبهم ، وعاملوا النبي ﷺ بالكذب فـأظهروا أنهم متبعون له، وهم مـخالفون له، فلو صدقوا الله بقلوبـهم، وأعمالهم، وأقوالهم، لكان خيـرًا لهم، ولكنهم كذبوا الله فكان شرًا لهم. وقال الله ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الأحزاب:٢٤). فدل ذلك على أن الصدق أمـره عظيم، وأنه محل للجزاء من الله تعـالى، إذن علينـا أن نصـدق، وعلينا أن نكون صـادقين، وعـلينا أن نكون صرحاء، وعـلينا أن لا نخفي الأمر على غيـرنا مداهنة أو مراء. كثـير من الناس إذا حُدِّثَ عن شـيء فَعَلَهُ، وكان لا يُـدْرَى فعله أم لا فإنه يـكذب ويقول: ما فـعلت. لماذا؟! أتستحي من الخلق وتبارز الخالق بالكذب؟! قل الصدق ولا يَهُمَّنَّكَ أحد وأنت إذا عودت نفسـك الصدق؛ فإنك في المستـقبل سوف تُصلح حالك، أمـا إذا أخبرت بالكذب وسوف تكتم عن الناس وتكذب عليهم؛ فإنك سـوف تستمر في غيك ولكن إذا صدقت فإنك تعدل مسيرك ومنهاجك.

فعليك بالصدق فيما لك، وفيما عَلَيْك؛ حتى تكون مع الصادقين الذين أمرك الله أن تكون معهم.

وأما عن الأحـاديث: فعن ابن مسعـود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البـر، وإن البـر يهـدي إلى الجنة، وإن الرجل ليـصـدُقُ حـتى يكتب عند الله صـديقـًا، وإن الكذب يهدي إلى الفُجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» (متفق عليه).

والصدق يكون باللســان وبالأركان. فمـتى طابق الخبر الواقع فهـو صدق، وهذا باللســان، ومتى طابـقت أعمــال الجوارح مـا في القلب فـهي صدق، وهذا صـدق بالأقوال، والبر في هذا الحديث كثرة الخـير، والبر من نتائج الصدق، وقوله: «إن البر يهـدي إلى الجنة» فصــاحب البر ـ نسـأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ـ يهـديه بره إلى الجنة، والجنة غاية كل مطلب.

وقوله: «إن الرجل ليـصـدُقُ حـتى يكتب عند الله صـديقـًا»، وفي رواية: «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقـًا»، والصِّدِّيق في المرتبة الثانية من الذين أنعم الله عليـهم كما قـال الله سبـحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (سورة النساء: ٦٩). فالرجل الذي يتحرى الـصدق يكتب عند الله صديقًا، ومـعلوم أن الصديقية درجـة عظيمة لا ينالها إلاَّ أفذاذ من الناس، وقوله: «إن الكذب يهدي إلى الفُجور» الفجور الخروج عن طاعة الله، لأن الإنســان يفسق ويتعـدى طوره ويخرج عن طاعة الله إلى مـعصيـته، وأعظم الفجـور الكفر، فإن الكفرة فـجرة، كما قـال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (سورة عبس: ٤٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (سورة الانفطار: ١٤). فالكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار.

وقوله: «وإن الرجل ليكذب»، وفي لفظ: «لا يزال الرجل يكذب ويتـحـرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّابًا»[١].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب «البر والصلة» (٢٦٠٧)، (١٠٥).

والكذب من الأمور المحـرمة، بل قال بعض العلماء: إنه من كـبائر الذنوب لأن الرسول ﷺ توعده بأن يكتب عند الله كذابًا.

ومن أعظم الكذب مـا يفعله الناس اليـوم يأتي بالمقالة كـاذبًا، لكن من أجل أن يضحك الناس، وقد جـاء في الحديث الوعيد على هذا فـقال الرسول ﷺ: «**وَيْلٌ لمن حَدَّثَ فَكَذَبَ ليضحك به القوم، ويل له ثم ويلٌ له**». (حديث حسن). وهذا وعيـد على أمر سهل عند كـثير من الناس. فـالكذب كله حرام، وكله يهدي إلى الفـجور، وورد في الحديث من حديث أم كلثوم بنت عقبـة قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلاَّ في ثلاث: «**الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها**»[1].

الخطبة الثانية:

الحمد لله جاعل الصادقين في أعلى درجـات المتقين، وجاعل الكاذبين في أسفل درجـات الفاجـرين والمنافـقين، وأصلي وأسلم على سـيـد الصديقـين، وقائد الغـر المحجلين إلى جنات النعيم. **أما بعد...**

عِبَادَ الله... اعلمـوا أن أشد شيء من الـكذب أن يكذب الكاذب، ويحلف ليأكل أموال الناس بالباطل، مثل أن يُدَّعَى عليه بحق ثابت فينكر ويقول: والله ما لك عَلَيَّ حق، أو يَدَّعِي ما ليس له، فـيقول: لي عندك كذا وكذا وهو كـاذب، فهذا إذا حلف على دعواه وكـذب؛ فإن ذلك هو اليـمين الغموس التي تغـمس صاحبـها في الإثم، ثم تغمـسه في النار ـ والعيـاذ بالله ـ وعن أبي محمـد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قـال: حفظت من رسـول الله ﷺ: «**دع مـا يريبك إلى مـا لا يريبك؛ فـإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٠٥) كتاب «البر والصلة».

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

قوله: «يَرِيبُك» هو بفتح الياء وضمها، ومعناهُ: اترك ما تشك في حله، وأعدل إلى ما لا تشك فيه، هذا الحديث جامع مهم وهو باب عظيم من أنواع الورع والاحتياط، وهو أصل من أصول الفقه، أن الشيء الذي تشك فيه اتركه إلى شيء لا تشك فيه، ثم إن فيه تربية نفسية وهي أن الإنسان يكون في طمأنينة ليس في قلق، لأن كثيرًا من الناس إذا أخذ ما يشك فيه يكن عنده قلق إذا كان حي القلب فإذا قطع الشك باليقين زال عنه ذلك.

قال النبي ﷺ : «فإن الصدق طُمَأنِينَة»، وهذا وجه الشاهد من هذا الحديث لهذا الباب. فالصدق طمأنينة لا يندم صاحبه أبدًا ولا يقول: ليتني وليت، لأن الصدق منجاة، والصادقون ينجيهم الله بصدقهم، وتجد الصادق دائمًا مطمئنًا لأنه لا يتأسف على شيء حصل أو يَحْصُل في المستقبل لأنه صدق، و«من صدق نجا»، أما الكذب فبين النبي ﷺ أنه ريبة، ولهذا تجد أول من يرتاب الكاذب نفسه، فيرتاب هل يصدقه الناس أم لا يصدقونه؟.

ولهذا تجد الكاذب إذا أخبرك بالخبر قام يحلف بالله أنه صدق لئلا يرتاب في خبره مع أنه محل ريبة.

تجد المنافقين مثلاً يحلفون بالله ما قالوا، ولكنهم في ريبة، قال الله: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ (سورة التوبة: ٧٤). فالكذب لا شك أنه ريبة، وقلق للإنسان، ويرتاب الإنسان هل علم الناس بِكَذِبِه، فلا يزال في شك واضطراب.

والصدق قسمان: صدق مع الله، وصدق مع عباد الله، وضد الصدق الكذب، وهو الإخبار بخلاف الواقع وهو من أخلاق المنافقين، كما قال الرسول ﷺ : «آية المنافق ثلاث، وذكر منها: «إذا حدث كَذَب»، وبعض الناس ـ والعياذ بالله ـ مُبْتَلَى بهذا المرض، فلا يستأنس ولا ينشرح صدره إلاَّ بالكذب. وعن أبي ثابت ـ وقيل: أبي

سَعِـيد، وقيل: أبي الـولِيد ـ سَهْل بن حُنَيْف، وهُوَ بَـدْرِيٌّ، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سأل الله تعالىٰ الشَّهَادَةَ بِصِدق بَلَّغَهُ الله منازل الشُّهَدَاءِ، وإن مات على فِراشِهِ» (رواه مسلم)، والشاهد من هذا الحديث قوله: «مَنْ سأل الله تعالىٰ الشَّهَادَةَ بِصِدق».

والشهادة مرتبة عالية بعد الصديقية، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (سورة النساء: ٦٩).

ومن الشهادة: الشهادة بأحكام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على عباده وهذه شهادة العلماء التي قال الله فيها: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨).

وقد ذهب كثير من العلماء في تفسير قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ إلى أنهم العلماء ولا شك أن العلماء شُهَـداء، فيشهدون بأن الله تعـالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ويَشْهَدُون على الأمـة بأنها بلغت شريعة الله، ويشـهدون في أحكام الله هذا حلالٌ، وهذا حَـرَامٌ، وهذا واجبٌ، وهذا مسـتحبٌ، وهذا مكروهٌ، ولا يعـرف هذا إلاَّ أهل العلم، لذلك كانوا شهداء.

ومن الشـهـداء أيضًا: من يُصَـاب بالطعن، والبطـن، والحَرَق، والغـرق، ومـا أشبههـم، ومن الشهداء الذين قـتلوا في سبيل الله، ومن الشهـداء الذين يقتلون دون أموالهم، ودون أنفسهم كما قال النبي ﷺ: «من قُتِلَ دون مالِه وأهله فهو شهيد»[1].

ومن الشهداء أيضًا: من قُتِلُوا ظلمًا، كأن يعتدي عليه إنسان فيقتله غيلة ظلمًا فهذا أيضًا شهيد، ولكن أعلى الشهداء هم الذين يقتلون في سبيل الله، أي لتكون كلمة الله هي العليا كما قال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[2].

---

(١) رواه الترمذي، وأبو داود، وصححه الألباني في: «صحيح الجامع» (٦٤٤٥)، و«الإرواء» (٧٠٨).
(٢) رواه البخاري (٧٤٥٨) كتاب «التوحيد»، ومسلم (١٩٠٤)(١٥٠) كتاب «الإمارة».

وعن أبي خالد حكيم بن حزام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«البَيِّعَان بالخِيَار مَا لَم يتفرقا، فإن صدقا وَبيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كَذَبا وكَتَمَا مُحقت بركة بيعهما»** (متفق عليه).

والشاهد من هذا الحديث قول النبي ﷺ: **«فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا»**، قوله: **«فإن صدقا وبَيَّنَا»**، إن صدقا فيـما يصفان السِّلعة به من الصـفات المرغوبة، وبَيَّنا فيما يَصِفَان به السلعة من الصفـات المكروهة، فمثلا: لو باع عليه هذه السيارة وقال، هذه السيارة جديدة موديلها كذا، ونظيفـة، ويَمْدَحُها بما ليس فيها، نقول: هذا كَذَب فيمـا قال. وإذا باعه السيـارة وفيها عـيبٌ ولم يخبره بالعيب، نقـول: هذا كتم ولم يبين، والبركة في الصِّدق والبيان، فالفـرق بين الصدق والبيان، أن الصدق فيما يكون مرغوبًا من الصِّفَات، والبيان فيما يكون مكْروهًا من الصفات فكتمان العيب هذا ضد البيان ووصفه السِّلعة بما ليس فيها هذا ضـد الصدق، ومثال آخر: باع عليه شاة وفيها مرض غير بين لكنه كَتَمهُ، نقول: هذا لم يبين، وإذا وصفها بما ليس فيها من الصِّفات المطلوبة فـهذا قـد كذب ولم يَصْـدقُ. ومنه مـا يفعله بعض النَّاس الآن ـ نسـأل الله العافيـة ـ يجعل الطيب من المال فوق والرديء أسفل؛ فهـذا لم يُبيِّن ولم يَصْدُق. لم يبين لأنَّهُ ما بيَّن التمر المعيب ولم يصدق لأنه أظهر التمر بمظهر طيب وليس كذلك.

الظلــم

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن الظلم وأقسامه وحكمه وأسلوب التخلص منه عند الوقوع فيه، أجارنا الله وإياكم منه ومن غيره من الخصال المردية المزرية بأهل الدين والخلق.

الظلم في اللغة: هو وضع الشيء في غير موضعه، وأصل الظلم: الجَوْر ومجاوزة الحَدِّ، ومنه حديث الوضوء: **«فمن زاد فقد اساء وظلم»**، أي: أساء الأدب بتركه السنة والتأدب بالشرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بتكرار المرات في الوضوء.

وفي التنزيل: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢). قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من أهل التفسير: **«لم يخلطوا إيمانهم بشرك»**. وقد يأتي الظلم في كلام

العـرب بمعنى: الميل عن القـصـد، فـيـقولـون: الزم هذا الصـواب ولا تظلم عنه. و«الظَّلَمة»: المانعون أهل الحقوق حقوقهم.

وقد ورد الظلم في القرآن الكريم في مائتين وتسعين مـوضعًا، وجاء معنى الظلم في آيات القرآن الكريم علـى تسعة أوجه، ذكـرها الدامغانـي في (الوجوه والنظائر)، وهي كالآتي:

الظلم بمعنى الشرك: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢) يعني بشـرك، وكقـوله سبـحانه وتعـالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان: ١٣).

والظلم بمعنى فعل الذنب من غير شرك: يعني ظلم المسلم نفسه بذنب يـصيبه من غير شـرك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (سورة الطلاق: ١)، وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ (سورة فاطر: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة: ٣٥). يعني لأنفسكما بخطيئتكما، وقوله تعالى: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٧).

ويأتي الظلم بمعنى ظلم الناس بالقتل: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ (سورة الإسراء: ٣٣).

ويأتي الظلم بمعنى النقص: قال تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ (سورة الكهف: ٣٣) أي: لم تنقص منه شـيئًا، وقـال تعالى: ﴿وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (سورة مريم: ٦٠) أي: لا يُنقصون شيئًا من أعمالهم.

والظالم من يظلم الناس: كمـا في قوله تعـالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ (سورة الشوري: ٤٢). وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الشورى: ٤٠).



ويأتي الظلم بمعنى الضرر: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ سورة البقرة:٥٧). أي: وما ضرونا حين رفضوا المن والسلوى، ولكن كانوا يضرون أنفسهم.

وياتي الظم بمعنى الجور: قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي: كفار الأمم فنعذبهم في الآخرة بغير ذنب.. ﴿وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الزخرف:٧٦). بكفرهم، وبكذبهم، وكقوله تعالى في آل عمران: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (سورة الحج: ١٠).

ويأتي الظلم بمعنى جحود القرآن وغيره من كتب المرسلين، ومعجزاتهم: كما في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (سورة الأعراف:٩). أي: يجحدون وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (سورة الأعراف:١٠٣). أي: فجحدوا بها، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (سورة الإسراء:٥٩).

وياتي الظلم بمعنى السرقة: قال تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة يوسف:٧٥). أي السارقين، وفي سورة المائدة: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ (سورة المائدة:٣٩). يعني بعد سرقته.

والظلم ـ يا عباد الله ـ صفة حرمها الله تعالى على نفسه فقال: **«يا عبادي إني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرماً....»** (الحديث).

وقد اختلف الناس في هذا الظلم الذي حرمه الله على نفسه وفي معنى هذا التحريم، قال ابن تيمية في رسالته (إنعام الباري) في شرح هذا الحديث: «إن الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعًا صاروا فيه بين طرفين متباعدين، ووسط بينهما، وخيار الأمور أوسطها، وذلك بسبب البحث في «القَدَر» .. ثم قال ابن تيمية: «والقول المتوسط هو: أن الظلم الذي حرمه على نفسه؛ مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيره، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي ينزه الرب عنها

لقسطه وعَدْله وهو قـادرٌ عليها، وإنما استحق الحـمد والثناء لأنه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه، وكما أنه منزهٌ عن صفات النقص والعيب» اهـ.

وقال ابن رجب الحنبلي في (جامع العلوم والحكم): فقوله: **«إني حرمت الظلم على نفسي»** يعني أنه منع نفسـه من الظلم لعباده، كمـا قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ **وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (سورة ق:٢٩)، وقال: ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ** ﴾ (سورة غافر:٣١)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (سورة آل عمران:١٠٨)، وقال: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (سورة فصلت:٤٦).

وقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا** ﴾ (سورة يونس:٤٤)، وقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ (سورة النساء:٤٠)، وقال: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا** ﴾ (سورة طه:١١٢). والهضم: أن ينقص من جزاء حـسناته، والظلم: أن يعاقب بذنوب غيره، مـثل هذا كثير في القـرآن، وهو مما يدل على أن الله قادرٌ على الظلم، ولكنه لا يفعله فضلاً منه، وجودًا وكرمًا، وإحسانًا إلى عباده.

عِبَادَ اللَّهِ . . . ليعلم كل واحدٍ منا أن الله لا يظلم أحـدًا من خلقه، قال تعالى: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ ورد في الحديث الحـسن في (الجامع الصـحيح مما ليس في الصحيحين) عن أبي بن كعب، وعن حذيفة بن اليمان، وعن ابن مسعود، وعن زيد ابن ثابت، أن النبي ﷺ قال: **«لو ان الله عذب اهل سماواته، واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً من اعمالهم، ولو انفقت جبل احد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما اخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك لدخلت النار»**.

الخطبة الثانية:

الحـمد لله ولي الصـالحين، ولا عـدوان إلاَّ على الظالمين، والعاقبـة للمتـقين، والخسران، والمذلة لأعـداء الدين، وأصلي وأسلم علي نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين. **اما بعد...**

عِبَادَ اللَّهِ . . . لقد حرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الظلم في كتابه الكريم فى آيات كثيرة وعلى لسان نبيه محمد ﷺ في أكثر من ثمانين موضعًا فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ»، ثم قرا: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾** (سورة هود:١٠٢)[(١)] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتي يُقَاد للشاة الجَلْحَاء من الشاة القرناء»**[(٢)] .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : **علمني دعاءً ادعو به في صلاتي، وبيتي .. قال: «قل: اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»**[(٣)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من كانت عنده مَظْلَمَة من عرض أو مال فليتحلَّلْهُ اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهمَ، فإن كان له عمل صالح أُخِذَ منه بقدر مَظْلَمته، وإن لم يكن له أُخِذَ من سيئاته فجُعلت عليه»**[(٤)] .

وأما أنواع الظلم: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه... فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك... ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾** (سورة لقمان:١٣) . **وأما الظلم الذي يغفره فظلم العباد أَنْفُسَهُم فيما بينهم وبين رَبِّهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يُدَبَّرَ لبعضهم من بعض»**[(٥)] .

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٥)، ومسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة) باب «تحريم الظلم» (٨/ ١٨).

(٣) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده(١/ ٧)، والبخاري في الصحيح (كتاب الأذان) باب «الدعاء قبل السلام» (١/ ٢١١-٢١٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري في الصحيح (كتاب المظالم) (٣/ ١٧٠).

(٥) حديث حسن رواه الطيالسي في مسنده (٢١٨٤: ٢/ ٦٠-٦١)، وحسنه الشيخ سليم الهلالي في «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٩٨).

وقوله: «يدبر بعضهم لبعض» أي ينتصر، ويأخذ الحق لهم[١].

ومما ثبت في عواقب الظلـم الوخيمة، قـول رسول الله ﷺ: «من اخذ من الأرض شيئاً ظلماً جاء يوم القيامة يحمل ترابها إلى المحشر»[٢].

وعن أنس بن مـالك رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «اتقـوا دَعْوَةَ المَظْلُوم، وإن كـان كافراً؛ فإنه ليس دونها حجاب»[٣].

وعن عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه قال: لـقيت رسول الله ﷺ يومًا فَبَدَرْتُهُ، فأخذت بيده ـ أو بدرني فأخـذ بيدي ـ فقال: «يا عقبـة .. الا اخبـرك بأفضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قَطَعَكَ، وتعطي مـن حـرمك، وتعفـو عمن ظَلَمَك .. الا من أراد ان يُمَدَّ لَهُ في عُمرِه، ويُبْسَطَ في رزقه فليتق الله، وليصل ذا رحمه»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: شتم رجل أبا بكر ـ ورسـول الله ﷺ جالس يَعْـجَبُ ويَتَبَسَّمُ ـ، فلما أكثر رَدَّ عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب رسول الله ﷺ فقام، وقام أبو بكر فَلَحِقَـهُ، فقال له: كان يشـتمني يا رسول الله وأنت جـالس . . فلما رددتُ عليه بعض قـوله غَضِبْتَ وقُـمْتَ!! قال: «إنه كان معك ملك يَرُدُّ عليه .. فلما رَدَدْتَ عليه قعد الشيطان.. فلم أكن لأقعد مع الشيطان»، ثم قال ﷺ: «يا ابا بكر هُنَّ حقٌ تَعَلَّمْهُنَّ: ما من عبد ظُلِمَ مَظْلَمَةً فَيَغُضُّ عنها إلا أعزَّ اللهُ فيها نَصْرَهُ، وما فتح رجلٌ باب عَطِيَّةٍ تصديقاً وَصِلَةً إلاَّ زاده الله بها كثرةً، وما فتح رجلٌ باب مسألة يريد بها كثرة إلاَّ زاده الله بها قِلَّةً»[٥].

(١) انظر: «النهاية» (٢/٩٨).
(٢) حديث صحيح رواه أحمد في «المسند» (٤/١٧٢-١٧٣).
(٣) حديث حسن رواه أحمد في «المسند» (٣/١٥٣).
(٤) حديث صحيح بشواهده رواه أحمد في «المسند» (٤/١٥٨).
(٥) حديث صحيح رواه أحمد في «المسند» (٢/٤٣٦).



وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ثلاثة والذي نفسي بيده إن كنت لحالفاً عليهن: لا ينقصُ مالٌ من صدقة فَتَصَدَّقُوا، ولا يعفو عبد عن مَظْلَمَةٍ يريد به وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلاَّ رفعه الله بها يوم القيامة، ولا يفتح رجل على نفسه باب مسألة إلاَّ فتح الله عليه باب فَقْرٍ»**[1] .

عِبَادَ اللَّهِ . . . مما ينبغي التنبيه عليه رد المظالم إلى أهلها، فإن كانت في أخذ مال فليرد المال إلى من أخذه منه، فإن كان قد مات فليرده إلى ورثته، فإن تعذر عليه أن يعرف الورثة أو نسي الرجل أو ذهب الرجل إلى مكان لا يمكن العثور عليه مثل أن تكون بلد صاحب المال غير معروفة، ولا يدري أين هو، ففي هذه الحال يخرج ما عليه صدقة ينويها لصاحب المال الذي يطلبه.

وإذا كان الظلم في غيبة وكان المغتاب قد علم أن هذا الرجل قد اغتابه فلابد أن يذهب إلى المغتاب، ويتحلل منه، وينبغي للمغتاب إذا جاءه أخوه يعتذر إليه أن يقبل، وأن يسامح عنه، فإذا جاء إليك أخوك معتذراً مقرًا بالذنب فاعف عنه واصفح؛ ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (سورة المائدة: ١٣). ولكن إذا لم يقبل أن يتسامح عن غيبته إلاَّ بشيء من المال فأعطه المال، أعطه من المال حتى يقتنع ويحللك، كذلك إذا كانت المعصية مسابة بينك وبين أحد حتى ضربته مثلا، فإن التوبة من ذلك أن تذهب إليه وتستسمح منه، وتقول ها أنا أمامك اضربني كما ضربتك، حتى يصفح عنك، المهم أن من الإقلاع عن المعصية إذا كانت لآدمي أن يتحلل منه، سواء كانت مظلمة مال، أو بدن، أو عرض.

---

(١) حديث حسن بشواهده رواه أحمد في «المسند» (١/ ١٩).

العلـــم

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اما بعد... قال تعالى: ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (سورة طه: ١١٤). أي: لا تبادر بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه. فإذا فرغ منه فاقرأه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك، وقراءتك إياه. كما قال تعالى: ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (سورة القيامة: ١٦-١٩).

ولما كانت عجلته ﷺ على تلقف الوحي، ومبادرته إليه تدل على محبته التامة للعلم، وحرصه عليه، أمره تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله.

والطريق إليهـا الاجتهاد، والشـوق للعلم، وسؤال أهل العلم، والاستـعانة به، والافتقار إليه في كل وقت.

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر، حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامـه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل، إن كان عنده سـؤال. ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام مُلْقِي الـعلم فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول ينبغي له أن يستملي سؤال السـائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب.

وقـال تعالى في فـضل أهل العلم: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سورة فاطر:٢٨). فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستـعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فـضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (سورة البينة:٨) .وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الزمر:٩). ربهم ويعلمـون دينه الشرعـي، ودينه الجزائي، ومـا له في ذلك من الأسرار، والحكم، ﴿ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ شـيئًـا من ذلك؟ لا يسـتـوي هؤلاء، ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار؛ ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ إذا ذكروا، ﴿ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ أي: أهل العـقول الزكـية الذكـية، فـهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيـؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخـالفتـه، ولأن لهم عقولاً ترشدهم للنظر في العواقب، بخـلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.

وفي الحث على الدعوة إلى الهدى والخير الشيء الكثير مما جاءت به السنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل**

آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[1]. في هذا الحديث بيان فضل الداعي إلى الخير، والتحذير من الدعاة إلى الضلالة والغي، وعظم إثم الداعي إلى الضلالة وعقوبته.

وفيه بيان إلى أن الهدى: هو العلم النافع، والعمل الصالح فكل من علم عِلْمًا أو وجه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم فهو داع إلى الهدى، وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله، أو بحقوق الخلق العامة والخاصة فهو داع إلى الهدى، وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوصل بها إلى الدين فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من اهتدى في علمه أو عمله فاقتدى به غيره فهو داع إلى الهدى. وكل من تقدم غيره بعمل خيري أو مشروع عام النفع فهو داخلٌ في هذا النص، وعكس ذلك كله الداعي إلى الضلالة.

فالداعون إلى الهدى: هم أئمة المتقين، وخيار المؤمنين.

والداعون إلى الضلالة: هم الأئمة الذين يدعون إلى النار.

وكل من عاون غيره على البر والتقوى: فهو من الداعين إلى الهدى، وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان فهو من الداعين إلى الضلالة.

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[2]. هذا الحديث من أعظم فضائل العلم، وفيه أن العلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيراً.

والفقه في الدين يشمل الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام، والأحكام، وحقائق الإحسان. فإن الدين يشمل الثلاثة كلها، كما في حديث جبربل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وأجابه ﷺ بحدودها ففسر الإيمان

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

بأصوله الستة، وفسر الإسلام بقواعده الخمسة، وفسر الإحسان بـ: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، فيدخل في ذلك التفقه في العقائد، ومعرفة مذهب السلف فيها، والتحقق بها ظاهرًا، وباطنًا، ومعرفة مذاهب المخالفين، وبيان مخالفتها للكتاب، والسنة، ودخل في ذلك علم الفقه، أصوله وفروعه، أحكام العبادات، والمعاملات، والجنايات، وغيرها، ودخل في ذلك التحقق بحقائق الإيمان، ومعرفة السير، والسلوك إلى الله، الموافقة لما دل عليه الكتاب والسنة، وكذلك يدخل في هذا: تَعَلُّم جميع الوسائل المعينة على الفقه في الدين كعلوم العربية بأنواعها؛ فمن أراد الله به خيرًا فقهه في هذه الأمور، ووفقه لها.

ودل مفهوم هذا الحديث على أن من أعرض عن هذه العلوم بالكلية؛ فإن الله لم يرد به خيرًا، لحرمانه الأسباب التي تنال بها الخيرات وتكتسب بها السعادة.

وروى الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، عن ابن مسعود ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»، فالمرء كما رأيت في ميزانه أتباعه، فإن عملوا خيرًا بسببه زادت موازين حسناته وثَقُلَتْ، قال الشاعر:

والمرء في ميزانه أتباعه ⋆ فاقْدُرْ إذا قَدْرَ النبي محمد

وروى مسلم عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ـ يوم خيبر ـ: «**لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه**»، ثم ذكر الحديث وفيه: «**لأن يهديَ الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من حُمر النَّعَم**».

إن نشر العلم عمل الأنبياء والرسل، فمن وطن نفسه لهذه المهمة، وتعلم العلم ليعلمه، وينشره بين الناس فقد ورث المرسلين في عملهم، ومن ورث المرسلين في عملهم حشر معهم بإذن الله تعالى.

الخطبة الثانية:

روى البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني به فعلم وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدَى الله الذي أرسلت به»**[1].

قال الحافظ في (الفتح): قال القرطبي وغيره، ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، فكما أن الغيث يُحيي البلد الميت، فكذلك علوم الدين تحيي القلوب الميتة، ثم شبه السامعين للعلم بالأرض المختلفة التي ينزل فيها الغيث، فمن الناس السامعين العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم العالم الجامع للعلم غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، ولا ينفع نفسه، وهو المشار إليه بقوله: **«نَضَّرَ الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فَرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع»**. ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السَّبِخَةِ والملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وجمع في المثل بين الطائفتين الأولتين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة المذمومة لعدم النفع بها. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري.

ويدخل في الذم أيضًا من دخل في الدين ولم يسمع العلم، أو سمعه فلم يعمل به ولم يُعَلِّمْهُ، ومن لم يدخل في الدين أصلا بل بلغه الدين فكفر به، كل هؤلاء يدخلون تحت قوله ﷺ: **«ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»**.

إن ناشر العلم نضِرُ الوجه ببركة دعاء النبي ﷺ له، روى أحمد والترمذي ـ واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح ـ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«نَضَّرَ الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلِّغه، فَرُبَّ مُبَلَّغ أحفظ له من سامع»**[(١)].

وروى أحمد بإسناد جيد، عن جبير بن مُطعم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى فقال: **«نَضَّرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فَرُبَّ حامل فقه لا فقه له، وَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يُغِلُّ[(٢)] عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل، والنصيحة لولي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من وراءه»**[(٣)].

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن جزاء من طلب العلم وسلك طرقه المشروعة احتساب الأجر من الله جلَّ وعلا فإن جزاءه الجنة التي هي السلعة الغالية والتي يطمع فيها كل مسلم ومسلمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّلَ الله له طريقًا إلى الجنة»**[(٤)]. فطالب العلم الذي يسلك لتحصيله طرقًا يلتمس فيها اكتساب المعارف النافعة له فيما يقربه إلى الله، يكافئ الله المؤمن عليه بأن يسهل له طريقًا إلى الجنة.

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا (١/ ١٦٥)، «صحيح الترغيب»(٨٤).

(٢) يُغِلُّ: قال في (النهاية): ومن الإغلال الخيانة في كل شيء، ويرى يَغُلُّ من الغِلِّ: وهو الحقد، والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تنصلح بها القلوب فمن تمسك بها طَهُرَ قلبه من الخيانة.

(٣) صحيح الترغيب (٨٧).

(٤) رواه مسلم.

ولما كانت الجنة درجات متفاوتات، فإن باستطاعتنا ان نفهم أن مداومة متابعة طرق العلم تكافئ بتسهيل الطرق الموصلة إلى المراتب الرفيعة في جنات النعيم، إلى جنات عدن إلى الفردوس الأعلى فالعلم من أعظم الفضائل والكمالات التي حث الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والرسول ﷺ عليها، والعلم هو الوسيلة الأولى للإيمان الصحيح وهو الوسيلة الدائمة للارتقاء في درجات الإيمان، ومراتب العبودية لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومراتب كمال المعرفة بالله وصفاته، ومتقنات خلقه، وهو الوسيلة لتحقيق الخشية من الله الدافعة لصدق الخضوع له، والتحقق بمراتب التقوى والبر والإحسان.

والعلم: هو معرفة الهدى بدليله، فهو معرفة المسائل النافعة المطلوبة، ومعرفة أدلتها وطرقها التي تهدي إليها، والعلم النافع هو العلم بالحق والعمل به.

★ ***وأنواع العلم: نوعان:***

النوع الأول - واجب علي كل مسلم لا يعذر أحدٌ بتركه وهو تعلم ما يستقيم به دينه، كأحكام العقيدة، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج على الوجه الذي يتمكن به من أداء هذه العبادات على وجهها الصحيح، فتعلم هذه الأمور واجبٌ على الأعيان لا يعذَرُ أحدٌ بجهالته.

النوع الثاني - ما زاد عن ذلك من تعلم بقية أحكام الشريعة في المعاملات، والوصايا، والمواريث، والأنكحة، والجنايات، والقضاء، فهذا واجب على الكفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين، وإن تركه الكل أثموا.

والاشتغال بتعلم هذا النوع أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات من صلاة، وصوم، وحج، وغير ذلك.

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في تعريف العلم:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ★ إلاَّ الحديث وإلاَّ الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ★ وما سوى ذالك وسواس الشياطين

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

العلم قال الله قال رسوله ✩ قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً ✩ بين الرسول وبين رأي فلان

وقال الحسن في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة البقرة:٣): من أعظم النفقة نفقة العلم.

وقال معاذ: عليكم بالعلم؛ فإن طلبه عبادة، وتعلمه لله خشية، وبذله لأهله قربة، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، والبحث عنه جهاد، ومذاكرته تسبيح، ولهذا كان معلم الخير يستغفر له كل شيء، وعكسه أولئك الذين يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.

عباد الله . . . لابد من الإخلاص في أي عبادة ومن ذلك طلب العلم، وتعليمه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علماً مما ينبغى به وجه الله عزَّ وجلَّ لا يتعلمه إلاَّ ليُصيبَ به عرضاً من الدنيا لم يجد عُرْفَ الجنة**[1] **يوم القيامة**»[2].

وفي حديث الثلاثة الذين يسحبون على وجوههم في النار: «**ان رجلا تعلم القرآن، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت القرآن ليقال: هو عالم، وقرأته ليقال: هو قارئ، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ به في النار**»، نسأل الله العافية.

---

(١) عُرْفَ الجنة: يعني: ريحها.

(٢) رواه أبو داود بسند صحيح، انظر: «صحيح الترغيب» (١٠٠).

العُجْب

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

العُجْبُ: هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المُنعم.

وللعُجْبِ ركنان اثنان: معجب ومعجب به فقط، والعجب هو الدرجة الأولى في سُلَّم الكبر فنعوذ باللهِ منهما.

والعُجْبُ يدعو إلى إهمال الذنوب، ونسيانها، فلا يحدث لها توبة ويستعظم المعجب بأعماله وطاعاته ويمن على الله بفعلها، ويغتر بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، ولا يسمع نصح ناصح، ولا وعظ واعظ، ويمنعهَ عجبه من سؤال أهل العلم فهذا وأمثاله من آفات العجب، ومن أعظم آفاته أن يفتر فى السعي لظنه أنه قد فاز، وأنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح، والعبد مهما بلغ

في العلم فإنه لا يدخل به الجنة حتى يتغمده الله برحمته كما قال سيد الخلق ﷺ وأفضلهم لأحبابه وهو خير الناس: **«ما منكم من احد ينجيه عمله»، قالوا: ولا انت يا رسول الله؟! قال: «ولا انا؛ إلاّ أن يتغمدني الله برحمته»**[1].

قال بعضهم: «لا تغتر بكثرة العمل، فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا، ولا تأمن من الذنوب فإنك لا تدري كُفِّرَت عنك أم لا»، إن عملك كله مغيب عنك، أما المال فليس للعبد فضل فيه، بل هو محض، فضل من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن قارون عندما قال: ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي** ﴾ (سورة القصص:٧٨). وأخبر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ (سورة الحجرات:١٣). وقال ﷺ: **«إن الله اذهب عنكم عبيَّة الجاهلية»**، أي: كبرها **«كلكم بنو آدم، وآدم من تراب»**.

قال عطاء السكندري: «أصل كل معصية وغفلة: شهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خيرٌ لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه». وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ﴾ (سورة المدثر:٦). أي: لا تدل بعملك.

وللعجب أسباب: منها النشأة الأولى: ذلك أن الإنسان قد ينشأ بين أبوين يلمس منهما أو من أحدهما حب المحمدة، ودوام التزكية للنفس، فيتأثر بهما وينشأ على ذلك.

ومن أسبابه: الإطراء والمدح في الوجه: ذلك أن هناك فريقًا من الناس إذا مدح في وجهه دون تقيد بالآداب الشرعية اعتراه الغرور، والإعجاب بالنفس، ولقد أمر النبي ﷺ المسلمين أن يحثوا في وجه المداحين التراب، قال ﷺ لرجل مدح رجلاً عنده: **«ويحك قطعت عنق صاحبك ـ مراراً ـ إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه»**[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الشيخان.

ومن أسباب العجب: الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم: فلا معنى لعجب العابد بعبادته، وعجب العالم بعلمه، وعجب الجميل بجماله، وعجب الغني بغناه، لأن كل ذلك من فضل الله، وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (سورة النور: ٢١). وقال النبي ﷺ لأصحابه وهم خير الناس: **«ما منكم من أحد ينجيه عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «ولا أنا؛ إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته»**.

وأما علاج العجب: فمنها: التذكير دائمًا بحقيقة النفس الإنسانية، وذلك بأن يفهم المعجب بنفسه أن نفسه التي بين جنبيه لولا ما فيها من النفخة الإلهية ما كانت تساوي شيئًا، فقد خلقت من تراب تدوسه الأقدام، ثم من ماء مهين يأنف الناظر إليه من رؤيته، وسترد إلى هذا التراب مرة أخرى فتصير جيفة منتنة يفر الخلق من رائحتها، ولقد لفت أحد السلف النظر إلى هذه الوسيلة حين سمع معجبًا بنفسه يخاطبه قائلا: «أتعرف من أنا؟ فرد عليه بقوله: نعم أعرف من أنت، لقد كنت نطفة قذرة، وستصير جيفة قذرة، وأنت بين هذا وذاك تحمل العذرة».

ومن علاج العجب: التذكير بنعم الله التي تغمر الإنسان، وتحيط به من أعلى إلى أدنى، قال سبحانه: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ (سورة إبراهيم: ٣٤/ النمل: ١٨)، ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (سورة لقمان: ٢٠)؛ فإنه مهما عمل من طاعات فلن يؤدي شكر نعمته، وكذلك من أراد السلامة من العجب فعليه بمحاسبة النفس الدائمة فإنها توجب للإنسان الوقوف على تقصيره فيزول العجب، ويشمر على ساعد الجد، وكذلك معرفة حقيقة الآخرة، وأن النجاة من عذابها يحتاج إلى سفر طويل وزاد كبير. كذلك من علاج العجب حضور مجالس العلم فإن أمثال هذه المجالس كثيرًا ما تعين على تطهير النفس، بل وصيانتها من داء العجب.

ومن علاج العجب: دوام النظر في سيرة الصالحين، وكيف كانوا يتعاملون مع أنفسهم حين يرون منها هذا الخلق فإن ذلك يحمل على الاقتداء بهم ولقد كان الصحابة من بعد نبيهم ﷺ يتمنون أن يكونوا ترابًا، وتبنًا، وطيرًا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم.

ومن علاج العجب: خوف سلب النعمة فكم من مؤمن قد ارتد، ومطيع قد فسق، وختم له بسوء، وهذا لا يبقى معه عجب بـحال ولقد صح عن عائشة ﵂ أنها قالت: **يا رسـول الله،** ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (سورة المؤمنون: ٦٠) **هو الذي يسـرق، ويزني، ويشـرب الخمـر، وهو يخـاف الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ؟ قـال: «لا يا بنت الصـديق ولكنه الذي يصلي، ويصوم، ويتصدق، وهو يخاف الله عزَّ وجلَّ»** [(١)].

عِبَادَ اللهِ . . . يقول أبـو الليث السمـرقندي ـ رحمه الله ـ: من أراد أن يـكسر العجب فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التوفيق من الله تعالى فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه.

والثاني: أن ينظر إلى النعماء التـي أنعم الله بها عليه فإذا نظر في نعمـائه اشتغل بالشكر عليها واستقل عمله ولم يعجب به.

والثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

والرابع: أن ينظر في ذنوبه التى أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد قل عجبه، وكـيف يعجب المرء بعمله ولا يدري ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة، وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل لكل داء دواء، ونسأله العافيـة من كل بلاء، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه. **أما بعد...**

عِبَادَ اللهِ . . . إن داء العجب أمرٌ عظيم وليس بالأمـر الهين فقد ابتلي به السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ، والشاهد في ذلك ما حدث للمسلمين يوم حنين، فقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (سورة التوبة: ٢٥).

---

(١) رواه الترمذي.

وفي قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ أي: لم تفدكم شيئًا قليلاً ولا كثيرًا ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ﴾ بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتم ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي على رحبها وسعتها ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ أي منهزمين. ولقد خاف رسول الله ﷺ على هذه الأمة داء العجب.

ففي الحديث الحسن عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجْبُ. العُجْبُ»**، وفي هذا بيان أن العجب أكبر من الذنوب نسأل الله العافية.

وثبت في «الصحيح» عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: **«لا تعجبوا بعمل عامل، حتى تنظروا بم يختم له»**، فالعبرة يا عباد الله بالخواتيم فرب عامل عمل لا يتقبله الله منه.

وللعجب عقوبة كبيرة وعذابٌ شديد فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يمشي في حُلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»**[(١)].

في هذا الحديث بيان أن عند هذا الرجل المذكور من الخيلاء والكبرياء والغطرسة ما عنده «فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» يعني انهارت به الأرض وانغمس فيها واندفن فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة لأنه ـ والعياذ بالله ـ لما صار عند هذا الكبرياء وهذا التيه وهذا الإعجاب خسف به وقوله: «يتجلجل في الأرض» يحتمل أنه يتجلجل وهو حي حياة دنيوية، فيبقى هكذا معذبًا إلى يوم القيامة، معذبًا وهو في جوف الأرض وهو حي، فيتعذب كما يتعذب الأحياء، ويحتمل أنه لما دُفِنَ مات، كما هي سنة الله عزَّ وجلَّ، مات ولكن مع ذلك يتجلجل في الأرض وهو ميت، فيكون تجلجله هذا تجلجلاً برزخيًا لا تُعْلم كيفيته ـ والله أعلم ـ المهم أن هذا جزاؤه والعياذ بالله وفي هذا وما قبله دليل عل تحريم الكبر وتحريم الإعجاب، وأن الإنسان يجب أن يعرف قدر نفسه وينزلها منزلتها.

---

(١) متفق عليه.

والعجب انواع: فمن الناس من يعجب بصحته وقوته وتناسب أعضائه وحسن صورته فليعلم أن ذلك من نصيب الدود وأن كل من عليها فان. وقد قال سليمان عليه السلام: **«لأطوفن الليلة على مائة امرأة، كل منهن تنجب فارسًا يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فلم تنجب منهن إلاّ واحدة ولدت نصف طفل»**، قال رسول الله ﷺ: **«لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله»**[1].

ومن الناس من يعجب بعقله وفطنته واستكشافه لبطائن الأمور الدينية والدنيوية وثمرة هذا العجب أن تجده مستبدًا برأيه مستجهلاً لغيره معرضًا عن سماع آراء الآخرين: فليفكر هذا العاقل فيما لو ابتلاه الله بمرض في دماغه لجُنَّ عقله وطار لبه، وذهب فكره، فليحمد الله على العافية وليشكره على النعمة.

ومن الناس من يعجب بنسبه ويظن أنه ناج لا محالة، أليس هو ابن فلان المنسب من فلان أو فلان؟ فليعلم هذا الغافل أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

وأن النبي ﷺ نادى أقرب الناس إليه: **«يا فاطمة: اعملي فإني لا اغني عنك من الله شيئًا»**[2].

ومن الناس من يعجب بكثرة أولاده وأهله وعشيرته، وهذا يكفيه قول الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ (سورة عبس: ٣٤-٣٧). فأي عجب بمن يتركك في أشد أحوالك، ويهرب منك في أحرج أوقاتك.

ومن الناس من يعجب بماله وغناه فليقرأ قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ (سورة فاطر: ١٥).

ومن الناس من يعجب بعبادته، وهذا إنما أوتي من جهله لأنه لا يدري أَقُبِلَتْ عبادته أم لا؟.

---

(١)، (٢) متفق عليهما.

وقال مسروق ـ رحمه الله تعالى ـ: «كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله»[١]. وعن عمر رضي الله عنه قال: «إن من صلاح توبتك ان تعرف ذنبك، ومن صلاح عملك ان ترفض عجبك، ومن صلاح شكرك ان تعرف تقصيرك».

وقال مطرف بن عبد الله ـ رحمه الله ـ: «لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إلي من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا».

وقال البخاري في كتاب «الإيمان» باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر: قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه، نسأل الله العافية والسلامة.

عِبَادَ الله . . . إن مداخل الشيطان أن يأتي للمسلم ويقول له: هذا ذنب صغير، هذا هين، حتى يوقعه فيه، فبالتهاون ارتكبت كثير من الذنوب، وانتهكت حرمات الله.

ولكن المسلم العاقل يحترز من الذنوب صغارها وكبارها لأن اقتراف الصغيرة يجر إلى الكبيرة، بل إن الصغائر إذا اجتمعت على الرجل أهلكته. فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وذا بعود، حتى حملوا ما انضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إني لأحب الرجل ينسى العلم كما تعلمه للخطيئة يعملها»[٤].

قال ابن عون: لا تثق بكثرة العمل، فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟.

---

(١) رواه الدارمي (١/ ٩٣).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٢٩)، رواه أحمد بإسناد حسن.

(٣) قال الحافظ المنذري: رواه النسائي بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني.

خطبة عيد الفطر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد .. فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد ... فيقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ (سورة النساء: ٣٦).

في هذه الآية المباركة عشر وصايا بعشرة حقوق، فرب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. أما الإشراك بالله عزَّ وجلَّ فيفسره

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»، والإشراك بالله فاش في الأمة الإسلامية في كثير من الأقطار الإسلامية لا يشعر به إلاَّ من وفقه الله سبحانه وتعالى؛ فالخوف من غير الله الذي يسمى خوف السر كأن تخاف من ميت أو تخاف من شجرة أو من حجر يعتبر شركًا، أما أن تخاف من السبع أو الكلب أو من اللص فهذا لا يعتبر شركًا، وهكذا أيضًا الذبح لغير الله الذي كان يفعله كثير من الناس يعتبر شركًا وفي (صحيح مسلم) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من ذبح لغير الله»، وهكذا أيضًا الخوف من صاحب القبر ودعاء صاحب القبر والاستغاثة بصاحب القبر يعتبر شركًا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١١٧).

ثم بعد ذلك يأمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين، وأمر الوالدين قد أصبح ضائعًا في هذا الزمان، فرب ولد كأنه لا يعرف أباه ولا يعرف لأبيه حق النعمة أنه كان سببًا في وجوده وفي تربيته، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ (سورة الإسراء: ٢٣) لا تقل لهما أف يعني لا تتضجر منهما ثم قال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٤).

نعم النبي صلى الله عليه وسلم سُئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمان بالله»، ثم ذكر منه أيضًا بر الوالدين، بر الوالدين يعتبر مصلحة لك دينية ودنيوية، النبي صلى الله عليه وسلم يقول - كما في (الصحيحين) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه -: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يجزي ولد والده إلاَّ أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه».

وفي هذا الزمان أصبح الابن لا يبالي بأبيه بل ربما يسب أباه إلا ما شاء الله والنبي ﷺ يقول: «من الكبائر ان يشتم الرجل اباه او يسب الرجل اباه»، قالوا: وهل يسب اباه يا رسول الله؟! قال: «يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه»، أما ذو القربى الموصى بالإحسان إليهم فقد أصبح عند كثير من الناس قريبك عدوك، النبي ﷺ يقول كما في (الصحيحين) من حديث عائشة وعبد الله بن عمر: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه»، ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يمنعن جار جاره ان يغرز خشبة في جداره»، ثم يقول أبو هريرة: «ما لي اراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين اظهركم ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٧)».

نعم عاق والديه يعتبر خاسرًا، والذي يؤذي جاره يعتبر خاسرًا؛ يخبر الرسول ﷺ كما في (الصحيحين) من حديث أبي هريرة: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن: من لا يامن جاره بوائقه»، سواء كان الجار قريبًا أم كان الجار مجاورًا لك وهو من أرض ومن أسرة غير أسرتك؛ لكن الجار القريب له حقان: حق الجوار، وحق القرابة، والجار الآخر له حق الجوار، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (سورة محمد:٢٢-٢٣)، لابد من التأمل في هذا الموضع فالحاصل أن العداوة تكاد تكون في الكثيرين منا بين الأقرباء، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى القريب، والرسول ﷺ سأله عمرو بن عبسة: بم أرسلك؟ قال: «ارسلني بصلة الرحم» وذكر الحديث، وهكذا في حديث ابن عباس في قصة هرقل أن النبي ﷺ قال: «امرني ان اعبد الله» وذكر منها صلة الرحم، والرسول ﷺ أخبر أن الرحم تتعلق بالعرش يوم القيامة وتقول: «هذا مقام العائذ بك، فيقول لها الله عزَّوجلَّ: «اما ترضين ان اصل من وصلك، وان اقطع من قطعك؟».

صلة الرحم ربما تكون سببًا لسعادتك الدنيوية ولسعادتك الأخروية. أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب أن يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه»**، إذا أحببت أن الله يبسط عليك الخير عليك أن تدعو قريباتك للوليمة وهكذا أقرباءك ولو لم يكن إلا الإحسان إليهم، أمر مهم، أبو طلحة رضي الله عنه أراد أن يتصدق بخير ماله بأرض من أرضه، فقال الرسول ﷺ: **«بخ بخ مال رابح اجعلها في الأقربين»**. نعم يا أمة محمد إن أعداء الإسلام يريدون أن يفككوا الأسر فكيف بمن كان متوقعًا من جاره ومن قريبه الشر؟ متوقعًا متى يفتح له خصامًا؟ متى يؤذيه ذلكم الرجل؟ إيمانه مزعزع، أو لا يكون مؤمنًا أصلاً ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ**﴾ (سورة الإسراء:٢٦)، له حق إن كان فقيرًا أن تحسن إليه، وإن كان جائعًا أن تطعمه، وإن كان عريانًا أن تكسوه، علينا أن نتمسك بهدي محمد ﷺ فهدي محمد ﷺ فيه السعادة في الدنيا والآخرة؛ لو أننا تمسكنا بهدي النبي ﷺ ما أصبح الشخص منا مستعدًا لقريبه بالشجار، ومستعداً له بالخصام.

واعلموا ـ بارك الله فيكم ـ إنكم في يوم مبارك يجب أن نحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا لصيام رمضان، ويجب أن تظهر علينا آثار صيامه؛ لأن الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (سورة البقرة:١٨٣) هل تأثرنا؟ ينبغي أن ننظر أنحن بعد رمضان تغيرت أحوالنا إلى أفضل مما كانت عليه؟ وينبغي أن نحمد الله سبحانه وتعالى إذ يسر لنا صيام رمضان فإن الرسول ﷺ يقول: **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**.

عِبَادَ اللَّهِ . . . العبادة تبعث فيك الشجاعة وتبعث فيك الكرم وتبعث فيك الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وتبعث فيك خصالاً حميدة ينبغي أن نحرص عليها، ونحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا لذلك فمن أَلِفَ قيام الليل فأنصحه ألا يفتر عنه، ومن أَلِفَ تلاوة القرآن فأنصحه أن يجعل له حزبًا في اليوم، ومن أَلِفَ أيضًا الصيام فهناك صيام تنفل يرفعك الله سبحانه وتعالى به، يقول الرسول ﷺ: **«من صام رمضان ثم اتبعه ستًا

من شوال فكأنما صام الدهر، وكما في (الصحيح) يرغب الرسول ﷺ في ثلاثة أيام من كل شهر فيها علاج لقلبك، الرسول ﷺ يقول: **«صيام ثلاثة أيام من كل شهر تذهب وحر الصدر»**، من في صدره حسد للمسلمين، من في صدره حسد لأقربائه، من في صدره غل على أقربائه، فينبغي أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام حتى يتعالج من هذا الأمر الخطير، الذي يُخْشى أن يقذفه في النار، صيام ثلاثة أيام من كل شهر تذهب وحر الصدر، الرسول ﷺ كان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس فيقول الرسول ﷺ وقد سُئِلَ لم يخصصهما؟ فقال: **«إنهما يومان ترفع فيهما الأعمال؛ وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»**، فينبغي أن نتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ بالعبادة والأمر ميسر بحمد الله، ينبغي أن نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى وأن نخضع له، وأن نذل لله عزَّ وجلَّ، ونسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية ونعوذ بالله من الفتن.

ينبغي أن نستعيذ بالله من الفتن، والرسول ﷺ علمنا أن نستعيذ بالله من الفتن.

عِبَادَ اللهِ . . . اعلموا أنه يشرع في هذا اليوم قبل صلاة العيد أن تخرج صدقة الفطر وهي صاع، كما في حديث عبد الله بن عمر وأبي سعيد صاع من تمر، أو صاع من زبيب، أو صاع من شعير، أو صاع من أقط، ولا تجزىء القيمة؛ فالنبي ﷺ لم يقل هو صاع أو ما يعادله، بل قال: **«صاع»**. فإذا أخذت الحكومة وليس لديك ما تدفع فالإثم عليها، وإلا فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها لا تجزيء القيمة.

واعلموا أنه من فضل الله عزَّ وجلَّ على عباده أن المواسم العبادية هذه تخلف هذه فانتقلنا من رمضان ونحن مستقبلون حج بيت الله الحرام فينبغي أن نشمر في الطاعة وأن نرجع إلى الله عزَّ وجلَّ، أما الذي لا يعرف الله إلاَّ في رمضان فهو محروم من الخير، الذي يتبع رمضان بشهادة الزور، الذي يتبع رمضان بأذية الجار، الذي يتبع رمضان بقطع الصلاة هو محروم من الخير، فينبغي أن تتبع الطاعة بالطاعة، وأن تأخذ دينك من كتاب الله وسنة رسل الله ﷺ .

أسأل الله العظيم أن يتقبل منا ومنكم، وأن يحفظ علينا ديننا، وأن يتوفانا مسلمين.

خطبة عيد الأضحى

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنا نحمد الله سبحانه وتعالى إذ بلغنا هذا اليوم المبارك: العيد الذي هو عود المسرة ولئن حيل بين المسلمين وبين الحج فإن أبواب الخير كثيرة. فالنبي ﷺ يقول: **«ما من أيام العمل فيها أفضل من عشر ذي الحجة»، فقال رجل: ولا الجهاد في سبيل الله يا رسول الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع بشيء».**

ويقول النبي ﷺ في صيام يوم عرفة: **«يكفر سنتين، ماضية ومستقبلة»**[1] أو بهذا المعنى.

---

(١) رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي.

فطرق الخير كثيرة، نحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي يسرها، وسيحاسب الله حكام المسلمين على العراقيل التي وضعوها في طريق الحجيج، فإن رب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ٩٧). تلك العراقيل سيسألون عنها أمام الله عزَّ وجلَّ.

ونبينا محمد ﷺ يقول: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**، ويقول النبي ﷺ: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**، فعلى المسلمين أن يدعوا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ييسر لهم بحكام ييسرون لهم سبل الخير، ويعينونهم على سبل الخير وعلى أداء المناسك والعبادات كما كان النبي ﷺ يؤديها.

في هذا اليوم المبارك: الأضحية، وهي تعتبر من أفضل القربات، والشاة كافية لأهل البيت الواحد الذين لا يزال طعامهم واحد ومشتركين، تكفيهم الشاة الواحدة أو الكبش الواحد، وإذا كنت تتقرب بهذه الأضحية لله ـ عزَّ وجلَّ ـ فعليك أيضًا أن تتقي الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا تتقرب بذبيحة إلى مخلوق ولا إلى شجر ولا إلى حجر.

فالحمد لله الذي أنقذنا من الجاهلية التي كنا فيها، ونسأل الله أن ينقذ الآخرين فقد كنا من قبل نذبح لغير الله، فالحمد لله الذي أنقذنا من هذه الجاهلية ومن هذا الشرك. ونبينا محمد ﷺ يقول: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، ورب العزة يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (سورة الكوثر: ٢). فكما أنك ـ بحمد الله ـ لا تسجد عند قبر ولا تسجد لحجر، ولا لشجر، فكذلك لا تذبح لشجر ولا لحجر ولا لمخلوق.

والضيافة: تقدر ضيفك وتذبح له ابتغاء وجه الله، فإن النبي ﷺ يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»، أما أن تذبح عند مخلوق كالذبح عند بعض الناس من أجل أن تطيب نفسه، فذلك ذبح أهل لغير الله، فإنه لم يذبح لله ولكنه ذبح من أجل طيبة نفس فلان فلا يجوز أكله، لا يجوز ذبحه، ولا يجوز أن

تتبعه، إذا قال لك صاحبك: نذهب ونذبح عند فلان، فلتذهب معي ولو لم تأكل من الذبيحة، فقل له: لا؛ لأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة: ٢).

تعاون صاحبك في الحق فقط، ولكن إلى الله المشتكى فمن الناس من هو مستعد أن يدافع عن صاحبه ولو كان إبليس، ومستعد أن يقوم مع صاحبه على الباطل، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة: ٢).

فالقبيلة أمرٌ طيب وحي هلا بها، لكن إذا خالفت الكتاب والسنة فلا، فهي أمور جاهلية والنبي ﷺ يقول: **«اربع في امتي من امور الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت»**، وعندما اختصم أنصاري ومهاجري، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: **«أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم؟ دعوها فإنها منتنة»**.

ويقول النبي ﷺ في ذلك الجمع العظيم في حجة الوداع: **«كل امر الجاهلية موضوع تحت قدمي»**، فكفانا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولن يعزنا الله إلاَّ إذا تمسكنا بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ. وما حصل للمسلمين من ذل وتقهقر فبسبب ذنوبنا، فبينما آباؤنا افتتحوا بلاد الكفر وأسلمت أمم لا يحصي عددها إلا الله، ونحن في قعر دورنا أصبحنا نخاف من أعدائنا كثيراً.

فعلينا أن نتقي الله وأن نتمسك بهذا الإسلام الذي اعترف أعداء الإسلام أنه لا يصلح البشرية إلاَّ هذا الإسلام.

يا عبد الله . . . يا من ابتلاك الله بالمرض إن علاجك أن تعلم أن ما أصابك من مصيبة فمن عند الله وعلاجك أن تعلم أن الله أقوى من الجن والإنس وأن نواصي الجن والإنس بيد الله سبحانه وتعالى. وعلاجك أن تقوي إيمانك وأن تلازم الأذكار:

أذكار الصباح وأذكار المساء وتلاوة القرآن وأداء العبادة، وهذا أمرٌ أكرمنا الله سبحانه وتعالى به فله الحمد والمنة على ما يَسَّر.

عِبَادَ اللَّهِ . . . تمسكوا بهذا الدين، إن أردتم أن يرفع الله شأنكم: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (سورة الإسراء:٩) وقومنا قالوا: «الديمقراطية تهدي للتي هي أقوم»، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء:٨٢)، قالوا: شفاء قلوبهم؛ هي الديمقراطية، وهي الانتخابات.

ولسنا نقول لكم اتبعونا: فلسنا أهلاً لأن نتبع ولكن نقول لكم: اتبعوا كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، القائل فيهما نبينا محمد ﷺ في حجة الوداع: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعد ابداً: كتاب الله وسنتي»**، قال تعالى في نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (سورة النور:٥٤).

فنحن إذا أطعنا رسول الله ﷺ فقد ضمن الله هدايتنا والنبي ﷺ حريص على هدايتنا. ويقول الله عزَّ وجلَّ في حق نبينا ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ (سورة التوبة:١٢٨). ويقول النبي ﷺ: **«مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن، فانا آخذ بحجزكم، وانتم تتفلتون عليَّ»**، فكأن النبي ﷺ يمسك بنا حتى لا نذهب إلى النار، وصدقت يا رسول الله أمتك تتفلت عليك، وأصبح من أمتك من يتباهى بأنه اشتراكي ومن يتباهى بالبعثي ومن يتباهى بالناصري ومن يتباهى بالديمقراطي، فوالله إنها لخيانة، خيانة لله ولرسوله؛ أكرمنا الله بهذا الدين ثم ننبذه ونلتمس الهدى والنور من قبل أعداء الإسلام، فعلينا يا ـ عباد الله ـ أن نتمسك بهذا الدين فإننا مسئولون عنه، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (سورة الزخرف:٤٤).

وبقيت بعض الأعمال من أعمال هذا اليوم ومنها: استحسان الأضحية، والتصدق منها بما تيسر، إما بالثلث وإما بالربع أو ما يتيسر.

وقد كان النبي ﷺ في بداية الأمـر قد نهى عن ادخار الأضحيـة، فلما فتح الله على المسلمين رخص لهم في الادخار.

وينبغي أيضًـا أن تلبس من خير ثيابك وأن تشـتري ثيابًا من خيـر ما يلبس، ولا يجوز لبس الحـرير للرجال في عيـد أو غيره لقـول النبي ﷺ عن لبس الحرير: «**إنما يلبس هذا من لا خلاق له**»، والإقرار من رسول الله ﷺ على التجمل وارد منه صلوات الله وسلامه عليه.

وأما الأضحية إذا كانت قد كُسِرَ قرنها كسرًا قليلاً فلا يضر، وإن قطعت أذنها من النصف أو من الصماخ فلا تجزىء، وهكذا الكسيرة والهزيلة التي أصبحت لا تستطيع أن تمشي فلا تجزىء، فينبغي أن تستحسن الأضحية وتحتسب الأجر والثواب على ذلك عند الله سبحانه وتعالى.

أسأل الله العظيم أن يتقبل منا وأن يتوب علينا وأن يتوفانا مسلمين.

في تربية الأبناء في الإسلام

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي يمن على من يشاء بالأولاد، ويجعلهم فتنة يتبينُ بها الشاكر الذي يقوم بحقهم ويصونهم عن الفساد، والمُهْمِلُ الذي يُضيعهم ويتهاون بمسئوليتهم فيكونون عليه نقمةً وحسرةً في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحكمة البالغة والحجة القائمة على العباد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن تربية الأولاد في الإسلام قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ﴾ (سورة التحريم:٦).

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في معنى الآية: **«اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي؛ فذلكم وقايتهم من النار»**، وعن علي رضي الله عنه قال في معناها: **«علموا انفسكم واهليكم الخير وادبوهم»**، فالآية تدل على أنه مطلوب من الإنسان أن يعمل بما يبعده ويبعد أهله من النار.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن مهمة الأولاد عظيمة يجب على الآباء أن يحسبوا لها حسابًا ويعدوا العدة لمواجهتها خصوصًا في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن واشتدت غربة الدين وكثرت فيه دواعي الفساد حتى صار الأب مع أولاده بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضارية إن غفل عنها أكلتها الذئاب. . . إن عناية الإسلام بتربية الأولاد واستصلاحهم تبدو واضحة في وقت مبكر حيث يشرع للرجل أن يختار الزوجة الصالحة ذات الدين والأخلاق الفاضلة لأنها بمنزلة التربة التي تلقى فيها البذور ولأنها إذا كانت صالحة صارت عونًا للأب على تربية الأولاد، كما أن يُشْرَعُ للزوج عند اتصاله بزوجته أن يدعو، فيقول: **«بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا»**[1].

وإن رزقنا مولودًا يختار الأب لولده الاسم الحسن فقد أمر ﷺ بتحسين الأسماء، ثم بِخَتْنِهِ بإزالة القلفة لما في إزالتها من التحسين والتنظيف، والختان من أظهر الشعائر التي يفرق بها بين المسلم والنصراني وهو من خصال الفطرة ويعق عنه بأن يذبح عن الذكر شاتين وعن الجارية شاة ـ والحكمة في ذلك أنها قربان يتقرب بها إلى الله عن المولود في أول خروجه إلى الدنيا وهي أيضًا فدية يُفْدى بها المولود كما فدى الله إسماعيل بالكبش كل ذلك مما يدل على الاعتناء بالمولود.

عِبَادَ اللَّهِ . . . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع وحتى يُسألَ الرجل عن أهل بيته»**[2]. فكل من وهبه الله نعمة الذرية وجب عليه أن يؤدي أمانتها بأن ينشىء أبناءه ويربيهم تربية إسلامية، وأن يتعهدهم منذ نعومة أظفارهم: إن الطفل الناشىء كالعجينة اللينة في يد صانعها يشكلها كيفما أراد، أو كالصحيفة البيضاء قابلة لكل ما يكتب فيها أو ينقش عليها.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٤١)، ومسلم (٢/ ١٠٢٨).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى»، «تحفة الأشراف» (١/ ٣٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٢٤)، وابن عدي (١/ ٣٠٧)، وصححه ابن حبان (٤٤٩٢)، والحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٦/ ٢٣٠).

ومن هنا يجب على الوالدين أن يكونا حريصين على كل ما يصدر منهما أمام أولادهما، فلا يتحدثان إلاَّ بالصدق، ولا ينطقان إلاَّ بالحق، ولا يتعاملان معهم إلاَّ بالرحمة والشفقة والرفق وأن يبينا لهم الخطأ والصواب.

ففتى اليوم سوف يصبح أبًا غدًا. وفتاة اليوم ستكون أمًا في المستقبل، ولابد من إعداد كل منهما إعدادًا طيبًا ليكونا لَبِنَاتٍ صالحات في بناء صرح الأمة التي أرادها الله وشهد بخيريتها. وعهد إليها قيادة البشرية.

فعلى الوالدين أن يقوما بتنفيذ المنهج التربوي الذي رسمه الإسلام، وإنما يكون ذلك عن طريق مراقبة سلوك الأبناء واختيار أصدقائهم حتى لا يختلطوا بذوي الأخلاق الفاسدة والعادات القبيحة؛ فإن الأولاد إذا عودوا الخير في صغرهم نشئوا عليه وسعدوا به في الدنيا والآخرة، وكان لوالديهم الأجر العظيم والثواب الجزيل من رب العالمين، وإن نشئوا على الشر ودرجوا عليه شقوا وهلكوا وكان الوزر والإثم معلقًا برقبة أولياء أمورهم والقائمين على تربيتهم.

فعلى المؤمن أن يقي نفسه وأهله من عذاب الله قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار، ففي مجال العقيدة يجب على المسلم أن ينشىء أبناءه على معرفة الله ووحدانيته وحب رسوله، وأن يعلمهم الصلاة ويدربهم على الصيام، ويخوفهم من السرقة والخيانة والكذب والغيبة والنميمة والفحش في الكلام وأكل الحرام. فإن قلب الطفل جوهرة نفيسة قابلة للخير والشر، وأبواه هما اللذان يميلان به إلى أحد الجانبين.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟»** ثم يقول أبو هريرة ﷺ : **﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾** (سورة الروم: ٣٠).

(١) رواه البخاري (٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

وفي مجال الثقافة يجب على كل مسلم أن يراقب أبناءه فلا يتركهم فريسة لما يكتب في بعض الصحف والكتب والمجلات التي تتحدث عن الجنس وإباحة الرذيلة والتي تتسبب في فساد الأخلاق وانحراف الشباب وانحلال الفتيات، كما يجب على المسلم أن يصون أبناءه عما يذاع بوسائل الإعلام أو ما يشاهد في التلفاز ودور السينما من مسلسلات ماجنة وأفلام صاخبة تؤدي إلى السقوط والضياع، وفوق ذلك كله يجب على كل مسلم أن يحتاط في إطعام أولاده فلا يكْتَسِبُ قوتهم من الحرام، فإن الأولاد إذا طعموا الحرام لا يُبَارَكُ فيهم ويميل طبعهم إلى كل خبيث فيكونون بلاء على أهليهم ومصدر شقاء لأوطانهم. قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٨٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

عباد الله . . . لو أن المسلمين التزموا بتعاليم الإسلام في تربية الأبناء لَوجَدنَا جيلاً من الشباب الصالح المتدين العارف بربه المتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الحريص على مصلحة وطنه وحمايته من كل خطر وصيانته عن كل منكر، لكننا نلاحظ أن بعض الآباء يهربون من هذه المسئولية ويُعَرِّضُونَ أبناءهم للضياع ويتركونهم للانحراف، وكم من ولد جر على أهله الخراب والدمار لسوء أدبه وقلة حيائه؟ وكم من فتاة ألحقت بأسرتها الخزي والعار لأنها تُرِكَتْ بلا رقيب وسارت في ركب الشيطان.

وخوفًا من فشو هذا الخطر بين الأسر والعائلات فإن الإسلام يناشد الآباء والأمهات أن يَلْزَمُوا أولادهم وأن يُحْسِنُوا أدبهم حتى لا يقعوا في شراك أهل الضلال.

بل يريد الإسلام أن يتصف الأبناء بصفات علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، ومصعب بن عمير، وزيد بن حارثة، وسعد بن أبي وقاص، أولئك الذين أضاءوا الدنيا بأعمالهم وسجل لهم التاريخ صفحات من نور.

كما يريد الإسلام أن تكون الفتاة متدينة عارفة بربها كتلك التي كانت تقول لزوجها إذا خرج لعمله وكسب قوته: لا تكسب إلاً طيبًا، ولا تطلب إلاً حلالاً، وإياك والحرام فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على نار جهنم. وأن تكون كتلك التي راودها شاب عن نفسها في الخلاء فقالت له: يا هذا لا تفعل شيئًا حتى نطمئن أن ليس يرانا أحد فقال لها: وهل يرانا إلاً الكواكب؟ فقالت له: وهل غفل عنا خالقها؟.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وأحسنوا تربية الأبناء فإنها أمانة فمن أداها على الوجه المشروع كان من السعداء في الدنيا الفائزين برضوان الله يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (سورة الطور: ٢١).

وهذا من تمام نعيم الجنة أن أَلْحَقَ بهم ذريتهم، ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ ﴾ أي: لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذرية تبعًا لهم بالإيمان ومن باب أولى إذا اتبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم فهؤلاء المذكورون، يلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة، وإن لم يبلغوها جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئًا ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك يلحق الله بهم ذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكمًا واحدًا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحدًا إلاً بذنب، ولهذا قال: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ أي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يُحْمَلُ على أحد ذنب أحد، فهذا اعتراض، من فوائده إزالة هذا الوهم المذكور.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الأسرة هي المحضن الأول الذي ينشأ فيه الأبناء ذكورًا وإناثًا. ورب الأسرة وزوجته كلاهما شريك الآخر في تلك المؤسسة الاجتماعية التي أمر

الإسلام برعايتها والحفاظ عليها لتكون لبنة قوية صالحة لبناء صرح الأمة التي أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس، ولا يمكن أن يتحقق النجاح للأسرة إلاَّ إذا تعاون كل من الرجل والمرأة في تربية الأبناء، فالولد قبل أن تربيه المدرسة، وقبل أن يهذبه المجتمع يربيه البيت وتهذبه الأسرة، وبذلك يتأثر بوالديه في أخلاقياته وسلوكه وتصرفاته واتجاهاته الدينية والعقائدية.

عباد الله . . . ولقد عرف الأولون ما للأبناء من دور فعال في حياة الأمة إذ هم الدم الحار الذي يتدفق في عروقها والشمس الساطعة التي تضيء جوانبها، والسلاح القوي الذي يُوَجَّهُ إلى صدور أعدائها والدرع الواقي الذي يحمي حماها ويحقق لها المجد والعزة. ولذلك لما سأل معاوية الأحنف بن قيس عن مكانة الأبناء ودَوْرِهِمْ في الحياة قال: يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، وبهم نصون على كل جليلة. فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك.

والوالد الذي يحوط أبناءه بالحنان والرحمة مع التوجيه والتربية ويتحرى الحلال في نفقاتهم وكسوتهم وطعامهم يبارك الله له في أولاده ويثيبه على قدر إخلاصه في هذه المهمة التي لا يستطيع القيام بها إلاَّ أصحاب الهمم العالية من الرجال، وإن تربية الأبناء على النحو الذي دعا الإسلام إليه لمن أسمى أنواع الجهاد.

قال ابن المبارك لإخوانه وكانوا في الغزو: تعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم ذلك. قال: أنا أعلم. قالوا: فما هو؟ قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نيامًا متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله هذا أفضل مما نحن فيه.

وإذا كان الإسلام قد أمر الرجل بمراعاة أبنائه وتأديبهم؛ فقد أمر المرأة أيضًا بأن تساعد زوجها وتتعاون معه في هذه المسئولية الضخمة ليستقيم صرح الأسرة ولا تؤثر فيه عوامل الفساد والانحلال.

ومن هنا فإن المرأة التي تتـرك أولادها للتسكع في الشوارع والأزقـة والحارات إنما ترمي بهم في الهاوية وتحطم مـستقبلهم بسـبب ما يكتسـبونه من عادات قبـيحة، وبما تتعود عليه ألسنتـهم من ألفاظ بذيئة يتعلمونها من رفقاء السـوء وخوفًا من الوقوع في مثل هذه العادات السيئة فقد حض الإسلام المرأة على ملازمة أبناءها ومتابعتهم في كل عمل يعملونه؛ فإذا رأت من ولدها انحرافًا نهتـه وزجرته حتى لا يعود إليه مرة ثانية؛ فإن رأت منه اسـتقامـة في الخلق واعتدالاً في السلـوك كافأته وحـاطته بالحب والحنان ليشب على هذا الخلق الحسن، وتعوده الشجـاعة والإقدام وتحذره من الجبن والضعف، ولا تكثر من تدليله إلى الحد الذي يفسد خلقه ويقتل فيه روح الشهامة والرجولة.

فيا أيهـا الآباء ويا أيتها الأمهـات: اعلموا أننا جميعًـا مسئولون عـما يصدر من أبنائنا وبناتنا. فإذا ظهـرت عليهم أمارات الاستـقامة والصلاح فـإنما لأن البيت الذي نشئوا فيه يضم أبًا متدينًا وأمًا تعرف ربها وأحكام دينها.

أمـا إذا فـسد الأبناء وذهبـت أخلاقـهم فـالإثم يقع أولاً وأخـيـرًا على آبائهم وأمهاتهم لتخليهم عن أقدس مسئولية وأغلى أمانة وضعها الله في أعناقهم. ومن لا أمانة له لا دين له.

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واحـرصوا على تربية أبنائكم الذكور منهم والإناث، فهم ذخيرة الغد وآمال المستقبل ولكم عند الله الثواب الوفير والأجر الكريم.

فضل أيام عشر ذي الحجة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . فإنه من فضل الله ومنته أن جعل لعباده الصالحين مواسم يستكثرون فيها من العمل الصالح، ومن هذه المواسم عشر ذي الحجة، وقد ورد في فضلها أدلة من الكتاب والسنة منها:

قال تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (سورة الفجر: ١-٢) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغيرهم، ورواه الإمام البخاري. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر»، قالوا: «ولا الجهاد في سبيل الله؟!»، قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلاَّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء».**

وقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (سورة الحج:٢٨). قال ابن عباس: «أيام العشر»[(١)]، وقد كان سعيد بن جبير - رحمه الله - وهو الذي روى حديث ابن عباس السابق: «إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يُقْدَرُ عليه»[(٢)]. قال ابن حجر في «الفتح»: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يأتي ذلك في غيره. ومما يستحب فعله في هذه الأيام التبكير إلى الفرائض، والإكثار من النوافل فإنها من أفضل القربات. روى ثوبان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله إلاَّ رفعك إليه بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»[(٣)]. وهذا عام في كل وقت.

ومما يستحب في هذه الأيام: الصيام: لدخوله في الأعمال الصالحة، فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر»[(٤)]. قال الإمام النووي عن صوم أيام العشر: أنه مستحب استحبابًا شديداً.

ومما يستحب في هذه الأيام: التكبير والتهليل والتحميد: لما ورد في حديث ابن عمر السابق: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»، وقال الإمام البخاري - رحمه الله -: «كان ابن عمر وأبو هريرة ﷺ يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما»، وقال - أيضًا -: «وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق، حتى ترتج مِنى تكبيراً».

وكان ابن عمر يكبر بِمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه تلك الأيام جميعًا، والمستحب الجهر بالتكبير لفعل عمر وابنه وأبي هريرة، وحري بنا - نحن المسلمين - أن نحيي هذه السنة التي قد أضيعت في

---

(١) تفسير ابن كثير.
(٢) رواه الدارمي، وهو حسن.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي.

هذه الأزمان، وتكاد تنسى حتى من أهل الصلاح والخير ـ وللأسف ـ بخلاف ما كان عليه السلف الصالح. وصيغة التكبير عدة صيغ مروية عن الصحابة والتابعين منها:

(أ) الله أكبر الله أكبر. الله أكبر كبيرا.

(ب) الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله. والله أكبر والله أكبر ولله الحمد.

(جـ) الله أكبر الله أكبر الله أكبر. لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر الله أكبر. ولله الحمد.

ومما يستحب في هذه الأيام صيام يوم عرفة: ويتأكد صيام يوم عرفة لما ثبت عنه ﷺ أنه قال عن صوم يوم عرفة: **«احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده»**[1]. لكن من كان في عرفة ـ أي حاجًا ـ فإنه لا يستحب له الصيام. لأن النبي ﷺ وقف بعرفة مفطرًا.

وأما فضل يوم النحر: فيغفل عن ذلك اليوم العظيم كثير من المسلمين، وعن جلالة شأنه وعظم فضله الجم الغفير من المؤمنين، هذا مع أن بعض العلماء يرى أنه أفضل أيام السنة على الإطلاق حتى من يوم عرفة. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «خير الأيام عند الله يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر»، كما في (سنن أبي داود) عنه ﷺ: **«إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القَر»**، ويوم القر: هو يوم الاستقرار في منى، وهو اليوم الحادي عشر، وقيل يوم عرفة أفضل منه، لأن صيامه يكفر سنتين، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة، ولأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يدنو فيه من عباده، ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف، والصواب القول الأول ـ أي: يوم النحر ـ لأن الحديث الدال على ذلك لا يعارضه شيء ـ وسواء كان هو أفضل أم يوم عرفة، فليحرص المسلم ـ حاجًا كان أم مقيمًا ـ على إدراك فضله ـ وانتهاز فرصته.

---

(١) رواه مسلم.

عبَادَ اللَّهِ . . . أما حكم الأضحية ففي المسألة قولان لأهل العلم: أحدهما ـ أن الأضحية تجب كأي حكم شرعي على المستطيع وحديث الرسول ﷺ هو من أدلة من قال بالوجوب عند الاستطاعة قال رسول الله ﷺ : «من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا».

والقول الآخر بأنها مستحبة، والذي تطمئن إليه النفوس القول بالوجوب عند الاستطاعة والله أعلم. وتشرع في حق الأحياء كما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يضحون عن أنفسهم وأهليهم، وأما ما يظن بعض العامة من اختصاص الأضحية بالأموات فلا أصل له، والأضحية عن الأموات على ثلاثة أقسام:

الأول ـ أن يضحي عنهم تبعًا للأحياء مثل أن يضحي الرجل عنه وعن أهل بيته وينوي بهم الأحياء والأموات، وأصل هذا تضحية النبي ﷺ عنه وعن أهل بيته وفيهم من قد مات من قبل.

الثاني ـ أن يضحي عن الأموات بمقتضى وصاياهم تنفيذًا لها وأصل هذا قوله تعالى: ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ١٨١).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأصلي على نبينا **محمد** وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بسنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

والقسم الثالث من الأضحية ـ أن يضحي عن الأموات تبرعًا مستقلين عن الأحياء، **فهذه جائزة.** وقد نص فقهاء الحنابلة على أن ثوابها يصل إلى الميت وينتفع به قياسًا **على الصدقة** عنه، ولكن لا نرى أن تخصيص الميت بالأضحية من السنة، لأن النبي ﷺ **لم يضح** عن أحدٍ من أمواته بخصوصه، فلم يضح عن حمزة، وهو من أعز

أقاربه عنده، ولا عن أولاده الذين ماتوا في حياته، وهن ثلاث بنات متزوجات وثلاثة أبناء صغار، ولا عن زوجته خديجة، وهي من أحب نسائه، ولم يرد عن أصحابه في عهده أن أحدًا منهم ضحى عن أحد من أمواته، واعلموا - يا عباد الله - أن الرجل إذا ضحى من ماله عن نفسه وأهله شمل أهله الأحياء والأموات ومن أراد أن يضحي ودخل شهر ذي الحجة إما برؤية هلاله أو إكمال ذي القعدة ثلاثين يومًا فإنه يحرم عليه أن يأخذ شيئًا من شعره أو أظفاره أو جلده حتى يذبح أضحيته لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك من شعره وأظفاره»**[1]. وفي لفظ: **«فلا يمس من شعره ولا بشره شيئًا حتى يضحي»**.

وإذا نوى الأضحية أثناء العشر أمسك عن ذلك من حين نيته، ولا إثم عليه فيما أخذه قبل النية.

والحكمة في هذا النهي أن المضحي لما شارك الحاج في بعض أعمال النسك وهو التقرب إلى الله تعالى بذبح القربان شاركه في بعض خصائص الإحرام من الإمساك عن الشعر ونحوه، وعلى هذا فيجوز لأهل المضحي أن يأخذوا في أيام العشر من شعورهم وأظفارهم وأبشارهم. وهذا الحكم خاص بمن يضحي أما المضحى عنه فلا يتعلق به، لأن النبي ﷺ قال: **«وأراد أحدكم أن يضحي»**، ولم يقل أو يُضَحَّى عنه ولأن النبي ﷺ، كان يضحي عن أهل بيته ولم ينقل عنه أنه أمرهم بالإمساك عن ذلك.

وإذا أخذ من يريد الأضحية شيئًا من شعره أو ظفره أو بشرته فعليه أن يتوب إلى الله تعالى ولا يعود ولا كفارة عليه ولا يمنعه ذلك عن الأضحية - كما يظن بعض العوام - وإذا أخذ شيئًا من ذلك ناسيًا أو جاهلاً أو سقط الشعر بلا قصد فلا إثم عليه، وإن احتاج إلى أخذه فله أخذه ولا شيء عليه مثل أن ينكسر ظفره فيؤذيه فيقصه أو ينزل الشعر في عينيه فيزيله أو يحتاج إلى قصه لمداواة جرح ونحوه.

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

أخي المسلم . . . الخير كل الخير في اتبـاع هدي الرسول ﷺ في كل أمور حياتنا لذا أحببنا أن نذكرك ببعض الأمور التي يستحب فعلها أو قولها في ليلة عيد الأضحى المبارك ويوم النحر وأيام التشريق الثلاثة وأوجزناها لك في نقاط كالآتي:

التكبير: ويشرع في فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق وهو الثالث عشر من شهـر ذي الحجة قـال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ (سورة البقرة:٢٠٣) وصفـته قـد بيناها في الخطبة الأولى ويسن جـهر الرجـال به في المساجـد والأسواق والبيوت وأدبار الصلوات إعلانًا بتعظيم الله وإظهارًا لعبادته وشكره.

ذبح الأضحية: ويكون ذلك بعد صلاة العيد لقول رسول الله ﷺ : **«من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح»**[1] . ووقت الذبح أربعة أيام العيد، يوم النحر وثلاثة أيام التشريق، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«كل أيام التشريق ذبح»**[2] .

ومما يستحب في يوم العيد الاغتسال والتطيب للرجال، ولبس أحسن الثياب: بدون إسراف ولا إسبال ولا حلق لحية فهذا حـرام، أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلى العيد بـدون تبرج ولا تطيب، فلا يصح أن تذهب لطاعة الله والصـلاة ثم تعصي الله بالتبرج والسفور والتطيب أمام الرجال.

ويسن الأكل من الأضحية: فـقد كـان رسول الله ﷺ لا يطعم حـتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته[3] .

والسنة الصلاة في مصلى العيد: إلاَّ إذا كان هناك عذر من مطر مـثلاً فيصلي في المسجد لفعل الرسول ﷺ .

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٤٧٦).

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٤٤١).

الصلاة مع المسلمين واستحباب حضور الخطبة: والذي رجحه المحققون من العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية أن صلاة العيد واجبة لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (سورة الكوثر:٢) ولا تسقط إلاَّ بعذر، والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحُيَّض والعواتق ويعتزل الحُيَّضُ المصلى.

ويستحب لك أن تذهب إلى مصلى العيد من طريق وترجع من طريق آخر؛ لفعل النبي ﷺ. وكذلك يستحب التهنئة بالعيد؛ لثبوت ذلك عن صحابة رسول الله ﷺ.

واحذر أخي المسلم من الوقوع في بعض الأخطاء التي يقع فيها الكثير من الناس والتي منها: التكبير الجماعي بصوت واحد، والترديد خلف شخص يقول التكبير وقد حذر من ذلك الشيخ محمد الصالح العثيمين وغيره من أهل العلم خلفًا وسلفًا وذلك في رسالة عن أحكام الأضحية، واحذر ـ يا عبد الله ـ اللهو أيام العيد بالمحرمات كسماع الغناء ومشاهدة الأفلام واختلاط الرجال بالنساء اللاتي لسن من المحارم وغير ذلك من المنكرات.

واحذر أخذ شيء من الشعر أو تقليم الأظافر قبل أن يضحي من أراد الأضحية لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

ولنحذر يا عباد الله، الإسراف والتبذير بما لا طائل تحته ولا مصلحة فيه ولا فائدة منه لقول الله تعالى: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة الأنعام:١٤١). ومن الإسراف والتبذير والإضرار بالمسلمين في مصلى العيد وغيره ظاهرة شراء المفرقعات للأبناء ويحرم بيعها وشراؤها وعلى التجار أن لا يروجوها لما فيها من الضرر.

ولا تنس ـ أخي المسلم ـ أن تحرص على أعمال البر والخير من صلة الرحم وزيارة الأقارب وترك التباغض والحسد والكراهية وتطهير القلب منها والعطف على المساكين والفقراء والأيتام ومساعدتهم وإدخال السرور عليهم.

أخي المسلم . . . احرص على اغتنام هذه الفرصة السانحة، قبل أن تفوت عليك فتندم ولات ساعة مندم، وفقنا الله وإياكم لاغتنام مواسم الخير، وأن يعيننا فيها على طاعته وحسن عبادته.

القَــات

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمــد لله، نحمده ونستـعينه ونستغـفره، ونعوذ بالله من شــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهــده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

عِبَادَ اللَّهِ . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن القات تــلك الشجرة التي تكاد تغزو كل بلاد اليمن وبسرعة فائقة ـ نســأل الله العافية من كل بلية إنه على كل شيء قدير. وسنتطرق ـ بإذن الله ـ في الحديث عن أضرارها الصحية والنفسية والاجتماعية وحكم الإسلام في أكلها.

أما الأضرار الصحية: فمنها فقدان الشهيــة وما يتبع ذلك من أمراض سوء التغذية مثل الأنيــميا ـ أي فــقر الدم ـ وبالتالي يصــبح الجسم عاجــزًا عن مقاومــة الأمراض المختلفة ومنها اليبس أي الإمساك المزمن ويؤدي هذا إلى انتشار البواسير بصورة مرتفعة وهذا هو السر وراء انتشار هذا الداء في بلادنا.

وكذلك أمراض الأسنان نتيجة للمضغ المستمر وكذلك التسمم بالمواد الكيماوية التي تستخدم في رش القات ولا يغسل جيداً فيؤدي ذلك إلى التسمم فينتج عن ذلك الإسهال والطرش والوفاة وهذا مشاهد بين وقت وآخر.

وكلنا يعلم بأن تناول القات يصاحبه تدخين متواصل، وتخزين القات يتطلب إغلاق الغرفة إغلاقًا محكمًا؛ مما يؤدي إلى انتشار أمراض القلب وجهاز التنفس وسرطان الرئة هذا ما يتعلق بالجانب البدني.

وأما الأمراض النفسية: فيلاحظ أن هناك نوعًا من التعود الجسمي والنفسي بحيث إن الشخص المخزن في وقت الظهيرة يتسلل إليه الخمول وأوجاع المفاصل والحمى فإذا قام بالتخزين انتهت تلك الآثار، ومن ذلك قلة النوم وإذا تأخر القات في ساعة التخزين تلاحظ على المخزن والمدمن أنه حاد الطبع فيصاب بانتعاش ثم اكتئاب، ومن تأثيرات القات على الجسم: سرعة ضربات القلب وخفقانه وارتجافه، وزيادة ضغط الدم، وازدياد التنفس، وارتفاع درجة حرارة الجسم والتعرق، واتساع حدقة العينين، والتهاب الفم والمعدة، والإمساك ـ وهو من أعظم أعراض تعاطي القات ـ، وتليف الكبد، وفقدان الشهية ـ وذلك يؤثر على طاقتهم العملية ـ ومن ذلك: فقدان الرغبة الجنسية، وحدوث السيلان المنوي (السلس).

أما التأثيرات العصبية: فمنها الانتعاش الوقتي وزيادة اليقظة، وتحبيذ الاتصال الاجتماعي والثرثرة ،وزيادة النشاط والهيجان، والقلق والأرق.

وأما الأضرار الاجتماعية للقات: فمنها الرشوة ـ بالنسبة لأصحاب الرواتب القليلة خاصة ـ والتسيب والإهمال الإداري والمحسوبية، والتفكك الأسري، والانحراف الأخلاقي، وجنوح الأطفال، والسرقة، وشهادة الزور، وحوادث المرور، وانخفاض المستوى العلمي بالنسبة للطلاب، وانتشار بعض الأمراض، وتلوث البيئة العامة وغيرها، وهذه الآثار السلبية بسبب تعاطي القات كما أن ارتفاع سعر القات يؤدي إلى قصور الإنفاق على الأسرة طعامًا وكساءً، كما أن عملية مضغ القات من أربع ساعات إلى ست ساعات وهذه الساعات تذهب سُدى غالبًا.

وأما الأضرار الاقتصادية: فإن المساحة المزروعة بالقات تصل إلى حوالي نصف الأراضي المستغلة فعلاً في الزراعة حتى أوائل الثمانينات ولاشك أن المساحة قد زادت أكثر من ذلك منذ أول التسعينات.

وأما نسبة متعاطي القات فقد قرر الإخصائيون بأن أكثر من ثلاثة أرباع سكان الجمهورية اليمنية يتعاطون القات ذكورًا وإناثًا وبمختلف الأعمار والفئات الاجتماعية كما يقوم على خدمة القات إنتاجًا وتسويقًا حوالي ثلث الطاقة البشرية العاملة في الجمهورية.

إن هذه الشجرة طغت على كثير من المحاصيل الزراعية الأخرى كالذرة والحبوب والبن وحلت محلها لسرعة محصولها وكثرة الربح المادي الذي يفوق ربح البن بعدة أضعاف، وبهذا فقدت اليمن موردًا هامًا من موارد العملة الأجنبية التي كانت تتدفق عليها ثمنًا للبن اليمني الشهير في الأسواق العالمية، ومما يؤسف له أن الدولة في بلادنا تشجع عليه فتعده مصدرًا رئيسيًا للدخل القومي فعليهم أن يتقوا الله عزَّ وجلَّ فإن الله سائلهم عن الصغيرة والكبيرة بشأن رعاياهم ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (سورة الزلزلة: ٧-٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله جاعل المبذرين إخوان الشياطين، والحمد لله القائل: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٣١) نحمده سبحانه وتعالى على جزيل نعمه وعظيم عطاياه ونشكره ولا نكفره، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد . . .

عباد الله . . . أما حكم الإسلام في أكل هذه الشجرة فقد قال الفقيه أبو بكر ابن إبراهيم المقري الحرازي الشافعي في مؤلفه في تحريم القات قال: «كنت آكلها في سن الشباب ثم اعتقدتها من المتشابهات وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: **«من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»**[1] ثم إني رأيت من أكلها الضرر في بدني

---

(١) البخاري (٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

وديني فتركت أكلها فمن ضـررها أن آكلها يرتاح ويطرب وتطيب نفسه ويذهب حزنه ثم يعتريه قدر ساعتين من أكلها هموم متراكمة وغموم متزاحمة وسوء أخلاق، وكنت في هذه الحالة إذا قرأ علي أحد يشق مراجعته وأرى مـراجعته جبلاً وأرى لذلك مشقة عظيمة ومللاً، وإنه ليذهب بشهوة الطـعام ولذته ويطرد النوم ونعمته، ومن ضرره في البدن أنه يخرج من آكله شيء بعد البـول كالودي ولا ينقطع إلا بعد حين وطالما كنت أتوضـأ فأحس بشـيء منه وأعيـد الوضـوء وتارة أحس به في الصـلاة بحيث اتحـقق خروجه فـيها فأعيـده، وسألت كثيرًا ممن يأكلهـا فذكروا ذلك عنها وهذه مصـيبة في الدين وبلية المسلمين.

وقال الشيخ مـحمد سالم البيـحاني في كتابه «إصلاح المجـتمع» في أكل القات وشراب التنـباك: ضررٌ قـريب من الخمـر والميسر لما فـيهـما من ضـياع المال وذهاب الأوقات والجناية على الصـحة وبهمـا يقع التشاغل عن الصـلاة وكثير من الواجـبات المهمـة . . . إلى أن قال ومعلوم من أمر القـات أنه يؤثر على الصحة البـدنية ويحطم الأضراس ويهيج الباسور ويفسد المعدة ويضعف شهية الأكل ويدر السلس وهو الودي وربما أهلك الصلب وأضعف المني وأظهر الهـزال وَسَبَّبَ القبض المزمن ومرض الكلى وأولاد صاحب القـات غالبًا يخرجون صـغار الأجـسام قصـار القامة قلـيلاً ومنهم مصابون بعـدة أمراض خبيثة، وهذا مع مـا يبذله أهله فيه من الأثمان الغالـية المحتاج إليها ولو أنهم صرفوها في الأغذية الطيبة وتربية أولادهم أو تصدقوا بها في سبيل الله لكان خيرًا لهم وصدق شاعرنا القائل:

عـزمت على تـركِ التناول للقـات	صيـانـة عـرضي أن يضيـع وأوقـاتي
وقد كنت عن هذا المضر مدافعًا	زمـانًا طويلاً رافعًـا فـيـه أصـواتي
فلمـا تبـينت المضـرة وانجلت	حـقـيـقـتـه بادرت بالمناواتي
طبـيـعـتـه اليـبس الملم ببـردةٍ	أخـا الموت كم افنيت منا الكرامات

ويقول الشيخ محمد سالم البيحاني: وأنا لا أقيس القات والتنباك بالخمر في التحريم وما يترتب عليه من عقاب الآخرة؛ ولكن أقول هذا قريب من هذا وكل مضر لصحة الإنسان في بدنه وعقله أو ماله فهو حرام. والبر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك المفتون. انتهى كلام الشيخ محمد سالم البيحاني في ذلك، وقد ذكر صفات القات وحكم عليها بالضرر والنهي والتحريم ولكن قوله: وأنا لا أقيس القات والتنباك بالخمر إلى آخره، الظاهر أن مراده أن غلظ تحريم الخمر وما يجب عليه من حد في الدنيا وعقاب في الآخرة مع اتفاقهما في أصل التحريم.

وممن أفتى بتحريم القات شيخنا ومعلمنا الخير أبو الحسن المأذي ـ حفظه الله ـ القائم على دار الحديث بمأرب ردًا على السؤال (٨٧). من سلسلة الفتاوى الشرعية العدد الخامس فليراجع في مصادره.

وكذلك ألف الشيخ عايض بن علي مسمار ـ حفظه الله ـ كتابًا في حكم القات.

نسأل الله جلّ وعلا أن ينفع بفتاوى علمائنا، وأن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال، والله المستعان.

مسائل مهمة تتعلق بالصلاة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتصرف في ملكه بما شاء وأراد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي اصطفاه على بريته، وأوجب على كل مسلم تقديم محبته وطاعته على الآباء والأمهات والنفس والناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وجزاه عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء.

أما بعد . . . موضوعنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن مسائل مهمة تتعلق بالصلاة مما يجب الإرشاد والتنبيه عليها، تقع من بعض الناس بسبب الجهل والتهاون بشأن الصلاة، وهي الركن الأعظم بعد التوحيد:

المسألة الأولى ـ مسابقة الإمام بالركوع والسجود والخفض والرفع وتكبيرة الإحرام، فإن ذلك كله محرم بنص الرسول ﷺ كما قال: **«أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار»**[1] وقد قال كثير من العلماء: إن المسابقة تبطل الصلاة، وهذا من جهل فاعله، إذ ليس له خروج من الصلاة قبل إمامه.

والمسألة الثانية ـ عدم الخشوع في الصلاة وكثرة الحركة فيها، والعبث باليدين في بدنه وملابسه، وفرقعة أصابعه والنظر إلى الساعة وهو يصلي والنفخ من أثر السواك

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٩١)، مسلم (٤٢٧).

أو غيره وكثرة النحنحة بدون حاجة، وتقديم إحدى رجليه عن الصف فلا يجوز ذلك، وقد قال بعض العلماء: إذا أكثر من الحركة وتوالت بدون ضرورة بطلت الصلاة وكذلك يوجد من بعض الناس أنه يتمايل في الصلاة من جانب إلى جانب بدون حاجة، وجميع هذه الأعمال ضد الخشوع في الصلاة، وعن أبي الدرداء عن الرسول ﷺ أنه قال: **«أول شيء يرفع من هذا الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعًا»**[1]؛ فإن الخشوع هو لب الصلاة وصلاة بلا خشوع كالجسد فاقد الروح، وقد مدح جل ثناؤه ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٢) بأعلى المقامات، وهو الفلاح، وهو أجمع كلمة قالتها العرب فإن الفلاح هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، والصلاة بخشوع وحضور قلب تأمر صاحبها بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وهي التي تَقَرُّ بِهَا عيون المتقين، كما قال سيدهم وإمامهم ﷺ: **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[2]. وقال ﷺ: **«يا بلال أرحنا بالصلاة»**[3]. فالمتقون يستريحون بها، ومن سواهم يستريحون منها، فسبحان من فاوت بين خلقه ورفع بعضهم فوق بعض درجات. فإن الرجلين يقومان في الصف، وإن ما بينهما في صلاتهما كما بين السماء والأرض كما ورد ذلك، وإن الرجل لينصرف من صلاته ما كتب له إلاَّ نصفها، إلاَّ ربعها، إلاَّ خمسها، حتى بلغ عشرها.

فالموفق الذي يتدبر ما يقوله ويفعله في صلاته، ويجعل ربه نصب عينيه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

ويمثل الإنسان نفسه في صلاته ذليلاً بين يدي عزيز رحيم، راجيًا فضله وأرجى المسائل المقربة للعبد إلى ربه هو باب الذل والافتقار والانطراح بين يدي سيده، ومن أكبر الأسباب المعينة على الخشوع هو أن يتدبر المصلي قراءته وقراءة إمامه، وأن يتدبر الأذكار من تسبيح وتكبير، وأن يستحضر عظمة الله وكبرياءه، وأنه واقف بين يدي

---

(١) «صحيح الجامع» (٢٥٦٩).

(٢) «صحيح الجامع» (٣٠٩٨).

(٣) «صحيح الجامع» (٢/ ٧٨٩٢).

أحكم الحاكمين، ومالك الدنيا والآخرة الذي نواصي العباد بين يديه وقلوبهم بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء، الذي ليس كمثله شيء ولا يعرف الخلق قدره، ولا يحيطون بشيء من علمه إلاَّ بما يشاء، والموفق من وفقه الله.

المسألة الثالثة ـ أن بعض الناس إذا سجد يرفع إحدى رجليه أو لا يمكنهن في الأرض وهذا يُخِلُّ بالصلاة، قال ﷺ : **«أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء: اليدين والركبتين، وأطراف القدمين، والجبهة مع الأنف، وأن لا أكف شَعرًا ولا ثوبًا»**[(١)] .

المسألة الرابعة ـ تسوية الصفوف فإنه ثبت عنه ﷺ أنه كان يسوي الصفوف بنفسه الكريمة. وورد التشديد بعدم الاهتمام بذلك، وقال ﷺ : **«عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم»**[(٢)] .

ويلزم محاذاة المناكب، وإلصاق قدمه بقدم أخيه الذي بجانبه، وتكون الأقدام مستقبلة القبلة. وإذ لم تحصل التسوية كما أمر ﷺ وقعت النفرة بين المسلمين واختلاف القلوب كما أخبر به الصادق المصدوق، وهذه حكمة وسر ومعجزة نبوية كما هو واقع وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي جعل الصلاة عمود الدين، وجعل لمن حافظ عليها النور والبرهان يوم القيامة وجعلها أول ما يحاسب عليه العبد فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد . . . من المسائل المهمة في الصلاة:

المسألة الخامسة ـ أن بعض الناس يجهر بالقراءة والتسبيح ويشوش على من بجواره وهذا لا يجوز.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (١/ ١٨٤)، ومسلم (١٢٧، ١٢٨).

المسألة السادسة ـ وفيها عدة مسائل: من الناس من إذا ركع لم يسو رأسه مع ظهره بل يرفع رأسه، وهذا يخل في الركوع، فإنه لا يكون ركوعًا تامًا حتى يستوي رأسه مع ظهره كما ورد في ركوعه ﷺ، وكذلك بعض الناس إذا دخل المسجد جلس بدون أن يصلي تحية المسجد ركعتين سواء كان في وقت نهي أو غيره والصحيح أن تحية المسجد تُفعل كل وقت، وهذا هو الراجح لقول النبي ﷺ: **«إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»**[1]. ولم يخصص ذلك في وقت معين، كذلك يوجد بعض الناس يرفع بصره إلى السماء في الصلاة، وقد ورد النهي عنه مع الوعيد الشديد كما قل ﷺ: **«لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم»**[2].

كذلك بعض الناس يتخلف عن متابعة الإمام في الركوع أو السجود أو يجلس إذا قام الإمام من السجود بدون حاجة، وهذا مكروه كراهة شديدة، وبالجملة فالصلاة مشتملة على أقوال وأفعال شرعية توقيفية، والمسلم مأمور بأدائها كما وردت عن النبي ﷺ فلا يجوز له الإخلال بها، أو الزيادة عن المشروع، بل يلزمه أن يؤديها كما وردت كما بينه وفصله العلماء في أحكام الصلاة في مواضعه، والصلاة هي أم العبادات كما أن الخمر أم المحرمات. فمنزلة الإنسان في الإسلام على قدر منزلة الصلاة في قلبه، كما ورد في بعض الآثار: **«من حافظ على الصلاة فهو لما سواها من دينه أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها من دينه أضيع»**، وليس بعد إضاعة الصلاة دين كما ورد في الكتاب والسنة واتفق عليه جملة الصحابة والسلف الصالح. قال عبد الله بن شقيق التابعي رحمه الله: «أدركت أربعين رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كلهم لا يعدون شيئًا من الشرائع تركه كفر إلا الصلاة»؛ فعلى هذا إذا حُكِمَ بكفره فإن نكاحه يكون سفاحًا وتطلق زوجته في الحال لكونه والعياذ بالله ارتد عن دينه، وإذا مات فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يقبر في مقابر المسلمين، بل يُنْبَذُ كنبذ الجيفة، ولا يرث ولا يورث، أعذانا الله والمسلمين من ذلك.

---

(١) متفق عليه: البخاري (١١٦٣)، مسلم (٧١٤).

(٢) رواه البخاري (٧٥٠)، مسلم (٤٢٩).

فمن عُـرِفَ بترك الصـلاة أو التهـاون بها فإنه لا يجـوز ولا يحل لولي المرأة أن يزوجه مـوليته، بل إن العـقد باطل إذا عُقِدَ له ويجـب منع الولي من ذلك سواء من القريب أو البعيد من عشيرته أو الحاكم وينبغي التنبيه في هذا المقام.

يا عِبَادَ اللَّهِ . . . على موضوع الإسـراع الشديد في المسير إلى المسـجد أو السعي الشديد لإدراك الصلاة في المسجد، أو لإدراك الركـوع، وذلك يفوت السكينة واحترام الصـلاة ويشوش على المـصلين وقد ورد في الحـديث: **«إذا أقيـمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة»**[١]، ومن الأخطاء في الصلاة تحريك الكفين عند الخروج من الصلاة من جهة اليمين أو من الجـهتين عند الالتفات للسلام وقد كان الصحـابة يفعلونه فـقال النبي ﷺ: **«ما لي أراكم ترفعون أيديكم كأنها أذناب خيل شمس»**[٢].

عِبَادَ اللَّهِ . . . أحسنـوا صلاتكم ـ رحـمكم الله ـ، وأتموا ركوعـها وسجـودها وحدودها، فإن أداءهـا على الوجه المطلوب سبب في غفـران الذنوب والخطايا؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه[٣] شيء؟»، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»**[٤].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا»**[٥].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢).
(٢) صحيح «صحيح مسلم» باب الصلاة (١١٩).
(٣) الدرن ـ بفتح الدال المهملة والراء جميعًا ـ: هو الوسخ.
(٤) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.
(٥) رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» وإسناده حسن، ورواه في «الكبير» موقوفًا عليه، وهو أشبه، ورواته محتج بهم في الصحيح. «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٢٧).

مظاهر محبة الرسول ﷺ وثمراتها

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد . . .الحب وإن كان من أعمال القلوب إلاَّ أنه لابد أن تظهر آثاره على الجوارح قولاً وفعلاً، ولما كان الحب أمرًا يمكن أن يستتر وراء الدعاوى والمزاعم ويقع في الاشتباه كان لابد من التمييز بين الصادق فيه وبين الدعي الكاذب وبين من سلك في حبه لرسول الله ﷺ مسلكًا صحيحًا وبين من انحرف بمسلك حبه عن الصواب. وقد جرت العادة أن الدعاوى لا تقبل إلاَّ ببينات، فالبينة على من ادعى، ولو يعطى الناس بدعواهم لاختل ميزان الحق والعدل. وطالما استغلت دعوى الحب لله ولرسوله ﷺ أوحب الصالحين لتسويق ألوان من البدع وضروب من الغلو وجعلها مقبولة طالما كان دافعها هذا الحب المزعوم.

واعلموا ـ عباد الله ـ أن حب رسول الله ﷺ مقيد بضوابط تحكمه ومحدد بعلامات تؤكد صدقه، وآثار تظهر على من اتصف به، وهذه العلامات والمظاهر كثيرة لكني سأتكلم عن أظهرها وأبينها.

ومنها طاعة الرسول ﷺ واتباعه إذ أن أقوى شاهد على صدق الحب ـ أيًا كان نوعه ـ هو موافقة المحب لمحبوبه وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة، وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه. فالاتباع دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة، وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح.

وإذا كان الله سبحانه قد جعل اتباع نبيه ﷺ دليلاً على حبه سبحانه. فهو من باب أولى دليل على حب النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٣١).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(١)].

ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: «ليس الشأن أن تُحِب، إنما الشأن أن تُحَب»[(٢)].

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قومٌ أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ٣١).

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) تفسير ابن كثير... دار الفكر ـ بيروت (١/ ٣٥٨).

فتبين من هذا أن الاتباع هو أعظم شاهد على صدق المحبة، بل هو من أجلِّ ثمارها فالصادق في حب النبي ﷺ هو من أطاعه واقتدى به وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه، وظهرت آثار ذلك عليه من موافقته في حب ما يحبه وبغض ما يبغضه.

ويؤكد القاضي عياض على ارتباط هذه المحبة بالموافقة والاتباع فيقول: اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبه وكان مدعيًا، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه وأولها: الاقتداء به واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وإيثار ما شرعه على هوى نفسه وموافقة شهواته، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الحشر: ٩).

وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في تعظيم شأن الاتباع وبيان أهميته، وأن سعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي ﷺ.

ونخلص من هذا إلى أن أقوى مظهر وأوضح شاهد على صدق المحبة لرسول الله ﷺ هو الاتباع، وبدونه تصبح المحبة دعوى مجردة عن الدليل وقولاً لا يصدقه عمل.

ثانيًا ـ تعظيم النبي ﷺ وتوقيره والأدب معه وهو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن حقوقه ﷺ على أمته كما أنه من أهم واجبات الدين.

وهذا التعظيم مثل المحبة من حيث كونه تابعًا للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة.

لذلك كان الصحابة ﷺ أكثر الناس حبًا وتعظيمًا لرسول الله ﷺ لمعايشتهم له وقربهم منه. وتعظيم النبي ﷺ يكون بالقلب واللسان والجوارح.

فالتعظيم بالقلب: هو ما يستلزم اعتقاد كونه رسولاً اصطفاه الله برسالته، وخصه بنبوته، وأعلى قدره، ورفع ذكره، وفضله على سائر الخلق أجمعين، كما يستلزم تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين.

أما التعظيم باللسان: فيكون بالثناء عليه بما هو أهله، مما أثنى به على نفسه، أو أثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير، ويدخل في ذلك الصلاة والسلام عليه، كما يشمل الأدب في الخطاب معه والحديث عنه ﷺ.

وأما التعظيم بالجوارح: فيشمل العمل بطاعته، وتجريد متابعته، وموافقته في حب ما يحبه، وبغض ما يبغضه، والسعي في إظهار دينه، ونصرة شريعته، والذب عنه وصون حرمته.

وعلى ذلك فأساس التعظيم للنبي ﷺ وقاعدته التي ينبني عليها هو تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وعبادة الله بما شرع، فمن فقد هذا الأساس أو أخل به فقد أخل بتعظيمه وتوقيره ﷺ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين والعاقبة للمتقين. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد . . . أما الآثار الباطنة فمن أعظمها أن يجد المؤمن في قلبه حلاوة الإيمان كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».**

فهذا الحديث يبين أثر محبة الله ورسوله في قلب المؤمن وهو أن يجد حلاوة الإيمان في قلبه إذا اتصف بهذه الصفات الثلاث.

يقول ابن تيمية: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئًا أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، . . . فحلاوة الإيمان المتضمن من اللذة به والفرح بما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور وهي تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها.

وتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم.

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله.

ودفع ضدها: «أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار»[1].

وكلما ازداد المؤمن محبة لله ورسوله كلما ازداد ذوقهُ لحلاوة الإيمان، فإن للإيمان من الحلاوة في القلب واللذة والبهجة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه إلاَّ لمن ذاقه، والناس متفاوتون في ذوق الإيمان واللذة به تفاوتًا عظيمًا لا يعلمه إلاَّ الله، والمقصود أن أهل الإيمان يجدون بسبب محبتهم لله ورسوله من حلاوة الإيمان ما يناسب هذه المحبة[2].

وأما عاقبة هذه المحبة فهي أن يكون المرء مع من أحب كما أخبر بذلك نبينا ﷺ كان معه في الجنة بإذن الله، ولو لم يكن لمحبة النبي ﷺ ثواب سوى مرافقته في الجنة والتنعم برؤيته لكفى.

أخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: **متى الساعة يا رسول الله؟، قال: «وماذا أعددت لها؟»، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت»**[3].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/٦٤٨- ٦٥٠).

(٣) «صحيح البخاري» كتاب الأدب (٨/ ٤٩).

وفي رواية: قال: «وماذا أعددت لها؟»، قال: لا شيء، إلاَّ أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: «فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت»». قال أنس: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[1].

وأخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟، فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»[2].

فهذه الأحاديث تبين أن المرء مع من أحب طالما كان هذا الحب سببه محبة الأعمال الصالحة وأهلها، فالمحبة الصحيحة تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم وهو فعل الواجبات وترك المنكرات، وإن لم يبلغ درجتهم في التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ وعلى ذلك دل قول السائل: ما أعددت من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ويقصد بذلك ما زاد على الواجبات من النوافل التي تقبل الكثرة والزيادة أو أن حظه منها قليل جدًا بالمقارنة مع فعل النبي عليه الصلاة والسلام وأكابر الصحابة رضي الله عنهم (في إحدى روايات مسلم: ما أعددت لها من كثير صيام أحمد عليه نفسي)[3].

ويؤكد هذا قول أنس رضي الله عنه: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم».

قال ابن حجر: ... ودل الخبر على اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وإن كان الأصل أنه لا يحصل إلاَّ بامتثال جميع ما أمر به، أنه قد يحصل من طريق التفضل باعتقاد ذلك وإن لم يحصل استيفاء العمل بمقتضاه بل محبة من يعمل ذلك كافية في حصول أصل

---

(١) صحيح البخاري (كتاب فضائل الصحابة) (٥/ ١٤).

(٢) صحيح البخاري.

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٢).

النجاة والكون مع العاملين بذلك، لأن محبتهم إنما هي لأجل طاعتهم، والمحبة من أعمال القلوب، فأثاب الله محبهم على معتقده، إذ النية هي الأصل والعمل تابعٌ لها، وليس من لازم المحبة الاستواء في الدرجات[1].

نخلص من هذا إلى أن من أحب رسول الله ﷺ حُبًا صحيحًا يصدقه الاتباع كان معه في الجنة ـ بإذن الله ـ فضلاً وتكرمًا منه سبحانه، أما مجرد ادعاء الحب بدون تحقيق الاتباع لرسول الله ﷺ فلن يصل صاحبه إلى هذه المعية ما لم يحقق الاتباع.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: ابن آدم لا تغتر بقول من يقول: المرء مع من أحب، إنه من أحب قومًا اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنتهم وتصبح وتمسي وأنت على مناهجهم، حريصًا أن تكون منهم فتسلك سبيلهم، وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصرًا في العمل فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة، أما ترى اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يزعمون أنهم يحبون أنبياءهم وليسوا معهم، لأنهم خالفوهم في القول والعمل، وسلكوا غير طريقهم فصار موردهم النار، نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/٥٨٥).

مظاهر الاتباع لرسول الله ﷺ

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

اما بعد . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن اتباع الرسول ﷺ أمرٌ واجب وفرض عين على الأمة كلها في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهها. ولا يصير المسلم مسلمًا حقًا حتى يتبع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته، واتباع الرسول ﷺ مثل محبته من حيث كونه مقترنًا بشواهد تؤكده ومظاهر عملية تحدده، وبدونها يصير الاتباع دعوى مجردة عن الدليل. ونود أن نُبَيِّنَ بعض مظاهر الاتباع التي إذا تحققت تحقق الاتباع وصدقت المحبة لرسول الله ﷺ، فمن هذه المظاهر:

أولاً - الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به:

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (سورة الأحزاب:٢١).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزَّ وجلَّ، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ (سورة الأحزاب:٢١). أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله والتأسي بالنبي ﷺ هو: أن تفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب وندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين.

فإذا قال الرسول ﷺ قولاً قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصًا به، وإذا عَظَّمَ شيئًا عَظَّمْنَاه، وإذا حَقَّرَ شيئًا حَقَّرْنَاه، وإذا رضي لنا أمرًا رضينا به وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه.

وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ هو تجريد متابعته والتلقي عنه وحده، فكما أن الرب سبحانه واحد فالرسول الذي أمرنا باتباعه واحد فهما توحيدان: توحيد المرسل وهو الله سبحانه وتعالى وتوحيد متابعة الرسول ﷺ.

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وبدون هذا لا يصير المسلم مسلمًا، ذلك هو الاقتداء بالرسول ﷺ وهو المعيار الذي ينبغي أن توزن به

أفعال الناس وأقوالهم وعقائدهم وسائر أمورهم وطريق التأسي به مبني على علم بهديه ﷺ في كافة أمور الدين والعمل به.

وقد وعت دواوين السنة وكتب السير والشمائل كافة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وسجاياه وأخلاقه وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد وحفظت ذلك أتم حفظ.

وقام أولو العلم في كل عصر بتقريب الناس من هذا الهدي النبوي الشريف قيامًا بواجبهم في تبليغ هذا الدين ونصحًا للمسلمين، فما تركوا شيئًا من هديه ﷺ إلاَّ وبينوه أتم بيان، فأبان الله بهم السبيل وقطع بهم المعاذير، فالسعيد من اتبع خطاهم والشقي من تنكب طريقهم وجفاهم.

فعلى كل مسلم يحب الرسول ﷺ أن يتعلم من سنته وهديه ما يدخل به في عداد المقتدين المتبعين للرسول ﷺ.

قال ابن القيم: وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلية به، ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والسبيل العملي للتأسي بالرسول ﷺ هو تطبيق السنة في حياة الفرد والجماعة. وهذا التطبيق يشمل كافة جوانب الدين من اعتقادات وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب ونظم اجتماعية وإدارية وسياسية شرعية.

ومما يعين على تطبيق السنة إحياؤها بنشر العلم الشرعي الموروث عن رسول الله ﷺ.

وهذا واجب على كل من علم من الدين شيئًا أن يبلغه، ويتعين هذا ويتأكد وجوبه في حق أهل العلم وحملة الشريعة، أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٧). فهذه الآية وإن نزلت في حق أهل الكتاب توبيخًا لهم لكتمانهم أمر رسول الله ﷺ ولم يؤمنوا به مع علمهم بأنه هو النبي الخاتم والمبشر به من قبل أنبيائهم، إلاَّ أن فيها تحذيرًا لعلماء هذه الأمة من أن يسلكوا مسالك أهل الكتاب في كتمان العلم فيصيبهم ما أصابهم. فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئًا[١].

كما ورد في السنة الحث على تبليغ العلم في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**[٢].

وأخرج الترمذي بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«نَضَّرَ الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»**[٣].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دَروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلاَّ حديث النبي ﷺ ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعَلَّمَ من لا يعلم؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا»، أورده البخاري في (كتاب العلم)، والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة وكلها تؤكد وجوب تبليغ السنة ونشرها في كل عصر ومصر. ويتحتم هذا الأمر في حالة الجهل بالسنة أو الإعراض عنها وهجرانها؛ كما هو الحال في هذا الزمان الذي عم فيه الهجران للسنة وتعاليم الدين كافة بلاد المسلمين إلاَّ قليلاً ممن هداهم الله ووفقهم للتمسك بالسنة والصبر عليها.

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٣٧).

(٢) البخاري «كتاب أحاديث الأنبياء» (٤/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥/ ٤٣٧)، صحيح الترغيب (٤٨٤).

والسبب في ذلك قلة الاهتمام بالعلم الشرعي، وتقصير أهل العلم في القيام بواجبهم في تبليغ هذا الدين على الوجه المطلوب، هذا مع غلبة التعصب المذهبي والتقليد الأعمى على أكثر الناس، مما جعل بين المسلمين وبين هدي نبيهم جفاءً وبعداً ـ إلاَّ من رحم الله ـ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم، وجعل الخير في من فقه في دين الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد . . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . يجب على كل مسلم يحب الله ورسوله أن يقوم بواجبه في تبليغ هذا الدين حسب علمه واستطاعته، صابرًا في سبيل الله على ما يلاقي في جنب الله من أذى. متأسيًا في ذلك برسول الله ﷺ وصحابته الذي وقفوا حياتهم لتبليغ هذا الدين باذلين في سبيل الله النفس والنفيس، فرضي الله عنهم وعمن سار على نهجهم إلى يوم الدين وهذا هو مظهر الاتباع والحب الحقيقي لرسول الله ﷺ.

قال الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ: «وإذا لزم اتباع رسول الله ﷺ فيما سَنَّ، وكان لزومه فرضًا باقيًا، ولا سبيل إلى اتباع سنته إلاَّ بعد معرفتها ولا سبيل لنا إلى معرفتها إلاَّ بقبول خبر الصادق عنه لزم قبوله ليمكننا متابعته. ولذلك أمر بتعليمها والدعاء إليها، وبالله التوفيق»[1].

ومن مظاهر الاتباع لرسول الله ﷺ تحكيم السنة والتحاكم إليها وذلك مما يؤكد صدق الاتباع لرسول الله ﷺ وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام

(١) (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد) للإمام أبي بكر البيهقي، تصحيح كمال يوسف الحوت، ط «عالم الكتب» بيروت ١٤٠٣هـ (ص: ١٥٤).

فما وافـقها قُبل وما خالفـها رُدَّ وإن قاله من قاله. وقد وردت آيات كثـيرة تؤكد هذا الأمر منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء: ٥٩).

فأمر الله المؤمنين برد قضاياهم وما تنازعوا فـيه إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ وأعلمهم أن ذلك خير لهم في الدنيا وأحسن عاقبـة في الآخرة، وفي الأمر بالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله دلالة صريحـة على أنهما كافيان لفـصل النزاع وتقديم الحل لكل مشكلة تقع بين المسلمين. وإن إيمان المؤمن ليـحمله على الرجوع إلى كتـاب الله وسنة رسوله آنـًا بعد آن لمعرفة حكم الشرع في كل ما يَجِدُّ له من أمور الحياة.

وفائدة هذا الأمـر عظيمـة جدًا، إذ يظل المسلم على جـادة الاتباع لا يحـيد عن الصراط المستقـيم طالما أحسن الرجوع إلى الكتاب والسنة وقد أمر الله بـتحكيم نبيه - في حياته وسنته بعد مماته - في كافة أنواع النزاع للفصل فيها فقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٦٥).

فأقسم سبحانه بذاته على أنه لا يثـبت للمؤمنين الإيمان حتى يحكموا رسول الله ﷺ في موارد النزاع في كـافة الأمور وأن هذا التـحكيم غير كـاف حتى يجتـمع إليه الرضا بحكمه والتسليم لأمره مع انشراح صدورهم وطيب نفوسهم بقضائه وحكمه.

وأصل ذلك أن المسلم متبع لرسول الله ﷺ في كافة أحواله فإذا عُرِضَ له أمر أو تنازع مع أخيـه المسلم في أي شأن من شـئون الدين أو الدنيا فـزع عند ذلك إلى سنة رسول الله ﷺ حتى يجد فيها جوابًا شافيًا كـما كان حال الصحابة معه ﷺ في حياته يفزعون إليه يسـألونه في كافة أمورهم، ويحتكمون إليه فـي شئونهم فإذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلموا به عن طيب نفس ورضا.



وبعد موته عليه الصلاة والسلام كان الصحابة إذا اختلفوا في أمر أو خفي عليهم حكمه تحاكموا إلى من يعلم بالسنة فيما اختلفوا فيه فإذا ثبتت عندهم السنة لم يتجاوزوها إلى غيرها.

وقد جمع الإمام الشافعي جملة من الآثار عن الصحابة ومن بعدهم تؤكد أخذهم بالسنة متى ثبتت واطراح كل رأي يخالفها وإن كان قد جرى عليه العمل[١].

ولنا في صحابة رسول الله ﷺ وسلف هذه الأمة أعظم الأسوة في التمسك بالسنة وتحكيمها في كافة أمورنا.

وتحكيم السنة والتحاكم إليها هو الفارق بين المسلم الحريص على اتباع السنة وبين من يتبع هواه بغير هدى من الله. فمن تحاكم إلى غير الوحي فقد تحاكم إلى الطاغوت، وذلك كحال من يتحاكم إلى أدلة العقول المبنية على المنطق اليوناني وهذا هو شأن الفلاسفة وأهل الكلام، ومثل ذلك من يتحاكم إلى الذوق والوجد أو مشايخ الطريق وهذا هو حال الصوفية.

أو كالشيعة الذين يتحاكمون إلى الأئمة المعصومين بزعمهم، ويلتحق بأولئك من يتحاكمون إلى القوانين الوضعية، أو أي مبدأ من المبادىء الهدامة أو عرف من الأعراف البشرية السائدة أو غير ذلك مما تحتكم إليه الجاهلية قديمًا وحديثًا معرضين بذلك عن الحكم بكتاب الله وسنة رسوله والتحاكم إليهما، وهذا الإعراض والصدود هو حال المنافقين في كل زمان ومكان وإن زعموا أنهم يريدون بذلك إحسانًا وتوفيقًا، أو أنهم يعملون لمصلحة الأمة، وقد نبه الله على صنيعهم وأبان عن سوء حالهم فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (٦٠) وَإِذَا

---

(١) انظر: (الرسالة) ص٤٢٢ وما بعدها.

قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (سورة النساء: ٦٠-٦٣).

قال ابن القيم في (إعلام الموقعين): «... إن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته».

نسأل الله جلَّ وعلا أن يولي أمورنا خيارنا ولا يوليها شرارنا، اللهم أصلح الراعي الرعية اللهم ارزقهم البطانة الصالحة الذين يعينونهم على الخير واجنبهم البطانة السيئة التي تدلهم على الشر، اللهم انصر من نصرك، واخذل من خذلك، اللهم عليك باليهود والنصارى والشيوعيين، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم احفظ المسلمين من كل سوء إنك جواد كريم، اللهم وحد صفوف المسلمين واجمع كلمتهم على الحق والهدى واجنبهم التفرق والضلالة والردى إنَّك على كل شيء قدير.

مظاهر الاتباع لرسول الله ﷺ ووجوب طاعته

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . ما زال حديثنا في مظاهر الاتباع الرسول ﷺ ووجوب طاعته؛ فمن مظاهر طاعة الرسول ﷺ الرضا بحكمه وشرعه وهذا الأمر تابع للرضا بالله ربًا وإلهًا، فمن رضي بالله ربًا، رضي بالرسول الذي أرسله والدين الذي أنزله. فمن حصل له ذلك فهو السعيد حقًا.

أخرج مسلم بسنده عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ذاق طعم الإيمان؛ من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً»**[1].

---

(١) صحيح مسلم.

فإذا رضي المسلم بمحمد ﷺ لم يلتفت إلى غير هديه ولم يعول في سلوكه على غير سنته، وحكَّمَهُ وحاكم إليه، وقبل حكمه وانقاد له وتابعه واتبعه، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه، فسكن قلبه لذلك واطمأنت نفسه وانشرح صدره، ورأى نعمة الله عليه وعلى الخلق بهذا النبي ﷺ وبدينه - أعظم من أي نعمة - ففرح بفضل ربه عليه ورحمته به أن جعله من أتباع خير المرسلين وحزبه المفلحين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (سورة يونس: ٥٧-٥٨).

والرضا كلمة تجمع القبول والانقياد، فلا يكون الرضا إلاَّ حيث يكون التسليم المطلق والانقياد ظاهرًا وباطنًا لما جاء به الرسول ﷺ من ربه. وكل التفات أو عدول عن الوحي إلى غيره أو اعتراض عليه فهو مناقض للرضا ودليل على النفاق ومؤد إلى الكفر والمروق من الدين.

وقد وقعت طوائف من الأمة فيما يعارض الرضا ويناقضه من الاعتراض على ما جاء به الرسول ﷺ من ربه، واتخذ ذلك أشكالاً متعددة:

فمنهم من اعترض على توحيد الألوهية بجنس ما اعترض به المشركون الأولون من محبة الأنبياء والصالحين والتقرب بهم إلى الله زلفى - فلم يرضوا بالتوحيد الخالص حتى شابوه ودنسوه بدنس الشرك.

من اعترض على أسماء الله وصفاته بالشبه الباطلة والظنون الجائرة، فنفوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، وأثبتوا ما نفاه الله ورسوله عنه فتاهوا في الضلال والعمى. ولو أنهم رضوا بما جاءهم به الرسول ﷺ ووقفوا عنده لاهتدوا من الضلالة ولأبصروا بعد العمى ولسعدوا بالهدى.

ومنهم المعترض على الشرع: إما بالآراء والأقيسة الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرمه الله، وتحريم ما أحله، وإسقاط ما أوجبه، وإيجاب ما أسقطه، وإما بالاعتراض على حقائق الإيمان والشرع بالذوق والوجد والكشف ومشائخ الطريق. فحادوا لأجل ذلك عن الصراط المستقيم، وعولوا على أهوائهم وما ألقته إليهم شياطينهم من زخارف القول. فهم على هذا عاكفون، وعن طريق الحق والهدى معرضون وصادون.

ومنهم من اعترض على الشريعة بالسياسات الجائرة والقوانين الوضيعة الخاسرة وألزموا الناس بها كأنها شرع منزل، وتركوا شرع رب العالمين وعَطَّلُوا حدوده وأهملوا شرائعه، وانتهكوا محارمه زاعمين مع ذلك أنهم يريدون إحسانًا وتوفيقًا فوقعوا في الضلال والحيرة وكساهم الله ثوب الصغار والذلة وأذاقهم الله لباس الجوع والخوف والقلة. ولو رضوا بشرع رب العالمين لحصل لهم العز والتمكين.

ومنهم من اعترض على أفعال الله وقضائه وقدره وحكمته وعلمه وهذا اعتراض الجهال، والسبب الذي أخرجهم من الرضا إلى الاعتراض هو تلقيهم واستمدادهم من غير الوحي والتزامهم أصولاً تخالف شرع رب العالمين ولا نجاة من هذا الداء ـ أعني داء الاعتراض ـ إلا بالتسليم المطلق للوحي والإقبال عليه مع اليقين التام بأن فيه الهداية والشفاء.

ومن مظاهر الاتباع لرسول الله ﷺ الوقوف عند الشريعة وهذا الأمر ثمرة للرضا فمن رضي بحكم رسول الله ودينه وشرعه وقف عند حدود شريعته ولم يتجاوزها إلى غيرها، ولا يكون ذلك إلاَّ إذا أيقن المسلم أن الدين قد كَمُلَ فليس بحاجة إلى زيادة ولا نقصان، وأن الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين فلم يترك من أمر الدنيا شيئًا إلا وبلغه. فإذا علم المسلم ذلك وأيقن به وقف عند حد الشريعة ولم يتعدها، والحدود التي أُمرنا بالوقوف عندها وعدم تعديها: هي جملة ما أذن الله في فعله سواء كان على سبيل الوجوب أو الندب أو الإباحة، واعتداؤها: هو تجاوز ذلك إلى ارتكاب ما نهى عنه.

وتعدي الحدود يشمل الإفراط والتفريط ولكن أكثر ما يطلق على الإفراط ومجاوزة الحد، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة البقرة:٢٢٩)، وقال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (سورة الأعراف:٥٥)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (سورة المائدة:٨٧).

وقد أخبر الرسول ﷺ: «بأنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»[1].

أي: أنهم يتجاوزون حدود الطهور بالزيادة فيه والدعاء بالإخلال بشروطه فمن تجاوز حد الشريعة فقد خرج عنها إلى غيرها مما زينه له الشيطان.

كما قال بعض السلف: «ما أمر الله بأمر إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان: إمَّا إلى تفريط وإما إلى مجاوزة ـ وهي الإفراط ـ ولا يبالي بأيهما ظفر زيادة أو نقصان ولأجل هذا أمرنا الله بلزوم الصراط المستقيم، وأن نسأله كل صلاة أن يهدينا إليه. في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (سورة الفاتحة:٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (سورة الأنعام:١٥٣).

ونهى الله عن تعدي الحدود ومجاوزتها، والتقدم بين يدي الله ورسوله حتى لا يزاد في دين الله بالأهواء، وعدم الوقوف عند حدود الشريعة أنتج في الأمة صنوفًا من البدع وضروبًا من الغلو وألوانًا من الخروج على الدين ما كان لها أن توجد لولا مجاوزة هذه الحدود فأصاب الدين وأهله من المبتدعة والغلاة شر كثير.

نخلص من هذا أن الإتباع مرتبط بمظاهر عملية من حققها فقد حقق الاتباع وصدقت محبته لله ورسوله، ومن أخل بها فقد أخل بالاتباع وكان ذلك دليلاً على نقصان المحبة عنده.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٨٦).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على إمام المتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم.

أما بعد . . .

عباد الله . . . نتنقل بكم إلى وجوب طاعة الرسول ﷺ واتباعه. لقد اصطفى الله محمدًا ﷺ بنبوته ورسالته وأنزل عليه الكتاب والحكمة وأمره باتباع ما أوحي إليه وتبليغ ما أنزل إليه فقام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة.

وقد شهد الله له بالصدق والعصمة واستمساكه بما أمره به، كما شهد له بالهدى في نفسه وأنه هادٍ لمن اتبعه، فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ (سورة الشورى: ٥٢-٥٣).

وهذه منزلة رسول الله ﷺ من الدين، فهو المبلغ عن الله دينه ووحيه وهو الآمر بإذن مولاه والهادي إلى الصراط المستقيم، فمن آمن به فبالله آمن، ومن أطاعه فقد أطاع الله، ومن قبل عنه فعن الله قبل.

لأجل هذا أمر الله العباد بطاعته وأوجب عليهم اتباع أمره وتصديق خبره، وحذرهم من مخالفته وعصيانه، وجعل طاعته فرضًا لازمًا لكل من آمن بالله، ولم يجعل لمؤمن اختيارًا في أي أمر بعد قضاء الله ورسوله فيه، وقد استفاضت آيات الكتاب العزيز في بيان أهمية هذا الأمر والتأكيد على وجوبه وفرضيته، منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (سورة محمد: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٢).

وقد أوجب الله على المؤمنين رد قضاياهم وما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، وجعل سبحانه ذلك من مقتضيات الإيمان ولوازمه، وأخبر أن ذلك خير لهم في العاقبة والمآل فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء: ٥٩).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ... ولهذا قال تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أي: خذوا بسنته ﴿ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (سورة النساء: ٥٩) قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي: كتاب الله وسنة رسوله. وهذا أمر من الله عزَّ وجلَّ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (سورة الشورى: ١٠).

فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق. وماذا بعد الحق إلاَّ الضلال. ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر. وقوله: ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع خير، ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ أي: وأحسن عاقبة ومآلا».

وكما أوجب الله على المؤمنين الرد إلى كتابه وسنة رسوله فقد أوجب عليهم تحكيم نبيه ﷺ والتحاكم إليه والتسليم لحكمه وجعل ذلك من مستلزمات الإيمان فقال: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٦٥).

قال ابن القيم: «... قد أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم

التحكيم بمجرده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه ولم يكتف منهم أيضًا بذلك حتى يسلموا تسليمًا وينقادوا انقيادًا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦)، فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالاً مبينًا».

وقد أمرنا الله بأن نتبع رسوله ﷺ ونمتثل أمره ونهيه في كل ما جاءنا به فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر: ٧).

قال ابن كثير: «أي مهما أمركم به فافعلوا، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوا؛ فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر»[١].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى طاعة نبيه طاعة له فقال: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (سورة النساء: ٨٠) ولم يفرق الله سبحانه وتعالى بين طاعته سبحانه وطاعة نبيه ﷺ؛ ولأن ما سنه الرسول ﷺ مما ليس فيه نص كتاب فإنما سنه بأمر الله ووحيه.

قال الإمام الشافعي: «وما سن رسول الله فيما ليس لله في حكم فبحكم الله سنه، وكذلك أخبرنا الله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (سورة الشورى: ٥٢-٥٣).

وقد سن رسول الله ﷺ مع كتاب الله، وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سن فقد ألزمنا الله اتباعه وجعل في اتباعه طاعته وفي العُنُودِ عن اتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقًا، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجًا»[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٣٣٦).

(٢) الرسالة (ص: ٨٨-٨٩) للشافعي.

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ في الدلالة على وجوب طاعته واتباع سنته، فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبى»، قالوا: ومن يأبى؟!، قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».**

والمراد بالإباء هنا: هو الامتناع عن التزام سنة رسول الله ﷺ وعصيان أمره والموصوف بالإباء إن كان كافرًا فلا يدخل الجنة أبدًا، وإن كان مسلمًا مُنِعَ من دخولها مع أول داخل إلاَّ من شاء الله تعالى.

وأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»**[1]. فهذا الحديث يؤكد أن طاعة الرسول ﷺ طاعة لله كما قال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (سورة النساء: ٨٠) وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمر - وهم العلماء والأمراء - ما لم يأمروا بمعصية فإن أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ٧٧).

من دروس الهجـرة

الخطبة الأولى:

الحـمد لله وحـده، لا شيء قبله ولا شـيء بعده، هو الأول والآخـر، والظاهر والباطن، قَـدَّر الليل والنهار، وقَدَّر الـقمر منازل، لتـعلموا عدد السنين والحـساب، أحمده سبحانه وأشكره، وأستـغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الدنيا والآخرة، وإليه المآب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، بعثه للناس كافة بشـيرًا ونذيرًا يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمـهم الكتاب والحكمة، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

عباد الله . . . ها أنتم تزدلفون إلى عام جديد وقد ودعتم عامًا من عمركم مضى بما أودعتمـوه من عمل، فمن أحسن فليحمـد الله وليستزد فخيـر الزاد التقوى، ومن قَصَّرَ فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه، ولا زال في الأجل فسحة وربك يتوب على من تاب.

أيها الأخوة: في مقتبل العام وفي غيره يستعذب الوقوف عند سيرة محمد ﷺ، والتأمل في أحـاديث الهجرة ومواقف الـتحمل ومواطن البـذل والتضحيـات. وقوف

يستثير الهمم، وتأمل يزيد في الإيمان، ويزكي الخلق، ويقوم المسيرة، وقوف ليس سردًا للقصص في المناسبات، أو تأليف صِيَغ، ونظم نعوت عند ورود الذكريات.

وقوف وتأمل يؤكد أن الارتباط بكتاب الله وسنة محمد بن عبد الله ﷺ أقوى وأعمق وأوثق من روابط ملفقة لا تعدو كلمات باللسان، وأحاديث في المناسبات، إنه لا يكتفي بالخفيف من المظاهر والرسوم إلاَّ من أعجزه حمل المسئولية، وأعياه عبء التكاليف. إن الحب رخيص حين يكون زعمًا وكلامًا، ولكنه غالٍ وثقيل حين يكون عملاً وتضحية وإقدامًا ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٣١).

عباد الله . . . إن الهجرة النبوية موقع من مواقع التأمل العظام في هذه المسيرة المحمدية المباركة، وإن لها لخبرًا وإن فيها لعبرًا، ودروس الهجرة تؤكد بكل جلاء ووضوح أن التفريط في العقيدة والتساهل في الدين ومبادىء الملة مآلة هلاك النفوس، وخراب الديار. في عبر الهجرة إذا فُقِدَ الدين فلن يغني من بعده وطن ولا مال ولا أرض.

معاشر الإخوة . . وهذه وقفة عند درس من هذه الدروس إنه درس صحة الانتساب إلى هذا الدين، وصدق الاعتزاز بمبادئه، فلا انتماء إلى غيره، ولا يجوز أن تنافسه رابطة أخرى. إنه انتساب وارتباط لا يخضع لحدود جغرافية ولا تمايزات قومية. ارتباط يتمثل في عبودية وآدمية، عبودية لله الواحد القهار وانتساب إلى الأبوين آدم وحواء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٣)، **«كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»**[(١)]، إنسانية يتعارفون بها، وتقوى يتمايزون بها، تأكد كل هذا في دروس الهجرة أمة واحدة تترقى

---

(١) صحيح الجامع (٤٥٦٨).

فيها العلاقات من الأخوة إلى المحبة إلى الإيثار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الحشر:٩) التبعية العلياء إلى الإسلام وحده تتقاصر دونها الانتماءات الأرضية، والعلاقات القبلية والارتباطات الحزبية ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (سورة التوبة:٧١)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات:١٠)، «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[1]. ولقد ضم مجتمع الهجرة في مجلس محمد رسول الله ﷺ أبا بكر القرشي وسلمان الفارسي وصهيبًا الرومي وبلالاً الحبشي. «**فسلمان منا آل البيت**، ونعم العبد صهيب، وخشخشة نعلي بلال مسموعة في الجنة. قال الشيخ الألباني في لفظة «**سلمان منا آل البيت**»: «صحيحٌ موقوفٌ عن علي بن أبي طالب ﷺ».

ومن رضي بالله ربًا ترفع عن الأغراض الشخصية، ومن قبل الإسلام دينًا لم يرض بغير نهجه بديلاً، ومن آمن بمحمد ﷺ نبيًا رسولاً لم يمش تحت لواء غير لوائه، أو يهتدي بغير سنته.

إن استحقاق أمة الإسلام للعيش الكريم والبقاء على هذه الأرض بعزة وكرامة مرتبط بولائها لربها وعملها من أجل دينها.

وحينما يجيل المتبصر نظره في واقع بعض المنتسبين إلى هذه الأمة وانهزامهم أمام تيارات الإلحاد الوافدة ومبادىء مدنية العصر الزائفة، ونداءاتها الكاذبة، وعوامل وحدتها المصطنعة، ويربط بين هذا وبين الجيل الذي صنعه محمد ﷺ بأمر ربه وبإذنه ـ الجيل الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ـ يدرك كم كان درس الهجرة عظيمًا في جلاء عزة المؤمن وبذله وتضحيته، لقد تنكر أقوامٌ من المنتسبين إلى الإسلام لمبادىء الإسلام، فجَرَوا خلف شعارات وانضووا تحت رايات ما زادتهم إلاَّ تبارًا، وما نالوا منها إلاَّ ذُلاً وصغارًا. اختلفوا في السياسة شيعًا وأحزابًا، وطوائف وألقابًا

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى ﷺ.

فذهبت ريحهم، وضعفت دولتهم، وتمكن الأعداء منهم وضرب بعضهم بعضًا، تنابزوا بالألقاب، وتقاذفوا بالسباب، فدنياهم ذل وخصام، وآخرتهم تبعات جسام. . . بدلوا نعمة الله كفرًا، وأحلوا التنافر والتخاصم محل التكافل والتعاون.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد . . .لعل من أبرز الدروس المستفادة من الهجرة النبوية هو أن صاحب الدين القويم والعقيدة الصحيحة، ينبغي ألاَّ يساوم فيها، أو يحيد عنها، بل إنه يجاهد من أجلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وإنه ليستهين بالشدائد والمصاعب، تعترض طريقه عن يمين وشمال ولكنه في الوقت نفسه لا يصبر على الذل ينالُه ولا يرضى بالخدش يلحق دعوته وعقيدته، ويلوح لنا في حادث الهجرة خاطر آخر يتعلق بالصداقة والصحبة فالإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحيدًا منفردًا بل لابد من الصديق يلاقيه، ويناجيه ويواسيه، يشاركه مسرته ويشاطره مساءته، وقد تجلت هذه الصداقة والصحبة في تلك الرابطة العميقة التي ربطت بين الرسول ﷺ وبين أبي بكر رضي الله عنه.

لقد أصبحت علاقات الكثيرين من الناس في هذا العصر، تقوم لِغَرض لا لِعَرَض، وتنهض على رياء أو نفاق ـ إلاَّ من رحم الله ـ والأمة المسلمة اليوم أحوج ما تكون إلى عصبة أهل الخير، التي تتصادق في الله، وتتناصر على تأييد الحق، وتتعاون على البر والتقوى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الزخرف:٦٧) وخاطر ثالث يتجلى من ذكر هذه الحادثة، وهو أن الله ينصر من ينصره، ويعين من يلجأ إليه ويعتصم به ويلوذ بحماه، ولا يكون ذلك إلاَّ للمؤمن المخلص، الموقن بما عند الله، حين تنقطع به الأسباب، وحين يخذله الناس، وبعض الأغرار الجهلاء يرون مثل ذلك فرارًا وانكسارًا، ولكنه في الحقيقة كان عِزًا من الله وانتصارًا ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (سورة التوبة: ٤٠) وبم نصره الله؟ نصره بأضعف جنده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ (سورة المدثر: ٣١) نصره بنسيج العنكبوت[1]، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ (سورة العنكبوت: ٤١). وخاطر رابع يشير إلى أن الشباب إذا نبتوا في بيئة الصلاح والتقوى نشئوا على العمل الصالح، والسعي الحميد، والتصرف المجيد، والشباب المسلمون إذا رضعوا رحيق التربية الدينية الكريمة، كان لهم في مواطن البطولة والمجد أخبارٌ وذكريات.

فعلي بن أبي طالب ﷺ لم يتردد في أن ينام على فراش الرسول ﷺ، وهو يعلم أن سيوف المشركين تستعد للانقضاض على النائم فوق هذا الفراش، ويتغطى ببردته، في الليلة التي اجتمع فيها شياطين الكفر والغدر، ليفتكوا برسول الله ﷺ، ويا لها من نومة تحيطها المخاوف والأهوال، ولكن ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة يوسف: ٦٤).

أيها المسلمون . . هكذا تعطينا الهجرة اليوم ما يعظنا في حاضرنا، وينفعنا في أولانا وأخرانا، وهناك اليوم في أرجاء المعمورة إخوان لنا مهاجرون مسلمون، أرغموا على ترك ديارهم وأوطانهم، بعد أن فعل بهم الكفرة الأفاعيل، وبعد أن تربصوا بهم الدوائر، وقفوا لدعوة النور في كل مرصد، يقطعون عليها الطريق، ويعذبون أهلها العذاب الشديد، لا لشيء إلاَّ لأنهم قالوا: ربنا الله، فهاجروا كرهًا وأخرجوا كرهًا، فهم يهاجرون من موطن لآخر، إقامة لدين مضطهد، وحق مسلوب في فلسطين وفي البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وإريتريا وغيرها من بلاد المسلمين.

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ وقفوا وقفة المهاجر بنفسه، وإن لم يهاجر بحسه، فلنهاجر إلى الله تعالى بقلوبنا وعقولنا وأعمالنا، ولنلجأ إلى الله ليكون ناصرنا ومؤيدنا ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٠).

---

(١) قصة العنكبوت حسنها الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ، انظر: «زاد المعاد» بتحقيق الأرناؤوط (٣/ ٥٢)، وابن حجر في «الفتح» (٧/ ١٨٤-١٨٥).

من آثار الأخوة في الله وحقوقها

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل رابطة الإيمان أقوى الروابط وأسماها؛ فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠). وجعل المؤمنين على لسان نبيهم محمد ﷺ كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

عباد الله . . . موضوعنا اليوم - بإذن الله - عن: «**آثار الأخوة في الله وحقوقها**».

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[1].

---

(١) رواه مسلم.

أيها المسلمون . . العمل بهذا الحديث من أعظم الأسباب الموصلة للتآلف بين الناس وقلة الشحناء بينهم فالمؤمنون إخوة في النسب أبوهم آدم وأمهم حواء، لا يتفاضلون إلا بالتقوى، وإخوة في الدين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1] .

ولهذا قال ﷺ : «لا تحاسدوا» أي: لا يحسد بعضكم بعضًا، والحسد تمني زوال النعمة عن أخيك المسلم، وهو حرام لأنه اعتراض على الله في نعمته وقسمته، وقال النبي ﷺ : «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر»[2] . قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (سورة النساء: ٥٤). ثم قال ﷺ : «ولا تناجشوا» والنجش: هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ليغر غيره بها، وهو حرام لأنه من أسباب العداوة والبغضاء ومن أسباب أكل المال بالباطل، ولهذا قال بعض العلماء: «الناجش آكل ربا خائن غاش ومن غشنا فليس منا». ثم قال ﷺ : «ولا تباغضوا» أي: لا يبغض بعضكم بعضًا بتعاطي أسباب البغضاء من السب والشتم واللعن والغيبة والنميمة والخمر والميسر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (سورة المائدة: ٩١).

وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، الا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»[3] ، وقال ﷺ : «الا أنبئكم بشراركم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البزار والبيهقي وغيرهما بإسناد جيد.

(٣) رواه مسلم.

الباغون للبرآء العنت»[1]، و(العنت): المشقة، وقال تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١١٤)، والتباغض المذموم هو الذي منشؤه التنافس في الدنيا واتباع الهوى فأما الحب لله والبغض لله فهو أوثق عُرَى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله. وقال ﷺ: «من احب لله، وابغض لله، واعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان»[2]، فيجب عليك أيها المسلم محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصالحين ومحبة ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح لأنك مع من أحببت يوم القيامة، كما يجب عليك بغض الكفر والفسوق والمعاصي وبغض الكفرة والمشركين والعصاة والملحدين قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ⑦ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الحجرات: ٧-٨). وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلاَّ ظلي»[3].

ثم قال ﷺ: «ولا تدابروا» و(التدابر): التهاجر والتقاطع، فإن كلاً من المتقاطعين يولي صاحبه دبره ويعرض عنه ولا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام وفي (الصحيحين) أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»، وفي رواية: «فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»[4]، ثم قال ﷺ: «ولا يبع بعضكم على بيع بعض»[5] ومعنى (البيع على بيع أخيه): أن يقول لمن اشترى سلعة في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله أو

---

(١) قال في «مجمع الزوائد» (٨/٩٣): رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الأرنؤوط.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود والنسائي.

(٥) صحيح: انظر «صحيح الجامع» (٢/١٢٦٨) برقم (٧٦٥٩).

أجود منه بثمنه والنهي للتحريم لما فيه من الإيذاء الموجب للتباغض. ثم قال ﷺ : «**وكونوا عباد الله إخوانًا**»، وفيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضهم على بيع بعض كانوا إخوانًا أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوان ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال، فكونوا عباد الله إخوانًا في المحبة والدين والرفق. ثم قل ﷺ : «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه**»، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الحجرات: ١٠)، وقال النبي ﷺ : «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، **قال: يا رسول الله، انصره مظلومًا كيف انصره ظالمًا؟! قال: «تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه»**[(١)].

وأما احتقار المسلم فهو ناشيء عن الكبر وقد قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، **فقيل له: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»**[(٢)]. و(بطر الحق): دفعه ورده على قائله، و(غمط الناس): احتقارهم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما يحب ربنا ويرضاه، أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلِّ اللَّهم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد . . . قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات:١٣) في هذه الآية بيان بأنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

قال ﷺ: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية. وهي الكبر. وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس لآدم وآدم من تراب، لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا؛ إنما هم فحم من فحم جهنم، وليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرأ بأنفه»(١)، وقال ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يفتخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(٢).

ثم قال ﷺ: «التقوى ههنا» (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) لاشك أن الإيمان أصله في القلب وثمرته على الجوارح فهو قول واعتقاد وعمل وحب وبغض وفعل وترك، وليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني؛ ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، ثم قال ﷺ: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، يعني يكفيه من الشر احتقاره لأخيه المسلم فإنه إنما يحقره لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشر. ثم قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم؛ حرام دمه وماله وعرضه»، وهذا مما كان النبي ﷺ يخطب في المجامع الكبار العظيمة؛ كما قال في حجة الوداع يوم النحر بمنى: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا»(٣)، وقال ﷺ: «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»(٤)، وقال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»(٥)، وعنه ﷺ أنه قال: «أنزلوا الناس منازلهم»(٦).

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) حديث حسن رواه أبو داود.

(٥) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي.

(٦) رواه أبو داود ومسلم تعليقًا وصححه الحاكم والسيوطي.

عِبَادَ اللَّهِ . . . للأخوة في الله حقوق:

ومن حقوقها: المواساة بالمال، فيواسي كل منهما أخاه بماله إن احتاج إليه بحيث يكون دينارهُما ودرهَمُهُما واحدًا لا فرق بينهما فيه، وأن يكون كل منهما عونًا لصاحبه يقضي حاجته ويقدمها على نفسه، يتفقد أحواله كما يتفقد أحوال نفسه، ويؤثرهُ على نفسه وعلى أهله وأولاده يسأل عنه بعد كل ثلاث؛ فإن كان مريضًا عاده، وإن كان مشغولاً أعانه، وإن كان ناسيًا ذَكَّرَهُ، يرحب به إذا دنا، ويوسع له إذا جلس، ويصغي إليه إذا حَدَّث.

ومن حقوق الأخوة في الله: أن يكف عنه لسانه إلا بخير، فلا يذكر له عيبًا في غيبته أو حضوره ولا يستكشف أسراره، ولا يحاول التطلع إلى خبايا نفسه، وإذا رآه في طريقه لحاجة من حاجات نفسه فلا يفاتحه ذكرها، ولا يحاول التعرف إلى مصدرها أو موردها يتطلف في أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، لا يماريه في الكلام ولا يجادله بحق أو بباطل. لا يعاتبه في شيء، ولا يعتب عليه في آخر.

ومن حقوق الأخوة في الله: أن يعطيه من لسانه ما يحبه منه، فيدعوه بأحب الأسماء إليه، ويذكره بالخير في الغَيْبَةِ والحضور، يبلغه ثناء الناس عليه، مظهرًا اغتباطه بذلك، وفرحه به، لا يسترسل في نصحه فيقلقه، ولا ينصحه أمام الناس فيفضحه. كما قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»، وأن يعفو عن زلاته، ويتغاضى عن هفواته، يستر عيوبه، ويحسن به ظنونه. وإن ارتكب معصية سرًا أو علانية فلا يقطع مودته. ولا يهمل أخوته، بل ينتظر توبته وأوبته، فإن أصر فله صرمه وقطعه، أو الإبقاء على أخوته مع إسداء النصيحة، ومواصلة الموعظة رجاء أن يتوب فيتوب الله عليه. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: **«إذا تغير أخوك، وحال عما كان عليه؛ فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يَعْوَجُّ مرة ويستقيم أخرى».**

وأن يفي له في الأخوة فيثبت عليها ويديم عهدها. وإن مات نقل المودة إلى أولاده، ومن والاه من أصدقائه، محافظةً على الأخوة ووفاءً لصاحبها؛ فقد أكرم رسول الله ﷺ عجوزًا دخلت عليه، فقيل له في ذلك، فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن كرم العهد من الدين»[1]. ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه، إذ قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا أطاع صديقُكَ عَدُوَّكَ، فقد اشتركا في عداوتك».

ومن حقوق الأخوة في الله: أن لا يكلفه ما يشق عليه وذلك أصل الأخوة في الله فلا ينبغي أن تُحَوَّلَ إلى غيره من جلب منافع الدنيا، وكما لا يُكَلِّفُهُ لا يجعله يتكلف له إذ كلاهما مخل بالأخوة مؤثر فيها مُنَقِّصٌ من أجرها المقصود منها، وقال بعض الصالحين: من سقطت كُلْفَتُهُ دامت أُلْفَتُهُ، ومن خَفَّتْ مُؤْنَتُهُ دامت مَوَدَّتُهُ.

ومن حقوق الأخوة في الله: أن يدعو له ولأولاده، ومن يتعلق به بخير ما يدعو به لنفسه وأولاده ومن يتعلق به إذ لا فرق بين أحدهما والآخر بحكم الأخوة التي جمعت بينهما فيدعو له حيًا وميتًا وحاضرًا وغائبًا. قال ﷺ: «إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب، قال الملَكُ: ولك مثل ذلك»[2]. وقال أحد الصالحين: إن أهل الرجل إذا مات يُقَسِّمُون ميراثَهُ ويتمتعون بما خَلَّفَ، والأخ الصالح ينفرد بالحزن مُهْتمًا بما قَدِمَ أخوه عليه، وما صار إليه، يدعو له في ظلمة الليل، ويستغفر له وهو تحت أطباق الثرى...

---

(١) رواه الحاكم وصححه «السلسلة الصحيحة» (٢١٦).

(٢) رواه مسلم.

المــوت

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد . . . أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن رحلتنا إلى دار البرزخ ومن دار البرزخ إلى دار القرار والآخرة، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠) هل هناك أظلم من هذا المكان؟ هل هناك أبعد من هذا المكان؟ كلا! الآن تراجع حساباتك ـ الآن تتوب ـ الآن تكف عن المعاصي ـ يا مدبرًا عن المساجد ما عرفت الصلاة، يا معرضًا عن القرآن، يا منتهكًا لحدود الله، يا ناشئًا في معاصي الله، يا مقتحمًا لأسرار حرمها الله، الآن تتوب أين أنت قبل ذلك؟.

عباد الله . . . هل أعددنا لأول ليلة في القبر؟ يا شيخًا كبيرًا انحنى ظهره، ودنا أجله هل أعددت لأول ليلة؟ ويا شابًا غره شبابه وطول أمله هل أعددت لأول ليلة؟.

اعمل لدار غداً رضوان خازنها ❁ الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ❁ والزعفران حشيشٌ نابت فيها

أطالب نفسي وإياكم أن نهيىء لنا نورًا في قبورنا ولا ينير القبور إلاَّ العمل الصالح بعد الإيمان بالله ـ جلَّ وعلا ـ تخيل يا عبد الله لحظة الموت كأن قد نزل بك الموت وشيكًا سريعًا، فتوهم نفسك وقد صرعك الموت وملك الموت واقفٌ على رأسك يصرعك صرعة لا تقوم منها إلاَّ إلى الحشر إلى ربك، فتوهم نفسك في نزع الموت وغصصه وسكراته وغمه وقلقه، قد بدأ ملك الموت يجذب أرواحنا من الأقدام فوجدنا ألم جذب الروح من أسفل القدمين، ثم تدارك الملك الجَذْبَ واستحس النزع وجذبت الروح من الأسفل متصاعدة إلى الأعلى، حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه وبلغت الروح الحلقوم وعمت آلام الموت جميع جسمك وقلبك وقلبك أيضًا وَجلٌ محزون مرتقب تنتظر البشارة أو النتيجة إما بغضب من الله أو رضا، وقد علمت أنه لا محيص لك دون أن تسمع إحدى البشارتين، لا محيص ولا ملجأ ولا منجا إلاَّ أن تسمع إحدى البشارتين من الملك الموكل بقبض الروح ونزعها.

يا ابن آدم:

أنت الذي ولدتك أمك باكيًا ❁ والناس حولك يضحكون سرورًا
فاربأ بنفسك أن تكون إذا بكوا ❁ في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

فبينما أنت في كربك وغمومك وأنت في آلام الموت بسكراته وشدة حزنك لارتقابك وانتظارك البشارة فالذي يقف بين يدي الحاكم مطرقًا رأسه إما يؤمر بعذابه أو يؤمر بتكريمه وتسريحه، بينما أنت تنتظر البشارة من ربك إذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن صورة أو نظرت إلى ملك الموت بأقبح صورة ونظرت إلى الملك وأنت ترى من حولك وأنت في بُعْدٍ وفي شأن آخر منهم تراهم لا ينظرون إلى ما تنظر إليه قد وقفوا على سريرك أو على فراشك في بيتك أو في المستشفى وقوفًا على رأسك

يجثـون على ركبهم ماذا يحل لك وأنت تراهـم وتعلم أنهم لا يرون ما تراه أنت ترى ملك الموت، نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحـسن صورة أو نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأقـبح صورة، ثم مـد الملك يده إلى فمك ليـخرج الروح من بدنك فذلت نفسك وخـارت قواك وضعفت قوتك لما عـاينت ذلك وعاينت وجه ملك الموت وتعلق قلبك بماذا يفجؤك من البشارة إذ سـمعت صوت نغمة جليلة: أبشر يا ولي الله برضا من الله، أبشـر يا ولي الله برضا الله وثوابه. أو تسمع ذلك الملك قبـيح الصورة يقول: أبشـر يا عدو الله بغضب من الله وعـقابه؛ فتـستيـقن حينئذ بنجـاحك وفوزك ويستقر الأمر في قلبك فتطمئن إلى الله نفسك أو تستيقن العطب والهلاك ويحل الفزع قلبك، وتلزم حينئذ غاية الهم والغم أو الفرح والسرور، حين انقضت من الدنيا مدتك وودعت من عمرك أيامك، وانقطع أثرك وحـملت إلى دار من سلف من الأمم قبلك، كل يرى حين موته مقعده من الجنة أو من النار فـهذه ابتسامة الموتى يوم أن نراها تعلو وجوههم، أو قلق وانزعاج المحير حينما يرون ما لا يسرهم.

عبد الله . . . ثم ماذا بعـد ذلك توهم نفسك تخـيل نفسك حين اسـتطار قلبك فرحًـا وسرورًا أو مـلىء حزنًا وعـبرة بِهَـولِ مطلع القبـر وروعة الملكين وسـؤالهـما يسألانك عن إلهك عن إيمانك بربك فمثبت من الله جلَّ ثناؤه بالقول الثابت أو متحير شاك مـخذول، أنت يا من تـسمع في ظلمـة اللحد واللبن أغلق على لحـدك وأهيل التراب حتى ختم باب قبرك، ثم ولَّى الناس مسرعين إلى حوائجهم ينسونك عند آخر خطوة يتجاوزون فـيها باب المقبرة، وإن كـان لك من حبيب أو أخ في الله وقف عند قبرك والناس قد ولوا وتركـوك وحبيبك هذا يقول: اللهم ثبتـه بقولك الثابت، اللهم لقنه حـجـته. فـتـوهم ذلك وأصوات الملائـكة، توهـم صوت المـلكان حين يناديانك فيجلسانك ليـسألانك ليوقفاك على السؤال، توهم كـيف بمجلس في ضيق لحدك وقد سقطت أكـفانك والقطن سـقط من عينيك على ركبـتيك أو قدمـيك، توهم ذلك ثم رَفْعُكَ البصر وشخـوصك ببصرك إلى صورة الملكين وعظم أجسامهمـا، فإن رأيتهما

بحسن الصورة أيقن قلبك بالفوز والنجاة، وإن رأيت ملكين قبيحين تيقنت الهلاك والعطب، توهم أصوات الملكين وكلامهما، وتخيل سؤالهما ثم بعد ذلك هو تثبيت الله لك إن ثبتك أو خذلك، توهم جوابك يوم يسألانك، توهم جوابك باليقين أو بالحيرة والشك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

عباد الله . . . قال ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلاً لذلك، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به» أهـ. ومن الأحاديث الواردة في ذلك: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً في الجنة».**

قال رسول الله ﷺ: **«فيراهما كلاهما»**، أو قال: **«جميعًا»**. قال قتادة: فذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرًا إلى يوم القيامة، ثم رجع إلى حديث أنس، قال: **«وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة سمعها من يليه غير الثقلين»**[1].

---

(١) صحيح البخاري (١٣٧٤).

أيها الأحبة . . هذا الوداع هذا الفراغ هذه الغربة حيث لا أنيس ولا جليس ولا حسيب سوى العمل الصالح، إنها غربة ليست غربة الأوطان ولكنها غربة الأبدان في الظلمات وغربة الأسماء بين الدود والتراب هذه هي الغربة:

ليس الغريب غريب الشام واليمن ❊ إن الغريب غريب اللحد والكفن
سفري بعيدٌ وزادي لن يبلغني ❊ وقسمتي لم تزل والموت يطلبني
تمر ساعات أيامي بلا ندمٍ ❊ ولا بكاءٍ ولا خوفٍ ولا حزن
ما أحلم الله عني حيث أمهلني ❊ وقد تماديت في ذنبي ويسترني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً ❊ على المعاصي وعين الله تنظرني
يا زلة كتبت يا غفلة ذهبت ❊ يا حسرة بقيت في القلب تحرقني
دعني أنوح على نفسي واندبها ❊ واقطع الدهر بالتذكار والحزن
دعني أسح دموعًا لا قياس لها ❊ فهل عسى عبرة منها تخلصني

يقصد بذلك أن من بكى من خشية الله ممن يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلاَّ ظله عزَّ وجلَّ.

كأنني بين تلك الأهل منطرح ❊ على الفراش وأيديهم تقلبني
وقد أتوا بطبيب كي يعالجني ❊ ولم أر من طبيب اليوم ينفعني
واشتد نزعي وصار الموت يجذبها ❊ من كل عرق بلا رفق ولا هون
وأخرج الروح مني في تغرغرها ❊ وصار في الحلق مُرًا حين غرغرني

عبد الله . . . ماذا فعلت حتى تخرج نفسك من النار؟ ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥)، ماذا فعلنا حتى نخرج أنفسنا من سجن اللحود إلى روضات الجنان؟، ماذا قدمنا يا عباد الله؟، ليراجع كل منا حسابه مع نفسه قبل فوات الأوان وقبل ساعة الندم حيث لا ينفع الندم.

النتائج والآثار السيئة التي تحدثها الذنوب والمعاصي

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي يقبل توبة التائبين الصادقين، ويغفر زلات العاصين النادمين، غافر الذنب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

عباد الله . . . في هذا اليوم ـ بإذن الله ـ سنتحدث عن النتائج والآثار السيئة التي تحدثها الذنوب والمعاصي فمن ذلك يا عباد الله حرمان العلم فإن العلم نورٌ يقذفه الله في القلب والمعصية تطفىء ذلك النور قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (سورة البقرة:٢٨٢). وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ❁ فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ❁ ونور الله لا يُهدى لعاصي

ومن الآثار السيئة للذنوب والمعاصي: حرمان الرزق، وفي المسند: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1].

---

(١) أحمد (٦/ ٧٠)، وانظر «الصحيحة» (١٥٤).

ومن آثار الذنوب: وحشة يجدها العاصي في قلبه لا يوازيها ولا يقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تفت بتلك الوحشة، وهذا أمرٌ لا يحس به إلاَّ من في قلبه حياة.

ومـــا لجـــرح بمـيـت إيـــلام

ومن آثار الذنوب: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ـ لاسيما أهل الخير منهم ـ وتقوى هذه الوحشة تتزايد حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشًا من نفسه، وقال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

ومنها: تعسير أموره وعدم اهتدائه إلى الطريق الأقوم.

ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم.

ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن، وتحرم الإنسان من الطاعة وتقصر العمر، وتمحق بركته ويذهب هباء منثورًا.

ومنها: أن المعاصي تزرع أمثالَها ويُوَلِّدُ بعضها بعضًا حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

ومنها: وهو من أخوفها على العبد: أنها تضعف القلب عن إرادته فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية.

ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامُهُم فيه.

ومنها: أن كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله عزَّ وجلَّ كالعلو في الأرض والفساد فيها فإنه ميراث من فرعون وقومه . . وهكذا.

ومنها: أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه.

قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ (سورة الحج:١٨)، وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفًا من شرهم فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه.

ومنها: أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك.

ومنها: أن غَيْرَهُ من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنبه، فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم.

ومنها: أن المعصية تورث الذل، فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (سورة فاطر:١٠). أي: بطاعة الله تعالى فإنه لا يجدها إلاَّ في طاعته، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تُذلِّني بمعصيتك.

قال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهَمْلَجَتْ بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم أبى الله إلاَّ أن يذل من عصاه.

ومنها أن المعاصي تفسد العقل فإن للعقل نوراً والمعصية تطفىء نور العقل كما أن الذنوب إذا تكاثرت طُبِعَ على قلب صاحبها فكان من الغافلين.

كما قال بعض السلف في قوله تعالى في سورة المطففين: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين:١٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، ودليل الحائرين، من أطاعه أعانه، ومن عصاه أخزاه وأهانه، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره، ونؤمن به ولا نكفره، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل

فلن تجد له وليًا مرشدا، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد . . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . من آثار الذنوب والمعاصي حرمان دعوة الرسول ﷺ ودعوة الملائكة، فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ ﴾ (سورة غافر: ٧-٩).

ومن آثار الذنوب: ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه، وفي (الصحيح) عنه ﷺ أنه قال: «**الحياء كله خير**»[(١)]، وقال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**».

ومنها: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جلَّ جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ـ ولابد شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه.

ومنها: أنها تستدعي نسيانُ الله لعبده، وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهنالك الهلاك الذي لا يُرْجَى معه نجاة، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة الحشر: ١٨-١٩).

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٦١) كتاب الإيمان.

ومن آثار الذنوب والمعاصي: أنها تُزيل النِّعَم وتُحِلُّ النِّقَم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب الذنب، ولا حَلت به نقمة إلاَّ بذنب، ولا رُفع بلاء إلاَّ بتوبة، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (سورة الشورى: ٣٠).

والذنوب والمعاصي ـ يا عباد الله ـ تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه فلا يزال مريضًا معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها ولا دواء لها إلاَّ تركها.

وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير دواءها ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها، وهواها مَرَضُها.

وكما أن من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، كذلك يكون قلبه في هذه الدار في جنة عالية، لا يشبه نعيم أهلُها البتة، بل التفاوت بين النعيمين كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة، وهذا لا يصدق به إلاَّ من باشر قلبه هذا، ولا تحسب أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (سورة الانفطار: ١٣-١٤). مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك ـ أعني: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ـ، هؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلاَّ نعيم القلب، وهل العذاب إلاَّ عذاب القلب، وأي عذاب أشر من الخوف والهم والحَزَن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله؟ بكل واد منه شعبة وكل شيء تعلق وأحبه من دون الله فإنه يسومهُ سوء العذاب.

النفـاق

الخطبة الأولى:

الحمـد لله رب العالمين، باعـث الخلق أجمـعين، وكـاشف أسـرار المتلبسين من المنافقين، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، عالم السر وأخفى، المطلع على كل نجوى، نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . .

عباد الله . . . حديثنا اليوم عن النفاق والمنافقين، غير قادرين على بسط القول في ذلك الموضـوع ولكننا سنأخذ ـ بإذن الله ـ مـا ييسـره الله لنا، سائلين الله عـزَّ وجلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجيـرنا وإياكم والمسلمين من النفاق، إنه على كل شيء قدير نعم المولى ونعم النصير.

النِّفَاق: هو أمرٌ خَفِيٌّ على الناس، وكثيـرًا ما يخفى على من تلبس به فيزعم أنه مصلحٌ وهو مـفسدٌ. وهو نوعـان أكبر وأصـغر. فالأكبـر يوجب الخلود في النار في دركهـا الأسفل، وهو أن يظهر للمـسلمين إيمانه بالله وملائكتـه وكتبـه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كله مكذبٌ به، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام

أنزله على بشر جعله رسـولاً للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عـقابه وقد هتك الله أستار المنافقين، وكشف أسـرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منهـا ومن أهلها علـى حذر. وذكـر طوائف العالـم الثلاث في أول سـورة البقـرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين.

فـذكر في المؤمنين أربع آيات وفي الكـفار آيتين، وفي المنافـقين ثلاث عشـرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فـتنتهم على الإسلام وأهله فإن بلية الإسلام بهم شديدة جـداً لأنهم منسوبون إلـيه وإلى نصرته ومـوالاته، وهم أعداؤه في الحـقيـقة يخـرجون عـداوته في كل قـالب، يظن الجـاهل أنه علم وصـلاح وهو غاية الجـهل والإفسـاد فللَّه كم من معـقل للإسلام هدمـوه وكم من حصن له قـد قلعوا أسـاسه وخربوه وكم من عَلَم له قد طمسوه! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه.

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطـرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمـون أنهم بذلك مصلحون ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٢)، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة الصف: ٨). لم يقبـلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله، ولم يرفـعوا به رأسًـا، خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحـقيقة وشنوا عليـها غارات التأويلات البـاطلة، يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه ويشهد الله على ما في قلبه من كذبه فتراه عند الحق نائمًا، وفي الباطل على الإقدام؛ فخذ وصفهم من قول القدوس السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٤)، أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد، ونواهيهم عمـا فيه صـلاحهم في المعـاش والمعاد. وأحدهم تلقـاه من جمـاعة أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٥).

إن حاكمتهم إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ رأيتهم عنه معرضين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (سورة النساء: ٦١). فكيف إذا حشروا إلى جسر جهنم؟ وهو أدق من الشعرة وأحد من الحسام، وهو دحض مزلة، مظلم لا يقطعه أحد إلاَّ بنور يبصر به مواطىء الأقدام، فقسمت بين الناس الأنوار، وهم على قدر تفاوتها في المرور والذهاب، وأُعطوا نوراً ظاهراً مع أهل الإسلام كما كانوا بينهم في هذه الدار يأتون بالصلاة والزكاة والحج والصيام، فلما توسطوا الجسر عصفت على أنوارهم أهوية النفاق فاطفأت ما بأيديهم من المصابيح فوقفوا حيارى لا يستطيعون المرور فَضُرِبَ بينهم وبين أهل الإيمان بسور له باب، ولكن فكل قد حِيْلَ بين القوم وبين المفاتيح، باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة وما يليهم من قبلهم فيه العذاب والنقمة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على عظيم نعمه وجزيل عطاياه، نحمده حمد الشاكرين ونصلي ونسلم على نبيه محمد ﷺ وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اما بعد . . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . سمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم أهلك المنافقين. فقال: يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالكين. تاللَّه لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين لعلمهم بدقه وجلِّه وتفاصيله وجمله ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين.

قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: «**يا حذيفة نشدتك الله، هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحداً**»، وقال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل (ذكره البخاري)، وذكر عن الحسن البصري: ما أمنه إلاَّ منافق وما

خافهُ إلا مؤمن، ولقد ذكر عن بعض الصحابة: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق»، قِيلَ: وما خشوع النفاق؟ قال: «أن يرى البدن خاشعًا والقلب ليس بخاشع»، تاللَّه لقد ملئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق شديد وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرَهم وهم يَدَّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل.

زرع النِّفاق ينبت على ساقين: ساقية الكذب وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين عين ضعف البصيرة وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربعة استحكم نبات النفاق وبنيانه. ومن أمارات أهل النفاق أنهم إذا عاهدوا لم يفوا وإن وعدوا أخلفوا وإن قالوا لم ينصفوا وإن دعوا إلى الطاعة وقفوا، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدفوا، وإذا دعتهم أهواؤهم إلى أغراضهم أسرعوا إليها وانصرفوا، فذرهم وما اختاروا لأنفسهم من الهوان والخزي والخسران، فلا تثق بعهودهم، ولا تطمئن إلى وعودهم فإنهم فيها كاذبون وهم لما سواها مخالفون فاستمع لقول الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٧٥-٧٧).

وسائل الإعلام

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي بين لعباده أحكام الحلال والحرام، والصلاة والسلام على من وضح للناس طرائق الهدى والضلال، وعلى آله وأصحابه والتابعين ممن التزموا حدود الله واجتنبوا محارم الإسلام، وامتثلوا أوامر الشريعة، وعلى من اهتدى بهديهم وسار على نهجهم ومنوالهم إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

أما بعد . . . حديثنا اليوم ـ بإذن الله ـ عن أجهزة الإعلام وخاصة المرئية منها كالتلفزيون والدش «أي البث المباشر» ومما لاشك فيه يا عباد الله أن هذه الوسائل الإعلامية الحديثة هي من أرقى ما وصل إليه العلم في العصر الحاضر ـ بل من أعظم ما أنتجته الحضارة المادية في القرن العشرين ـ وإنه لسلاح ذو حدين يستعمل للخير ويستعمل للشر، ولا يختلف اثنان أن هذه الوسائل المذكورة إن استخدمت في الخير وتثبيت العقيدة الإسلامية وتدعيم الأخلاق الفاضلة، وربط الجيل المسلم بأمجاده وتاريخه، وتوجيه الأمة إلى ما يصلحها في أمور دينها ودنياها، وتربية الأبناء إلى ما يقودهم نحو العز والمجد، لا يختلف اثنان في جواز استعمالها والاستفادة منها واقتنائها والاستماع لها، أما إذا استعملت لأجل ترسيخ الفساد والانحراف ونشر

الميوعة والانحلال، وتحويل الجيل الحاضر من صغار وكبار وشباب وشابات إلى مبادىء غير إسلامية وتوجيهات غير إسلامية، فلا يشك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر بإثم اقتنائها وحرمة استعمالها ووزر من ينظر أو يستمع إليها وذلك لأن التحكم الإداري في اختيار المفيد النافع من البرامج التلفزيونية هو أمر يشبه المستحيل بل المتعذر تحقيقُهُ في عالم الواقع.

فمن أضرار التلفزيون الصحية: إضعاف البصر، وتعويد من هو مغرم به على السهر.

ومن أضراره النفسية: تعلق القلب عند الكثيرين من المشاهدين بالممثلات والراقصات والمغنيات الماجنات والسفر إليهن لفعل الفاحشة ـ والعياذ بالله ـ كما حدث هذا بالفعل.

ومن أضراره التعليمية: إشغال الطلاب عن واجباتهم المدرسية وتكوينهم الثقافي القويم، وقد تبين عند المربين في البيوت أن المشاهدين للتلفزيون أكثر فشلاً من غيرهم في الدراسة لانشغالهم بذلك الجهاز.

ومن أضراره المالية: إتلاف المال في شرائه والأسرة بأمسِّ الحاجة إلى تأمين حاجاتها الضرورية.

ومن أضراره الاجتماعية: ما يترتب من الاجتماع عليه من علاقات مشبوهة، وحوادث خلقية، ومفاسد عائلية يعاني منها من يقضي أكثر وقته في النظر إليه والسهر عليه.

ومن ذلك أن أكثر المشاهدين لتلك الأجهزة لا يصلون الفجر في جماعة، وربما منهم من لا يصلي إلاَّ بعد شروق الشمس.

وأما تأثيره على النساء فحدث ولا حرج من ذلك أن المرأة تهمل بيتها بسببه من تنظيف وكنس، وكذلك أبناءها تهملهم لأن أكثر وقتها عند شاشة التلفزيون، وكذلك طبخ الطعام فهي تحاول أن يشتري لها زوجها أكثر المأكولات من الأسواق لتتابع المسرحيات والتمثيليات.

ومن أضرار هذه الأجهزة أن المرأة تفتن بمشاهدة الممثلين، وكذلك الرجال يفتنون بمشاهدة الممثلات، نسأل الله العافية والسلامة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين، الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير، والحمد لله الذي يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية، وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد . . .

عباد الله . . . اعلموا - وفقني الله وإياكم - أن مقاصد الشريعة عند الفقهاء خمسة: حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وحفظ النفس، وقالوا: إن كل ما جاء في الشريعة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وقواعد أصولية تهدف إلى حفظ هذه الكليات الخمس، باعتبار أن أكثر برامج التلفزيون الحالية من أغاني ماجنة وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة وأفلام فاسدة تستهدف إهدار الشرف وضياع العرض، وشيوع الزِّنا والفاحشة، فإنه يحرم النظر إليها والاستماع لها للحفاظ على النسب والعرض وقد حرم الإسلام كل ما يضر بالفرد والمجتمع والأخلاق بلفظ بليغ موجز فقد روى مالك وابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح: **«لا ضرر ولا ضرار»**[(١)].

عباد الله . . . اسمعوا ما يكيده الأعداء ضدكم ليخرجوكم من دينكم لقد جاء في بروتوكولات اليهود:

يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فَتَسْهُل سيطرتنا إن «فرويد منا سيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس حتى لا يبقى في نظر الشباب شيءٌ مقدس

(١) «الصحيحة» (٢٥٠)، «الإرواء» (٨٩٦)، «صحيح الجامع» (٧٥١٧).

ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق»، ويقول أحد أقطاب المستعمرين الكبار: «كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع فأغرقوها في حب المادة والشهوات». ولما قيل لكارل ماركس مؤسس الشيوعية الأول :ما هو البديل عن عقيدة الألوهية؟ قال: «البديل المسرح، اشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح» وقد فاز أعداء الله في كل مكان إلاَّ ما شاء الله.

عِبَادَ اللهِ . . . أما بالنسبة للدش وهو الصحن الهوائي الذي ينقل القنوات الخارجية الكافرة وغيرها والذي يعرض فيه أفلام خليعة يظهر فيها التقبيل واضحًا والرقص الشبه عاري والكلام الساقط والبرامج التي تدعو إلى التنصير فهل يجوز اقتناء مثل هذه الأجهزة، والدعاية لها، والتجارة فيها، وتأجير المحلات لهم ـ مع أن البعض يدعي أنه يشتريها لغرض مشاهدة الأخبار العالمية ـ؟ وقد أجاب على ذلك سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء قائلاً: «لقد كثر السؤال عن هذه الآلة التي تلتقط موجات محطات التلفزيون الخارجي وتسمى الدش، ولاشك أن الدول الكافرة لا تألو جهدًا في إلحاق الضرر بالمسلمين عقيدة وعبادة وخلقًا وآدابًا وأمنًا وإذا كان كذلك فلا يبعد أن تبث من هذه المحطات ما يحقق لها مرادها، وإن كانت قد تدس ضمن ذلك ما يكون مفيدًا من أجل التلبيس والترويج لأن النفوس لا تقبل بمقتضى الفطرة ما كان ضررًا محضًا ولكن المؤمن فطن عَلَّمَهُ الله تعالى كيف يقارن بين المصالح والمفاسد وبين النافع والضار وعنده من القوة والشجاعة ما يستطيع به التخلص من أوضاع هذه المفاسد، وإذا كان أمر هذه الدشوش ما ذكر في السؤال فإنه لا يجوز اقتناؤها ولا الدعاية لها ولا بيعها ولا شراؤها؛ لأن هذا من التعاون على الإثم والعدوان المنهي عنهما بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة: ٢)، نسأل الله تعالى أن يهدينا وإخواننا إلى صراطه المستقيم وأن يجنبنا صراط أصحاب الجحيم إنه على كل شيء قدير». انتهى كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ.

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

عباد الله . . . كل منا يبحث عن السعادة، والكثيرون يعتقدون أنها في جمع الأموال أو في كثرة الأولاد أو في العقارات والسيارات أو في الجاه أو في السلطة وغير ذلك كثير. وفي هذا اليوم ـ بإذن الله ـ سنتحدث عن الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، فهلموا بنا إلى بيان صلاح القلوب وصفائها. ومن ذلك أن أول وسيلة للحياة السعيدة الإيمان الصادق والعمل الصالح الخالص الموافق للسنة قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل:٩٧) فوعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

فالمؤمن الصادق إن أصابه ما يحب شكر الله، وإن أصابه ما يكره صبر واحتسب الأجر من الله، فحياته كلها حياة خير وسعادة كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:

«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[١]، والخير الحاصل للشاكرين: هو الثواب والزيادة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (سورة إبراهيم: ٧).

والخير الحاصل للصابرين: هو المثوبة والأجر وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورحمة الله لهم كما قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة الزمر: ١٠).

والحياة الطيبة هي راحة القلب وطمأنينة النفس والرزق الحلال والقناعة برزق الله وإدراك لذة العبادة وحلاوة الإيمان، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«قد أفلح من أسلم، ورُزِقَ كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»**[٢]، وفي رواية: **«قد أفلح من هُدِيَ للإسلام، وكان عيشه كفافًا وقنع به»**[٣]، وقال ﷺ: **«إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يُعْطَى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرًا»**[٤].

ومن الأسباب التي تزيل الهم والقلق: الإحسان إلى الناس بالقول والفعل والمال والجاه وأنواع المعروف إذا كان صادرًا عن إخلاص لله واحتساب لثوابه كما قال تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١١٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).
(٢) رواه مسلم (١٢٥).
(٣) «صحيح الجامع» (١١٣٨).
(٤) رواه مسلم (٥٦).

ومن جملة الأجر العظيم زوال الغم والهم والأكدار علاوة على الثواب الأخروي العظيم الدائم. ومن أسباب دفع القلق الناشىء عن توتر الأعصاب واشتغال القلب ببعض المكدرات الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة. وربما نسي بسبب ذلك الأسباب التي أوجبت زوال الهم والغم ففرحت نفسه وازداد نشاطه، ومما يدفع الهم والقلق اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل وعن الحزن على الوقت الماضي؛ ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها والهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل.

فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا ويسأل الله النجاح لمقصوده ويستعين على ذلك كما قال ﷺ في (الصحيح): **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قَدَّرَ الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»**[1]، ومن أهم الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينة النفس الإكثار من ذكر الله تعالى فإن لذلك تأثيراً عجيبًا في انشراح الصدر وطمأنينته وزوال همه وغمه، قال تعالى: ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ (سورة الرعد:٢٨). فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب، وهو يطرد الشيطان الوسواس الخناس.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد . . . ومن الوسائل المفيدة للحياة السعيدة التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ (سورة الضحى:١١)؛ فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الله به الهم والغم ويحث العبد على الشكر ويعينه على الصبر لما يرجوه من الأجر، والتحدث بنعمة الله شكر والشكر مقرون بالمزيد.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم «باب القدر» (٣٤).

ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد الله إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح حيث قال: **«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»**[(١)] .

ومن الأسباب الموجبة للسرور: نسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكن ردها، وكذلك يجاهد قلبه عن التفكير في المستقبل وعن قلقه لما يستقبله مما يتوهمه من فقر أو خوف، ومن أنفع ما يكون كذلك الأدعية التي كان الرسول ﷺ يرددها بقلب حاضر وثقة صادقة مع اجتهاد فيما يحقق ذلك، وبذلك يحقق الله ما رجاه وينقلب همه فرحًا وسرورًا، ومن يتوكل على الله في جلب المنافع ودفع المضار فهو كافيه جميع ما أهمه في أمور دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (سورة الطلاق: ٣)، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: **«انا عند ظن عبدي بي، وانا معه إذا ذكرني»**[(٢)] .

ومن الوسائل المفيدة للحياة السعيدة: معاملة الزوجة معاملة حسنة؛ فإنك إن كرهت فيها خلقًا رضيت فيها غيره كما ثبت عن الصادق المصدوق، وكذلك معاملة كل من بينك وبينه علاقة واتصال بالإحسان إليه، وينبغي أن توطن نفسك على أنه لابد وأن يكون فيه عيب أو نقص وبالإغضاء عن المساويء وملاحظة المحاسن تدوم الصحبة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك الطمأنينة.

وعليك بمقابلة الإساءة بالإحسان مع البعداء فكيف بالأقرباء، وأن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك؛ وبذلك ينقلب العدو صديقًا والبعيد قريبًا، ومن الأمور النافعة أن تعرف أن أذية الناس لك

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٦٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٧٥)، «الصحيحة» (١٠١١).

وخصوصًا في الأقوال السيئة لا تضرك بل تضرهم إلاَّ إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها فعنـد ذلك تضرك كما ضرتهم، فـإن أنت لم تصغ لها لم تضرك شـيئًا واعلم أن حياتك تبعٌ لأفكارك، فإن كانت أفكارًا فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا فحياتك طيبة وسعيدة وإلا فالأمر بالعكس، ومن أنفع الأمور لطرد الهم أن توطن نفسك على أن لا تطلب الشكر إلاَّ من الله فإن أحسنت إلى من له عليك حق أو من ليس له حق فاعلم أن هذا معاملة منك مع الله فلا تبالي بشكر من أنعمت عليه كما قال تعالى في حق خـواص خلقـه: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ (سورة الإنسان: ٩). ويتأكد هذا في معاملة الأهل والأولاد ومن قوي اتصالك بهم فمتى وطنت نفسك على إلقاء الشر عنهم فقد أرحت واسترحت. وبالله التوفيق.

وسائل توفير الأمن

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، جعل تحقيق الأمن مقرونًا بالإيمان الخالص من الشرك والطغيان، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام:٨٢)، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . أيها الناس اتقوا الله تعالى تأمنوا بتقواه من جميع المخاوف.

عِبَادَ اللَّهِ . . . إن الأمن مطلب نبيل تهدف إليه المجتمعات البشرية وتتسابق لتحقيقه السلطات الدولية، بكل إمكانياتها الفكرية والمادية، والأمن ضد الخوف وهو سكون القلب وذهاب الروع والرعب، والبلد الآمن والأمين هو الذي اطمأن به أهله، وطلب الأمن مقدم على طلب الغذاء، لأن الخائف لا يتلذذ ولا يهنأ بالنوم ولا يطمئن في مكان، ولهذا لما دعا خليل الله إبراهيم ﷺ لمكة المشرفة قال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ (سورة البقرة:١٢٦)، فدعا بتوفير الأمن قبل توفير الرزق. فالأمن مطلب ضروري لكل البشر، ولكن ما هي وسائل توفير الأمن؟.

هل يتوفـر الأمن بالبطش والجبـروت والاستبـداد من الولاة؟ أم يتوفر بالتـساهل والتسـامح من المجرمين والمفسـدين إلى حد الفوضى؟ أم يتـوفر باستـعمال الأجـهزة الدقيقة والأسلحة الفـتاكة وما توفر بالمخترعات الحديثـة من إمكانيات؟ أم يتوفر الأمن بقـوة الحصون والأبـواب والحراس؟ لقد فـشلت كل هذه الوسـائل وأفلست كل نظم الأرض وحيل البشر فلم تستطع توفير الأمن. وأدل دليل على ذلك واقع الدول الراقية التي تملك كل عناصر القوة المادية ومـا تعانيه من الفوضى وانتشار الخـوف في ربوعها وتسلط المجرمين على شعوبها حتى أن من يسافر إليهم لا يأمن على نفسه ولا يستطيع أن يحمل معه شيئًا من النقود الضرورية إلا وهو خائف أشد الخوف ومتوقع للغدر في كل لحظة، إذًا فما هي الأسـباب الصحيحة لتوفـير الأمن للمجتمعـات بعدما جربت البشرية كل النظم.

إن أسبـاب الأمن تتوفر في شيء واحد هو ديـن الإسلام الذي اختاره الله للبـشرية جميعًا إلى يوم القيامة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٠)، وقال عنه جلَّ وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة: ٣)، وقال عن نبـيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧) وخير شاهد على ذلك حالة العرب خـاصة والعالم عامة قبل مـجيء هذا الدين فقد كانوا في جـاهلية جـهـلاء، وضلالـة عمـياء، وكـانت جـزيرة العـرب بالذات مسـرحًـا للفتن والاضطرابات والنهب والسلب والحروب، فـلما جاء هذا الدين ودخلوا فيـه تحولوا إلى مجتمع مثالي يسوده الأمن ويحكمه الوحي وتوجهه العقيدة السليمة، تحولت فيه العداوة إلى محبـة والقطيعة إلى أخوة والشح والأَثَرَةُ إلى إيثار ومـواساة كما قال تعـالى مذكرًا عبادهُ هذه النعمة: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٢٦). هذا شاهد من الماضي على توفر الأمن في هذا الدين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ومنة على المؤمنين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

عِبَادَ اللَّهِ . . . اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن أهم مقومات الأمن في هذا الدين هو الإيمان بالله ومراقبته والشعور بأنه مطلع على عبده في السر والعلن. وأنه يجازي عباده على تصرفاتهم فكلما هم عبدٌ بمواقعة جريمة تَذَكَّر ذلك فانكف عنها خوفًا من الله تعالى، ومن مقومات الأمن في الإسلام إصلاح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه وذلك مما يجعل المسلمين إخوة متحابين في الله لا يعتدي بعضهم على بعض، ويتضمن هذين العنصرين الهامين من مقومات الأمن قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (سورة النور: ٥٥) فبالإيمان والعمل الصالح يكون الاستخلاف في الأرض واشتراط ذلك بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

ومن مقومات الأمن في الإسلام: إقامة الصلاة: فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإيتاء الزكاة لأن الزكاة مواساة للفقراء والمحتاجين تزرع المحبة في القلوب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن في ذلك أخذٌ على يد السفيه ومنعًا له من ملابسة الإجرام ويتضمن هذه العناصر قول الله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (سورة الحج: ٤٠-٤١).

ومن مقومات الأمن في الإسلام: شكر النعم: التي ينعم الله بها على الأفراد والجماعات بالاستعانة بها على طاعة الله وصرفها فيما يفيد. لأن كفر النعم سبب لحلول ضدها من الخوف والجوع، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل: ١١٢).

ومن مقومات الأمن في الإسلام: إقامة الحدود التي شرعها الله ردعًا للمجرمين الذين ضعف إيمانهم ولم ينفع فيهم الوعظ والتذكير والأمر والنهي فهؤلاء شرع الله لهم عقوبات تردعهم عن غيهم وتزجر غيرهم أن يفعل مثل فعلهم... فشرع الله قتل القاتل، وقطع يد السارق، وقطع الأيدي والأرجل أو القتل والصلب لقطاع الطرق، ورجم الزاني المحصن وجلد الزاني غير المُحْصَن، وجلد القاذف وشارب المسكر، كل ذلك لحفظ الأمن، وليذوق المعتدي مرارة العقوبة كما أذاق المجتمع مرارة الخوف والعدوان تلكم أهم مقومات الأمن، الإسلام الذي رضيه الله دينًا لعباده، وكما أن الإسلام يحقق الأمن من مخاوف الدنيا فهو كذلك يحقق الأمن من مخاوف يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢) لهم الأمن في الدنيا والآخرة.

الوقــت

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستـغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران:١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الاحزاب: ٠ -٧١)

اما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

امـا بعـد . . . قال تعـالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر:١-٣) أقسم الله سبـحانه وتعالى بالعصر وهو الدهر الذي هو زمن تحصـيل الأرباح والأعمال الصالحة للمؤمنين وزمن الشقاء للمعرضين، ولما فيه من العبر والعجائب للناظرين.

وقد عرض القرآن الكريم والسنة المطهرة للزمن قيـمةً وأهمية وأوجه انتفاع وأثرًا، وأنه من عظيم نعم الله التي أنعم بها سبحانه.

يقول الله تعالى في بيان هذه النعمة العظيمة التي هي من أصول النِّعم: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة النحل: ١٢).

ويقول جلَّ وعلا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (سورة الفرقان: ٦٢).

ولبيان أهمية الزمن وأثره نجد أن المولى سبحانه يقسم بأجزاء منه في مطالع سور عديدة: فيقسم بالفجر ﴿ وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (سورة الفجر: ١-٢)، ويقسم بالليل والنهار ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ (سورة الليل: ١-٢)، ويقسم بالضحى ﴿ وَالضُّحَىٰ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (سورة الضحى: ١-٢)، وقسمه سبحانه بأجزاء الزمن تلك كان لفتًا للأنظار نحوها. لعظيم دلالتها عليه، وجليل ما اشتملت عليه من منافع وآثار. فلا شيء أنفس من العمر، وفي تخصيص القسم به إشارة إلى أن الإنسان يضيف المكاره والنوائب إليه، ويحيل شقاءه وخسرانه عليه ـ فإقسام الله تعالى دليل على شرفه، وأن الشقاء والخسران إنما لزم الإنسان لعيب فيه لا في الدهر، ولذلك قال ﷺ: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر».

وعمر الإنسان القصير والذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل عن كل لحظة فيه وعن كل وقت مر عليه وعن كل عمل قام به.

قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به».
لن تزولا قدما العبد في هذا الموقف العظيم حتى يحاسب عن مدة أجله فيم صرفه... وعما فعل بزمانه ووقت شبابه بخاصة فإنه أكثر العطاء وأمضاه، وهو تخصيص بعد تعميم، لأن تمكن الإنسان من الزمن في وقت الشباب أعظم وآكد وأثمر من طرفي العمر حيث ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ».

قال ابن الخازن: النعمة ما يتنعم به الإنسان ويستلذه، والغبنُ أن يشتري بأضعاف الثمن، أو يبيع بدون ثمن المثل.

فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العائقة، ولم يسع لصلاح آخرته، فهو كالمغبون في البيع، والمراد بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ، بل يصرفونهما في غير محالهما، فيصير كل واحد منهما في حقهم وبالاً، ولو أنهم صرفوا كل واحد منهما في محله لكان خيرًا لهم ـ أيُّ خير ـ وأكد على ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**[1].

عِبَادَ اللهِ . . . عمر الإنسان هو موسم الزرع، وحصاد ما زرع يكون في الآخرة. . . فلا يحسن بالمسلم أن يضيع أوقاته وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه. ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول ـ ساعة الاحتضار: حيث يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، وأخر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات.

الموقف الثاني ـ في الآخرة: حيث توفى كل نفس ما عملت وتُجْزى بما كسبت ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدءوا من جديد عملاً صالحًا.

عِبَادَ اللهِ . . . لنرى الإمام الشافعي كيف استفاد من وقته: جزأ ـ رحمه الله ـ الليل إلى ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك».

وكان الحسن البصري يقول: ما مر يومٌ على ابن آدم إلاَّ قال له: ابن آدم إني يوم جديد، وعلى ما تعمل فيَّ شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك فقدم ما شئت تجده بين يديك، وأخر ما شئت فلن يعود أبدًا إليك.

تؤمل في الدنيا طويلاً ولا تدري ☆ إذا جَنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة ☆ وكم من مريض عاش حينًا من الدهر

كثير باتوا ولم يروا ضوء الفجر الثاني، وكثير أشرقت عليهم الشمس ولم يدركوا مغيبها... وهل الإنسان إلاَّ هكذا ميت بليل أو نهار، ينتظر الموت أين يُقبل!!.

إن توقفت أنفاسه نهارًا لم ير الليل، وإن سكنت أطرافه بالليل أصبح محمولاً إلى القبر.

ألا إنها أوقات محسوبة ولحظات مقسومة وأنفاسٌ معدودة... تمر مر السحاب طوبى لمن عمل بها واستزاد من الخير وقدم ليوم المعاد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا.

اما بعد ... قال حماد بن سلمة: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله عزَّ وجلَّ فيها إلاَّ وجدناه مطيعًا... إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصليًا، وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضأ أو عائدًا مريضًا، أو مشيعًا لجنازة، أو قاعدًا في المسجد، قال: فكنا نرى أنه لا يحسن أن يعصي الله عزَّ وجلَّ.

قالت داية داود الطائي: يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز...؟

قال: يا داية، بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

عبد الله . . . هل سألت نفسك يومًا لماذا تعيش؟

بالجواب يتحدد الهدف، ويتضح الطريق، ويسهل الوصول . . .

لنسمع جواب أبي الدرداء رضي الله عنه حين قال: **«لولا ثلاث ما أحببت العيش يومًا واحدًا: الظمأ لله بالهواجر، والسجود لله في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما يُنْتَقَى أطايب الثمر»**.

وهذه الدنيا كما وصفها عمر بن عبد العزيز بقوله: إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء وكتب الله على أهلها الظعن، فكم من عامر موثق عن قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا - رحمكم الله - منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

يقول موسى بن إسماعيل: لو قلت: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا لصدقت، كان يحدث أو يسبح أو يقرأ أو يصلي: قد قسم النهار على ذلك. لقد بارك الله في أيامهم وأوقاتهم وأعمالهم لأنهم يرون أيامهم كما قال القائل:

إذا مر بي يومٌ ولم أقتبس هدى ❁ ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمري

انظر أخي إلى يومك الذي تعيش فيه الآن ماذا قدمت فيه؟ وأنت تعلم أن الدنيا ثلاثة أيام. . . ها هي الدنيا يقول عنها الحسن: إنها ثلاثة أيام، أما أمس فقد ذهب بما فيه وأما غدًا فلعلك لا تدركه، فاليوم لك فاعمل فيه.

قال الجنيد لرجل وهو يعظه: جماع الخير كله في ثلاثة أشياء. . . إن لم تمض نهارك بما هو لك فلا تمض بما هو عليك، وإن لم تصحب الأخيار فلا تصحب الأشرار، وإن لم تنفق مالك فيما لله فيه رضا فلا تنفقه فيما لله فيه سخط.

وصية صادقة ونصيحة غالية من الفضيل بن عياض: تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا، ولا تغتروا بالدنيا، فإن صحيحها يسقم وجديدها يبلى ونعيمها يفنى وشبابها يهرم.

عِبَادَ اللَّهِ . . . أما أوقات العمل الضائعة فقد استعدوا لها واستفادوا منها. . .
فهذا ابن الجوزي يسرح تلك الحال ويحكي لنا كيف استفاد من الوقت في حضور فارغي النفوس والعقول فيقول: لما رأيت أن الزمن أشرف شيء، والواجب انتهازه بفعل الخير. كرهت ذلك وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت في وحشة لموضع قطع المألوف وإن تقبلته منهم ضاع الزمان، فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غُلِبْتُ قصرت في الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغًا. . . فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد (أي الورق) وبري الأقلام وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لابد منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي.

يقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ:

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله	إذا كنت فارغًا مستريحًا
وإذا هممت بالقول في الباطل	فاجعل مكانه تسبيحًا

قيل لحماد اللفاف: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل، فقيل له: ألست في عافية في كل الأيام؟ قال: العافية يومٌ لا أعصي الله تعالى فيه.

كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد. . . من ذا الذي يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا الذي يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا الذي يُرضي ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس، ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟.

ويا من الموت موعده والقبر بيته، والثرى فراشه والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف تكون حاله؟

دخل رجل على أبي ذر فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتًا نتوجه إليه، فقال: إنه لابد لك من متاع ما دمت ها هنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا ها هنا.

وقفات لمن أراد النجاة

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠ -٧١)

أما بعد . . . فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله . . . موضوعنا في هذا اليوم ـ بإذن الله ـ عن شيء من صفات الجنة والنار جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة، وأجارنا وإياكم من النار وعذابها.

تأمل ـ يا عبد الله ـ حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة وأهوالها ما قاسوا فبينما هم كذلك وقوفًا ينتظرون حقيقة أخبارها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأطلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً

وجرجرة تُفْصِحُ عن شدة الغيظ والغضب ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (سورة الفرقان:١٢). فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ (سورة الكهف:٥٣). وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المُسَوِّف نفسه بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه على وجهه في قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (سورة الدخان:٤٩). فأُسكنُوا داراً ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مُبْهَمَةَ المهالك يدعون فيها بالويل والثبور، وعظائم الأمور ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ⑬ لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (سورة الفرقان:١٣-١٤).

أمانيهم فيها المهالك، وما لهم من أَسْرِ جهنم فكاك، قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، يُنَادَوْنَ من أكنافها، ويصيحون في نواصيها وأطرافها:

يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلَنَا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك العدم خير من هذا الوجود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود:

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (سورة الزخرف:٧٧). ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ⑯ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ⑰ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ (سورة المؤمنون:١٠٦-١٠٨). فعند ذلك يَقْنَطُونَ وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، فَتَصَوَّرْهُم يا أخي والنار من فوقهم... والنار من تحتهم... ولباسهم نار... ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ⑲ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ (سورة الحج:١٩-٢٠). يتمنون الموت ولا يموتون ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (سورة إبراهيم:١٧).

وسـيق المجـرمـون وهـم عـراةً ◘★◘ إلى ذات السـلاسل والنكال

فـنادوا ويلـنا ويلاً طويلاً ◘★◘ وعـجُّوا في سلاسلهـا الطوال

فليسوا مَيتين فيستريحُوا ◘★◘ وكُلُّهُمُ بِحَرِّ النَّارِ صالِ

فيا ليت شعري كيف بك لو نظرت إليهم قد اسودت وجوههم... وأُعْمِيَتْ أبصارهم... وأُبْكِمَتْ ألسنتهم...

ليت شعري كيف لو نظرت ولهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم.

ليت شعري كيف بك لو أبصرتهم وهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (سورة الحاقة: ٢٥-٣٧).

ولكن أخي... أعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن تلك الدار التي عَرَفْتَ بعض **همومها** وغمومها تقابلها دارٌ أخرى، فتعال معي نتفكر في نعيمها وسرورها.

نعم... تفكر يا أخي في أهل الجنة بعد أن اجتازوا الصراط المنصوب على متن **جهنم وها هم** واقفون عند باب الجنة... يأتي محمد ﷺ فيطرق بابها... فيقول **رضوان خازنها**: من؟ فيقول: محمد، فيقول: لك أُمِرْتُ أن أفتح، فيدخل ﷺ ومن **معه من أهلها**.

فتصور نفسك يا أخي إن كنت تائبًا في دنياك، باكيًا على ذنوبك، خائفًا من **ربك**... **تصور** نفسك وأنت تدخل الجنة مع الداخلين برحمة الله عزَّ وجلَّ تدخل جنة **فيها ما لا** عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فتصور نفسك وأنت **تتمتع بحورها**، وأنت تسكن قصورها، وأنت تأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها.

نعم تصور نفسك وأنت تنظر إلى وجه الرحمن جلَّ وعلا في يوم المزيد.

أخي: قد تتساءل... ما هي صفات الحور العين؟؟.

قد تتساءل عن أنهار الجنة... عن طعام أهلها... عن شرابهم... عن آنيتهم... عن أرضها وسقفها... عن بنائها... عن سعتها...

قد تتساءل عن يوم المزيد... ما هو؟؟

تعالى نجلس مع الإمام ابن القيم ليجيبنا عن هذه الأسئلة وغيرها فلنقرأ سَوِيًا، ولنسمع ما يقول هذا الإمام لعله يحدو الأرواح إلى بلاد الأفراح.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإن سألت عن عرائس الجنان، فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب... إذا قابلت حِبَّها فقل ما تشاء في تقابل النيِّرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحِبَّين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحوال إلاَّ حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلاَّ محبة ووصالاً، مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، لا تَبْلى ثيابها».

الخطبة الثانية:

الحمد لله جاعل الجنة للمتقين، السائرين على نهج سيد الأولين والآخرين، وجاعل النار للعصاة المخادعين المكشوفة أستارهم يوم الدين يوم لقاء رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين إلى يوم الدين.

أما بعد ... اعلم ـ يا عبد الله ـ بأن الحواري لم يطمثهن قبله إنسٌ ولا جان، وكلما نظر إليها العبد المؤمن الموفق بتوفيق الله ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا. وإن سَأَلْتَ عن

حسن العشرة ولذة ما هنالك فَهُنَّ العُرُبُ المتحببات، وإن غَنَّتْ فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنسَتْ وأَمْتَعَتْ فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قَبَّلَتْ فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل.

أخاه . . . وإن سَأَلْتَ عن أنهار الجنة: فأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهارٌ من عَسَلٍ مصفى.

وإن سألت عن طعامهم، ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم، فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم، فآنيتهم الذهب والفضة.

وإن سألت عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها، فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن بنائها، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن سعتها، فأدنى أهلها يسير في ملكه وسروره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن غلمانهم، فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد فاستمع يوم ينادي المنادي. . . يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟!.

فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نورٌ أشرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. ثم يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم

يروني فهـذا يوم المزيد فيجـتمعون على كلمـة واحدة. . . أن قد رضـينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم مـا أسكنتكم جنتي هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجـتمعون على كلمـة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه، فـيكشف لهم الرب جلَّ جلالُهُ الحُجُبَ ويتـجلى لهم فيغـشاهم من نوره ما لولا أن الله تعـالى قضى أن لا يحتـرقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلاَّ حاضره ربه محاضرة. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيـون الأبرار بالنظر لوجهه الكريم في الدار الآخرة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (سورة القيامة: ٢٢-٢٣).

هي جنة طابت وطاب نعـيـمـهـا ❖ فنعـيـمـهـا باق وليس بفـانِ

دار السـلام ومنـزل المأوى ومنـزل ❖ عـسكر الإيمان والقـرآن

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (سورة الحاقة: ١٩-٢٤).

وبعد إخـواني . . . أليست هذه وقفـة تستحق منا البكاء والدمـوع؟ أليست هذه الرحلة تستوجب منا التوبة إلى الله والرجوع؟

إخواني . . . البدار البدار . . . واغتنموا أنفـاسكم العظيمة المقدار، وتذكروا في جميع أعمالكم هل هي تقربكم إلى الجنة أم إلى النار؟

عِبَادَ اللَّهِ . . . روى (مسلم) أن النبي ﷺ قال: **«يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت نعيماً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي من بؤس قط ولا رأيت شدة قط»**.

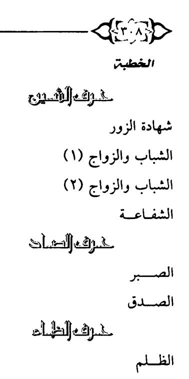
عباد الله . . . وقفة أخيرة وهي نصيحة لكل مسلم ومسلمة يريدان الجنة، وهذه النصيحة ليست مني ولكنها من رب العالمين، ثم يقول عزَّ وجلَّ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف:٢٨) فإن كنت تريد الجنة فاحرص على مصاحبة من إذا رأيتهم ذَكَرْتَ الله، وإذا حدثوك حدثوك بكل خير، وكن على حذر من أصحاب السوء، وتذكر دائمًا هذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (سورة الفرقان:٢٧-٢٩) وفلان في هذه الآية هو صاحب السوء الذي يدعوك إلى شريط الأغاني والفيلم الخليع والمجلة الساقطة، وإلى كل ما ألهاك عن طاعة الله وذكره.

قال تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الزخرف:٦٧). فكل حبيب سيعادي حبيبه إلاَّ المتحابون في الله، وكل صديق سيتبرأ من صديقه إلاَّ من كانت صداقتهم على طاعة الله.

فإن كنت ممن ابتُلُوا بصحبة من لا تقربك إلى الله صحبتهم فتبرأ منهم الآن قبل أن يتبرءوا هم منك . . . ولكن متى وأين؟ . . . أما الزمان فمعلوم . . . وأما المكان ففي النار؛ ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ (سورة البقرة:١٦٦).

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ✩ ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

الفهرس



تم بحمد الله - الجزء الأول